









# الوسيط

في

## الأدب العربي وتاريخه

تأليف

الشيخ أحمد الأسكندري و الشيخ مصطفى عناني  
المصنوعين بالجميع اللغوي المصري والمدرسين بمدرسة المعلمين الناصرية



قررت وزارة المعارف العمومية تدريس هذا الكتاب بمدارسها :  
الثانوية ، والمعلمين السلطانية ، والمعلمين الأولية ، والمعلمات السنية



حقوق الطبع محفوظة لدولتين



الطبعة الأولى

١٣٣٧ هـ = ١٩١٩ م

الحمد لله جل جلاله، والمصلّى عليه محمد وآله، والمدعو له الوطن ورجاله  
 وبعد فإننا رأينا النشء من طلاب الأدب العربي في حاجة إلى  
 ملِّمٍ بفنونه، مؤثِّرٍ لميونه، مؤرِّخٍ لشؤونهِ؛ فوضعنا هذا الكتاب؛ لعلنا  
 نُقَرِّبَ إليهم القصْدَ، ونُسَهِّلَ عليهم الصَّعْبَ، وعلى الله قصْدُنا  
 وهو حسْبُنَا ونعم الوكيلُ

٩ ذى القعدة سنة ١٣٣٥

٦ المحسّن سنة ١٩١٦

أحمد الإسكندري

مصطفى هاشم

المدرس بمدرسة المطين الناصرية

المدرس بمدرسة المطين الناصرية

## تاريخ أدب اللغة

التاريخ - هو معرفة أخبار الماضين وأحوالهم من حيث معيشتهم ، وسياستهم ، وأدبهم ولغتهم

الأدب - ( كل رياضة <sup>(١)</sup> محمودة يتخرج <sup>(٢)</sup> بها الإنسان في فضيلة من الفضائل ؛ )  
الرياضة كما تكون بالفعل ، وحسن النظر ، والمحاكاة ، تكون بالأقوال  
الحكيمة التي تضمنتها لغة أي أمة .

واللغة - ألفاظ يعبر بها قوم عن أغراضهم <sup>(٣)</sup>

### ( ١ ) الرياضة - التلليل والقرين والمالجة

( ٢ ) خرجته فتخرج - درجته فتدرب ، والأدب بهذا التعريف تنله الصباح عن أبي زيد

( ٣ ) الثابت الآن بشهادة القتل والاستقراء وملاحظة نطق الأطفال والامم المتوحشة والزانية أن لغات العالم على كثرتها التي لم تنتاه ولن تنتاهي ، ترجع الى أمهات أصلية تولدت وتعود عنها ، وأن هذه الاممات يصح أن تكون كل واحدة منها هي المبدأ الأول لفرعها ، أو أنها ترجع الى جدها عليا مجهولة هي لغة الانسان الاول ، وكيف كان الحال فنشأ الأم المنقطعة أو الجدة السابقة حاصل من الكلمات القليلة التي يعبر بها الانسان عن رغائيه القليلة أو عن الاشياء المحيطة به ، وبعض هذه الكلمات مقتبس من محاكاة الاصوات التي تصدر عن الانسان والحيوان والرياح وغيرها : كما تقلد الببغاء التي هي دون الانسان في الادراك ، وبعضها مرئجل بطبيعة القوة الناطقة التي أودعها الله في الانسان وميزه بها على سائر الحيوان ، وهي فيه الهام فطري أعظم من الإلهام المودع في الحيوان الاعمى : فانا نسبح المرة مثلا نموء ببضعة أصوات مختلفة تظهر بها انفعالها ، ومطالبها : فصوت الاستعطاء والاستعطاف غير صوت الزجر والغضب الخ . فلهذا ما يجيش صدر الانسان باظهار رغبة أو رهبة يصيح بصوت مصور بصورة ما على حسب ما يلهمه الله فيسمعه غيره ويهمهم منه مراده بأضافة قرينة حال أو إشارة ( كما نشاهد ذلك كثيرا في بعض الأطفال عند محاولتها النطق ) . فلذا وجد أنه أدى غرضه استعماله ثانية وثالثة في اغمام رفاقه ، فيداع بينهم ، ويعرف ولا يحتاج في استعماله الى قرينة ، وهكذا يفعل غيره فله ، ويلهمها ثالث ورابع حتى تتكون اللغة الاولى الضرورية للبيئة التي يعيشون فيها ، ويتفق عليها من غير عمل ولا قصد الى الاتفاق . ثم تتسع هذه اللغة بطرق النحو المعروفة كالاشتقاق والإضافة والنقص والتعريف والتحويل من الحقيقة الى المجاز فينشهر المجاز ويصير حقيقة

وأدب لغة أى أمة - هو ما أُودِعَ في شعرها ونثرها من نتائج عفو  
 وَصُورَ أَخْيَرَتِهِمْ <sup>(١)</sup> وطباعهم : مما شأنُهُ أن يهذب النفس ، وَيُثَبِّقَ <sup>(٢)</sup>  
 وَيَقْوَمَ <sup>(٣)</sup> اللسان

أدب اللغة

وتاريخ أدب اللغة - هو العلم الباحث عن أحوال اللغة : نثرها ونظمها في  
 عصورها المختلفة ، وعما كان لتأثيرها من التأثير البين فيها . وهو على النظام الآتي

تاريخ  
 أدب اللغة

حديث النشأة في مصر

واللغة العربية - إحدى اللغات السامية <sup>(١)</sup> . وهي لغة أمة العرب القديمة

أصل العربية

هذه ، والأظهر أن الإنسان نطق أولاً بأسماء المحسوسات ، ثم بأسماء بعض المقتولات ثم بالمعاني  
 ثم بالأفعال ( والمفارع يسبق أخويه ) ، ثم بأسماء الاشارة والمفاتيح والموصولات ، ثم بالحروف  
 والمشتقات ، وأجلى مثال لذلك ملاحظة الأطفال في أسماء الأشياء ، ثم إلى جهات متباعدة ،  
 أما اللغات الفرعية فتنشأ من هجرة بعض القبائل إلى جهات متباعدة ،  
 فيقسمون التقاطع إلى لسانين بعض الكلمات : لعدم استعمالها في وطنهم الجديد ، ثم إلى تحريكها على  
 طول الزمان ، ثم هم يرون في هذا الوطن ما لم يروه قبل من أنواع الحيوان والنبات والجماد  
 فيضطرون إلى وضع كلمات على الوجه الآنف الذكر ، وهكذا تتباعد اللغة الفرعية عن الأصلية  
 كلما تباعد الزمان والمكان ، ويزيد مدى التباعد إذا جاؤوا أماً تتكلم بغير لسانهم الأصلي ،  
 فيستعمرون من لغاتهم كلمات تختل بعد حين في بنية لغتهم ، ثم إذا طال الأمد على أهل لغة وكثر  
 عددهم وارتقت الصفات الإنسانية فيهم ، اتسعت هذه اللغة وتعددت أساليب التعبير فيها وضاق  
 حفظ أي فرد من علمتها عن أن يحميها بها

فظهر من هذا أن اللغات ومنها البشر من غير سابقة اصطلاح واتفاق ، وإن قول من يقول  
 أنها توقيفية لا يعقل منه إلا أنها متوقفة على إلهام من إله وأهب النطق للإنسان  
 أما من يقول أنها توقيفية : بمعنى أن إله أوحى بها إلى أنبيائه ( عليهم صلواته ) ، وهم علموها  
 للإنسان ، فإذا يقول في اللغات التي نشأت وتتشأ بعد الانبياء كلماتها السامية ولغات أهل أوروبا  
 أم ماذا يقول في اللسان الصام ( الأسيرتو ) الذي ارتجله أحد علماء أوروبا ليكون لسان العالم  
 ويرفع به العصية الجلوسية من الأرض ، ويستعمله الآن كثيرون في أغراض خاصة  
 واحتجاجة بقوله تعالى ( وعلم آدم الأسماء كلها ) الآية ليس يقتضي إذ فسر الأسماء بأسماء  
 اللامتناهية مثلاً بديل إعادة العتلاء عليهم وأن تلك خصوصية لآدم فكما خلقه ابتداء علمه  
 ابتداء ، ولو أريد بالأسماء أسماء جميع الموجودات فهل تعلمها بجميع أسنة أولاده وهي الآن الوف  
 مؤلفة ومنها المختبرات ذوات الأسماء المرتجلة هذا ما ظهر لنا والله أعلم  
 ( ١ ) الخيال ما يترأى لك : من ظل أو شبح أو صورة ، والمراد هنا الصورة الباهية  
 المختزعة من محسوس متعدد بقصد تجميعها في النفس أو تشويهها فيها لولا لم تقع على الخارج

( ٢ ) أى يقوم ويعدل

( ٣ ) أى اللغات التي تتكلم بها الشعوب المختلفة من أولاد سام بن نوح



الشائمة الذكر التي كانت تسكن الجزيرة المنسوبة إليها في الطرف الغربي من آسيا  
وهي أقرب اللغات السامية إلى أصلها : لأن العرب لم تُخالط غيرها كثيراً ولم  
تدخل طويلاً تحت حكم أمة أعجبية

وهذه الامة - منها القدماء، وهم الذين كانوا يسكنون تلك الجزيرة وينطقون  
باللغة العربية سليقة وطبعا

وهم ثلاث طبقات - أولاها العرب البائدة؛ وهؤلاء لم يصل اليها شيء صحيح طبقت العرب  
من أخبارهم إلا ما قصه الله علينا في القرآن الكريم، والأما جاء في الحديث النبوي.  
ومن أشهر قبائلهم طهم، وجديس، (١) وعاد، (٢) وثمود، (٣) وعيليق (٤)  
وثانيها العرب العاربة - وهم بنو قحطان الذين جئوا عن سبئ (٥) القرأت،  
واختاروا اليمن منازل لهم، وامتزجت لغتهم بلغة سابقهم، ثم انتشروا في أنحاء  
الجزيرة. ومن أمهات قبائلهم كهلان (٦)، وجبيل (٧)  
وثالثها العرب المستعربة - وهم بنو اسمعيل الطارئون على القحطانيين،  
والمتمزجون بهم لغة ونسباً، والمعروفون بعد بالعَدَنَانِيَيْن - ومن أمهات قبائلهم ربيعة،  
ومضَرَ، وإياد، وأنمار (٨) وبقية القبائل المشهورة وبطونها من العقبان الثلاث  
مبينة في الأشكال الآتية مراعى في ترتيبها مرتبة الاشهار لمرتبة البنية الحقيقية

(١) كانت تسكن الجزيرة أيام ملوك الطوائف من الفرس

(٢) كانت تسكن الأحقاف

(٣) كانت تسكن الحجر المسي الآن بمداش صالح

(٤) المسالقة قوم سكن اوطانهم اليمن ثم انحدروا الى مكة ويثرب وارض الشام ومنهم  
فراصة الرعاة بمصر

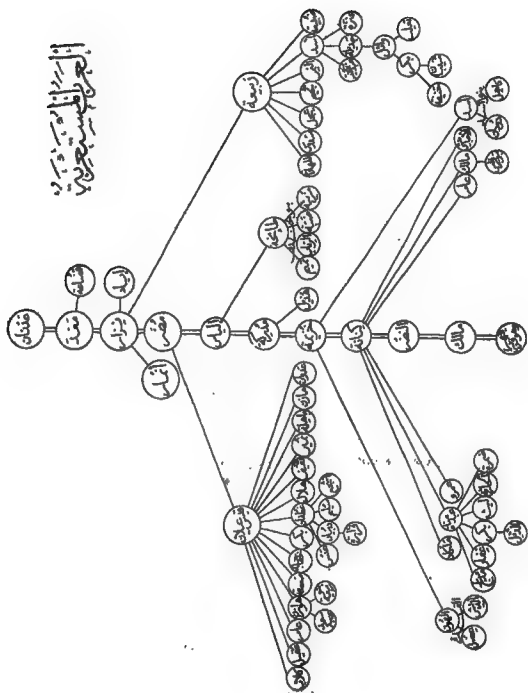
(٥) سبئ التهر ما يسبقه من الارض وهو المسي الان بمحوض التهر

(٦) كهلان بن سبأ

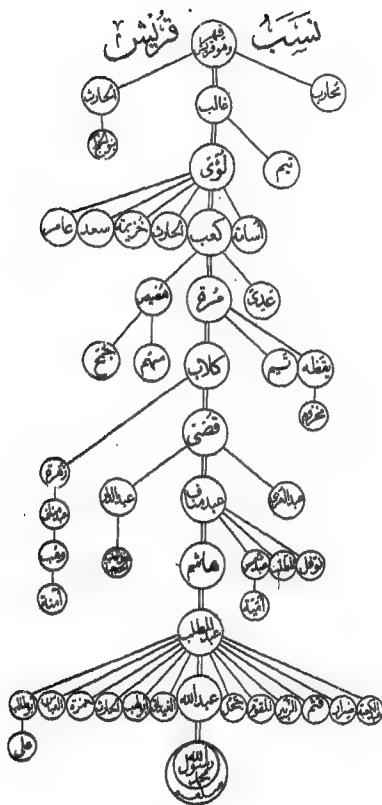
(٧) قبيلة تلسب الى حجر بن سبأ، وكانوا يسكنون أول امرهم غربي صنعاء، واكثر قبائل  
اليمن متفرعة من حمير وكهلان

(٨) هؤلاء هم الشوب الاربية الكبرى التي تفرعت منها قبائل العدنانية واكثرهم عدداً  
مضر، ثم ربيعة، وهم اولاد نزار بن معد بن عدنان





الحسين بن علي







ومنها المحدثون - وهم سلاسل<sup>(١)</sup> هؤلاء الأقوام المتزجون بسلاسل غيرهم،  
والمنتشرون بعد الإسلام في بقاع الأرض من المحيط الأخضر (الاطلنطى) الى  
ما وراء بحر فارس ودرجلة، ومن أعلى التهرين<sup>(٢)</sup> الى ما وراء جاوه وسومطرة .  
ويتكلمون بلهجات عامية مختلفة ترجع الى اللغة العربية الفصحى التي يتعرفونها بالتعلم

## عصور اللغة العربية وآدابها

لما كان تاريخ لغة أى أمة وأدبها يرتبط كل الارتباط بالحوادث السياسية والعرفية  
والاجتماعية التي تقع بين ظهور<sup>(٣)</sup> هذه الأمة ، ناسب أن قسم تاريخ أدب اللغة  
العربية خمسة أعصر :

الأول - عصر الجاهلية - وينتهى بظهور الاسلام ومدته نحو خمسين ومائة سنة  
الثاني - عصر صدر الاسلام، ويشمل بنى أمية - ويتدنى بظهور الاسلام،  
وينتهى بقيام دولة بنى العباس سنة ( ١٣٣ ) هـ

الثالث - عصر بنى العباس - ويتدنى بقيام دولتهم ، وينتهى بسقوط بغداد  
في أيدي التتار سنة ( ٦٥٦ ) هـ

الرابع - عصر الدول التركية - ويتدنى بسقوط بغداد، وينتهى بمبدأ النهضة  
الأخيرة سنة ( ١٢٢٠ ) هـ

الخامس - عصر النهضة الاخيرة - ويتدنى من حكم الأسرة المميدية  
الملوية بمصر، ويمتد الى وقتنا هذا

---

(١) اولاد (٢) دجلة والفرات

(٣) منى ظهر ، وزيدت الالف والنون في البيئة لزيادة المعنى والتأكيد ، ومثناه ان  
ظهرا منها قدامها ، وظهرا منها وراحمها ، ففى مكتوبة من جائيتها ، ثم استعمل في معنى الالقامة  
والحلول بين القوم مثلاً

## العصر الاول عصر الجاهلية

حالة اللغة وآدابها في ذلك العصر

لغة العرب من أغنى اللغات كلاً، وأعرّفها قديماً،<sup>(١)</sup> وأخْلِدها أنركاً، وأرحبها<sup>(٢)</sup> صدراً، وأدومها على غير،<sup>(٣)</sup> الدهر مُحاسنةً وصبراً، وأعذبها بمنطقاً، وأسلسها أسلوباً، وأزوعها<sup>(٤)</sup> تأثيراً، وأغزرها مادةً، وأوسمها لكل ما يقع تحت الحس، أو يحول في الخاطر: من تحقيق علوم، وسنّ قوانين، وتصوير خيال، وتعيين مرافق<sup>(٥)</sup> وهي على هندمة<sup>(٦)</sup> وضما، وتناسق أجزائها، لغة قوم أميين، لم يكونوا في حكمة اليونان ولا صنعة الصين، بادوا وبقيت بدهم سائرة مع كل جيل، ملائمة لكل زمان ومكان. ولولا رُوح عظيم ما خَلدت. ودَرَج<sup>(٧)</sup> أقرانها، وأَنْفَت<sup>(٨)</sup> واستخذي<sup>(٩)</sup> سلطانها<sup>(١٠)</sup>. ولا عَجَب أن بَلَّت تلك المنزلة: من بَسْطَة الثروة، وسعة المدى<sup>(١١)</sup>، إذ كان لها من عوامل النُفُو، ودراعى البقاء والرقى، ما قلما ينبىأ لنغيرها؛ وذلك لما فيها من اختلاف طرق الوضع والدلالة، واطراد التصريف والاستشاق، وتنوع الجمل والكتابات، وتعدد المترادفات، الى النحت، والقلب، والاببدال، والتعريب، ونحو ذلك وما رواه لنا منها أئمة اللغة وجاء به القرآن الكريم والحديث النبويّ هو نتيجة امتزاج لغات الشعوب التي سكنت جزيرة العرب. ولا يُعلم بالضبط الوقت الذي تُمثِّل فيه بصورتها المعروفة لنا، ولا كل الأسباب التي أدت الى اندماج لغات بعض هؤلاء الشعوب في بعض. وغاية ما علم من الآثار الحجرية أنه كان جنوبي الجزيرة وشمالها لغات متميزة كل التميز عن العربية التي رُوِيَتْ لنا، دَرَسَتْ وبقيت منها أشياخ<sup>(١٢)</sup> تراهي أحياناً في بعض لهجات العربية الأخيرة وأوجه أعرابها واشتقاقها

وصف  
اللغة العربية  
ومزاجها

حوامل نمو  
اللغة

توحيد  
اللغة العربية  
المروية

(١) أصلها (٢) أوسمها (٣) حوادث (٤) اشدها انجذاباً وهزة في النفس  
(٥) جمع مرشق كثير وهو كل ما ارتقت به أي اتلعت (٦) الهندمة اصلاح النعم  
على هذلول خاص ونظام بين (٧) اقترض (٨) استكبرت (٩) خضع (١٠) السلطان  
الثقة والتهر والبراذ سلطان أهلها (١١) الغاية أو مد البصر (١٢) جمع شيخ وهو سواد  
الانسان وغيره تراه من بعد



وترادف أفضالها، كما أنه لا شك في أن من أسباب امتزاج هذه القلت ما يأتي

- (١) هجرة القحطانيين الى جزيرة العرب ومخالطتهم فيها العرب البائدة باليمن، مراتبهم
- تم تفرغهم في بقاع الجزيرة كل منزق بظلمهم أنفسهم وتخرّب بلادهم بسبل العرم<sup>(١)</sup>
- (٢) هجرة اسمعيل عليه السلام الى جزيرة العرب واختلاطه وفيه بالقحطانيين
- بالمصاهرة، والمجاورة في المنازل والمرايح<sup>(٢)</sup>، والمجارية، والمتاجرة. وأظهر مواطن هذا
- الامتزاج مشاعر<sup>(٣)</sup> الحج، وخاصة بيت الله الحرام بمكة ببلد قريش<sup>(٤)</sup> الأيمن،
- والأسواق التي كانت تقيمها العرب في أنحاء بلادها؛ ومن هذه الأسواق: عكاظ<sup>(٥)</sup>
- ومجنة<sup>(٦)</sup>، وذي المجاز<sup>(٧)</sup>

وأما سوق عكاظ - وكانت تقام من أول ذي القعدة الى اليوم العشرين منه. سوق عكاظ  
وأقيمت تلك السوق بعد عام الفيل<sup>(٨)</sup> بخمس عشرة سنة، وقيمت الى ما بعد  
الاسلام وان لم تكن في شأنها الأول حتى سنة تسع وعشرين ومائة؛ وكان يجتمع بهذه  
السوق أكثر أشراف العرب للتجارة، ومفاداة الأسرى، والتحكيم في الخصومات  
والمفاخرة<sup>(٩)</sup> والمنافرة<sup>(١٠)</sup> بالشعر والخطب في الحسب والنسب والكرم والفصاحة

(١) العرم جمع مرة ككهرمة وهي سد يتفرق به الوادي، أو موضع بلا واحد، أو هو الاحياس  
والمنذود بقي في الوادي لجس المياه خلفها وهي المنفعة الآن بالخرافات. وحادة سيل العرم أنه كان  
لسباً في اليمن عرم يجبس المياه خلفها لتوزع بنظام فهدمت العرم بسيل عظيم أغرق البلاد ودمر  
القرى أمانه فكان هو مع كثير من الفتي والحروب الاهلية سبباً في تفرق قبائل سبأ في أنحاء  
جزيرة العرب حتى ضرب سهم القتل في التفرق (انقل تفرقوا أيدي سبأ) (٢) جمع مرج وهو في  
الاصل المسكان الحبيب يقيم فيه القوم زمن الربيع (٣) معالم الحج وأماكن تسك (٤) قبلة  
التي صلى الله عليه وسلم، وهي بطن من كثافة من للفرية (٥) موضع قرب الطائف  
(٦) موضع قرب مكة (٧) سوق على فرسخ من حرقة من ناحية كعب، وكعب جبل  
بمرقات خلف ظهر الامام اذا وقف (٨) عام الفيل هو العام الذي ولد فيه النبي عليه الصلاة  
والسلام وهو سنة ٧١ هـ من الميلاد - وملخص حادثة الفيل أن الخيل طست في الاستيلاء على  
مكة ونهر قريش وهدم الكعبة فتجد ذلك احد ملوكهم المسي أربعة يميني ومه فيل عظيم  
فأرسل الله عليهم طيراً ابابيل ترميهم بحجارة من سجيل لجلهم كصف ما كور (٩) المناظرة  
المحاكمة في الحسب، والحسب ما تنزه من مفاخر آبائك (١٠) المناظرة أن يخسر الرجلان  
كل واحد منهما على صاحبه ثم يحكما بينهما رجلا، وسيت منافرة لان المتناظرين كانا يسألان  
الحكم اينا احر قرأ

والجمال والشجاعة وما شاكل ذلك حتى في عظيم المصائب والارزاء<sup>(١)</sup>. وكان من أشهر المحكمين بها في الشعر النافذة الذبياني، ومن أشهر خطبائها قس بن ساعدة الإيادي، وقد لهج الشعراء بذكرها في شعرهم، وحضرها منهم الرجال والنساء. ولقرش عظيم الأثر فيما نجم عن اجتماع العرب في مشاعر الحج والأسواق تهذيب لغتهم أقصمهم: لأخذهم من لغات القبائل الوافدة عليهم ما خف على اللسان وحسن في السمع، حتى اتسعت لغتهم، وجمدت أساليبهم، ولكانهم من الفصاحة والرياسة في الحج وعكاظ حاكم شعراء القبائل وخطبائها في استعمال لغتهم: ليكون مقالهم أسير، وخبرهم أشهر. وما نشأ عن المجرنين السابقين وغيرهما من تداعل اللغات واندماج بعضها في بعض حتى تكونت اللغة الفصيحة هو ما يسمى طور تكوين اللغة وتهذيبها

تأريخ  
في اللغة

## اختلاف لهجات العرب

قدما أن الأمة العربية تألفت أخيراً من شمين<sup>(٢)</sup> عظيمين: القحطانيين أو (اليمانيين) والدنانيين أو (التزاريين). وتشعب من كليهما شعوب وقبائل لها لهجات مختلفة الفروع متحدة الأصول، غير أن لغة حمير من القحطانيين غلبت على أخواتها<sup>(٣)</sup> نجم دخل فيها من اللغة الدنانية ألفاظ وأساليب اختلقت قلة وكثرة باختلاف الجهات، وعمرت حتى ظهور الإسلام، وزالت بعده وبقيت منها ألفاظ امتزجت بالدنانية

(١) وقسم المفخرة بذلك (المطابقة) ومنها مساطمة هند بنت عتبة أم معاوية حين قتل أبوها وأخوها وغيرهم بوقعة بدر مع الحنساء بنت عمرو بن العريد السلمي المعابة بموت أبيها وأخيهما أصغر ومعاوية، فقرت هند فجاءا يحمل الحنساء وتماطلتا في مصائبهما تراء وتظا بدوق عكاظ <sup>(٢)</sup> <sup>(٣)</sup> لهجة قتيبة لسانها مراعى فيه التزيين والتعظيم، والتشبيه والتزيين، والمهر والتلحين، والسرعة والبطء، والوصل والقطع، والأملك وعدنها، وما إلى ذلك من التبرعات الصوتية (٢) التشعب بالفتح القتيبة السطيفة (٤) كالميلية والسبئية

ولغة عدنان المثلثة بعد في المصّرية غلبت أيضاً على أخواتها بل على الجيزرية في موطنها . ولكننا لا ننسى أن البيّنة ، وزوج الديار ، ووسائل المعيشة ، واختلاف اسباب اختلاف  
الهجيات طرق الوضع والارتجال ، كل ذلك قد أتى في كلام كل قبيلة يميزت هي ما يسمى  
مجموعاً باسم لهجة القبيلة أو لغتها ؛ وتكاد تنحصر طرق الاختلاف فيما يأتي :  
الاببدال <sup>(١)</sup> ، وأوجه الأعراب <sup>(٢)</sup> وأوجه البناء والبنية <sup>(٣)</sup> ، والتردد <sup>(٤)</sup> بين الإعراب طرق اختلافها  
والبناء ، والتصحيح <sup>(٥)</sup> والأعلال وما يشبههما ، والانحام <sup>(٦)</sup> والنقص ، والادغام <sup>(٧)</sup> والفتك  
والترادف <sup>(٨)</sup>

ولكل لهجة من لهجات العرب هذا القرشية هنة أو أكثر ، واشتهر من هذه الهجيات  
المفهرمة الهنوات عَجْجَجَةٌ قَصَاعَةٌ ، وَغَمْغَمَةٌ <sup>(١٠)</sup> وَشَنْشَنَةٌ <sup>(١١)</sup> الْهَيْنُ ، وَتَهْمَمٌ <sup>(١٢)</sup> وَطُمَطُمَانِيَّةٌ <sup>(١٣)</sup>

(١) مثل ابدال الهماء والباء ميماً في لغة ملاون فيقولون بالاسك في ما اسك ، ومكر في بكر  
(٢) كتصغير خبر ليس عند المحجّارين مطلقاً ووجهه عند تميم إذا اتفقت بالأحلا على ما  
مثل ليس الطيب الا المسك

(٣) كتسكين شهن حمزة عند المحجّارين وتصحها وكسرهما عند تميم وكيناء الهاء من ايها  
على القدم عند بني مالك من بني اسد فيقولون يا أيها الناس ، وبثلتها على الفتح ووصلها بالفتحة عند  
غيرهم مثل يا أيها الناس

(٤) كاهراب لعل عند قيس بن ثعلبة وبثلتها عند غيرهم  
(٥) كاحلال الالف التالائية التي من باب علم كرضي وبني عند تميم بقلب يائها ألفاً وكسرتها  
فتحة فيقولون رضي وبني وغيرهم يصحها ، وكقلب الالف المتطرفة حمزة عند تميم مثل اللأفي  
التي وغيرهم يفتحها على حلقها

(٦) ككلف نون من الجارة عند خنم وزيد اذا ساكن وابثلتها عند غيرهم فيقولون  
في خرجت من البيت خرجت ملثيت بكلفة العامة في مصر

(٧) مثل تلك التثنية في المضارع الجوزوم بالسكون المضمم وامره عند المحجّارين مثل ان  
يتخض طرفه فاقضض طرفك ، وادغامها عند تميم ، مثل ان يفض طرفه فتضض طرفك

(٨) وهذا النوع كثير في اللغة المروية لانها جمعت من لغات قبائل شتى وذلك تكدية عند  
اليانين والسكينة عند المحجّارين

(٩) وهي تحويل الياء حياً اذا وقعت بعد الياء فيقولون اراجع خرج مسج يردون الراعي  
خرج معي ، وقد تبدل كذلك بدون شرط تقدم الياء يقال قبيص في قبيص ومرج في مري

(١٠) وهي حذف حمز حروف الكلمات وطهورها انتهاء الكلام

(١١) وهي جعل الكاف شيئاً مطلقاً كخيش ، وخلق في ليك ، وكلف

(١٢) وهو جعل السين تاء فيقولون التات في الناس

(١٣) وهي جعل ام بدل ال فيقولون طالب امواء في طالب الهوام

حير، وثلاثة براء (١) وفحفة (٢) هذيل، وعنقة (٣) تيم أوقيس، وكشكشة (٤) أسد  
أوريمة، وركم كلب (٥) ووههم (٦) ولخطنانية (٧) الشحر، وقطعة (٨) طى، واستطاه  
سعد بن بكر (٩) وهذيل والأزد وقيس والأنصار

## كلام العرب

الفرض من كلام العرب كغيره الإبانة عما في النفس من الأفكار، ليكون مدعاة  
الى المعاونة والمعاودة، وذريعة الى تسهيل أعمال الحياة  
ولما كانت هذه الأفكار لا تزال متجددة غير متناهية، كانت صور الكلام  
المبين عنها لا تزال كذلك متجددة خاضعة لقوى الاختراع والابتداع، وأنواع  
الانشاء والتأليف، على حسب ما يقتضيه المقام. فقد تصل صورة الكلام الى الغاية  
التصورية في البلاغة، من حيث إيجاز اللفظ، واصابة المعنى، وحسن البيان ولطف  
الاشارة، وصحة الحكم، وصدق التجربة، فترتاح النفوس لها وتنشط لحفظها، ليسير  
ثروتها، وسهولة الاحتجاج بها، ولأنها تورث ما تتخلله من الكلام رواجاً، وتكسبه  
المثل والمسكة قبولاً، وهذا ما يسمى (بالمثل أو الحكمة). وقد تنحط صورة العبارة الى الدرك

- (١) وهي كسر احرف المضارعة مطلقاً وهم يملن من قضاة
- (٢) وهي جبل الحاء عينا مثل السنن اخو السين في الحسن اخو الحسين
- (٣) وهي ابدال الين من الهزة للبدوء بها فيقولون يا ابن من ولى امان عمان
- (٤) وهي ابدال الشين من كاف الخطاب لكونت كليلش في عليك - او هي زيادة شين بعد  
الكاف المكسورة مثل عليكش في عليك، واشهر ما يكون ذلك في الوقف
- (٥) وهو كسر كاف الخطاب في الجمع اذا كان قبلها ياء او كسرة فيقولون عليكم وبكم، وكلم  
يملن من ريمة
- (٦) وهو كسر هاء القاف اذا وليها ميم الجمع وان لم يكن قبلها ياء ولا مكسرة فيقولون  
نهم ونهم ويهم
- (٧) كقولهم مشا الله في ما شاء الله
- (٨) وهي حذف آخر الكلمة فيقولون (ياأبا الحسا) يريدون ياأبا الحسكم كما في لغة بني سويف  
الآن وشمال مدينتي القرية والبحيرة
- (٩) وهو جبل الين الساكنة نونا اذا جاورت الطاء مثل أنطى في أعطى

الأفضل من الإبانة، بحيث لو انحطت عن ذلك لكانت عند الأدباء بأصوات العجاوات  
أشبه. وبين الحاليين مراتب تفاضل فيها العقول، وتبارى<sup>(١)</sup> الفحول  
وجُلُّ بحث علم الأدب وتاريخه في التفاوت بين هذه المراتب ورجالها، وستكلم  
بعدُ فيها

ونشير هنا إلى أن المثل : قول محكيٍّ سائر يشبه به حال الذي حكي فيه بحال  
الذي قيل لأجله من قبل . والحكمة قول رائع يتضمن حكماً صحيحاً مسلماً . وكما المثل والحكمة  
يكون كل منهما تراكباً يكون نظاماً : فن أمثال الجاهلية الثرية  
إن البُغاث<sup>(٢)</sup> بأرضنا يستنبر - إذا عزَّ أخوك هُنْ<sup>(٣)</sup> - رُبَّ رمية من غير  
رام<sup>(٤)</sup> - أنت تَتَّقُ ، وأنا مِتَّقُ ، فتي تَتَّقُ<sup>(٥)</sup>  
ومن أمثالهم النظمية

تَتَّقُ من شميم عَرَارٍ تَجِدُ فا بعد المشية من عَرَارٍ<sup>(٦)</sup>  
لا تَقَطُّنْ ذَنْبَ الْأَفْئِ وَتُرْسَلْهَا ان كنت شهماً فأقيم رأسها الذَّنْبُ<sup>(٧)</sup>  
كلُّ العلمام نَشْتَعِي رِيحَهُ الخُرْمُسُ والإِعْذار والتَّقِيهِ<sup>(٨)</sup>  
ان بِيَّ صَيْبَةٍ صَيْفِيٍّ أَفْلَحَ من كان له رِيْمِيُون<sup>(٩)</sup>

(١) تتبارى وتساوى (٢) البغاث مثل الباء طير أبيض ضيف ، يستلزم يصير كالنسر  
في القوة ، يضرب للضعيف يصير قوياً ، وللذليل يز يد الذل (٣) قاله هذيل بن هيرة  
التخلي ومثناه كما قال أبو عبيد : مياستك صديقك ليس بضمير يركبك منه ، فتدخلك الحية به ،  
أما هو حسن خلق وقطيل ، فإذا طسرك لياسره . يضرب في التسامح مع ذوى القربى والأصدقاء  
(٤) أى وب رمية مصيبة حصلت من رام شأنه أن يخطئ وأول من قال ذلك الحكم بن يثوث  
(٥) يضرب للضعف صيب أحياناً (٦) التقي السريع إلى الشر ، والتي السريع إلى  
البيداء ، يضرب للمستغلين أخلاقاً (٧) قاله الصمة بن عبد الله القشيري ، وضرب في التمتع من  
الزواجر ، والمراد نبت طيب الرائحة وهو اللزجس البري (٨) قاله أبو أذينة اللخمي يخرش  
الأسود بن المنلو على قتل أسرا من ملوك همدان ، وإن لا يقبل منهم فدية ، يضرب في التعريض  
على استئصال شاة الغر (٩) الخرس طعام الولادة ، والأخبار طعام الختان ، والنتيمة  
طعام القادم من سفر ، وطعام الرجل لية البرس ، يضرب لمن يعرف بالرفية في كل شيء  
(٩) قاله سعد بن مالك بن ضيفة - ويضرب في التمدح على ما قال وذلك أنه ولد له على كبر  
سنه . والصبي المولود في الصيف أى في آخر التاج ، والرجل المولود في الربيع أى أول التاج

تسمي الامثال ونسب الأمثال حقيقة ان كان لها أصل معروف نقلت عنه وسبقت له كالأمثال السابقة  
وفرضية ان كانت تُمثل على لسان حيوان او نبات او جاد . مثل « في بيته يؤتى الحكم »  
وكيف أعلودك وهذا أثر فأسك ، والأول محكى على لسان الأرنب والثاني على لسان  
الحية ، وتكثر الفرضية في الأيام التي يكثر فيها الجور والاستبداد والتضييق على الهداة  
والمرشدين ، فيضطرون اليها للوصول الى أغراضهم ، مع الأمن على حياتهم ، على ما  
فيها من ترويح الحاسر ، ولطف المدخل ، وجمال السكاهة المطلوبة في تضاعفها  
النصيحة ؛ وذلك أعمل في النفس ، وأدعى الى الاتعاط

اثر الامثال والأمثال برآة تريك أحوال الأمم وقد مضت ، وتفتك على أخلاقها وقد  
اقتضت ، وهي ميزان يوزن به رقى الأمم والنحاطها ، وسعادتها وشقاؤها ، وأدبها  
ولفتها . ولقد أكثر العرب منها فلم يتركوا باباً إلا ولجوه ، ولا طريقاً إلا سلكوه ؛  
وقد أفردوا العلماء بالتأليف . وأقدم الأمثال ( على ما نعلم ) أمثال لقمان الحكيم <sup>(١)</sup>  
ومن الحكم الثرية ، مصارع الرجال تحت بروق الطمع . من سلك الجدد <sup>(٢)</sup>  
أمن النار <sup>(٣)</sup> . خير الموت تحت ظلال السيوف . سلكم <sup>(٤)</sup> اللسان أنكى <sup>(٥)</sup> من سلكم  
السنان . العتاب قبل العقاب . خير الفى القناعة . قطيعة الرحم تورث الهم

### ومن الحكم التنظيمية

إذا المرء لم يَدُنْس من الزوم عرضه فكل رداء يرتديه جميل  
إذا المرء لم يَحْزَنْ عليه لسانه فليس على شيء سواء بمزوان  
ولست بِمُسْتَبَقٍ أحداً لا تُلَمُّه على شعث أى الرجال المهذب <sup>(١)</sup>  
ومن لم يَدُد عن حوضه بسلاحه يهْدَم ومن لا ينظلم الناس ينظلم

(١) هو لقمان بن عاد أحد حكماء العرب

(٢) ما استوى من الأرض (٣) ممر مر بمس دله وسقط (٤) جرح  
(٥) أعد إبلا (٦) الشعث القفار الامر وخلة : أى ولست مستقيماً صديق  
لا تحمله على ما فيه من ذلة ، بل يلجئ لله أن تله وتصلحه وتجمع ما تشق من أمره إذ لا يوجد  
رجل خال من اليوب

وكلام العرب بمراتبه : العليا والدنيا وما بينهما تتغيره كثيره أحوال تتغير بتغير حياة أهله : العقلية والمعيشية والدينية ؛ وتلك الأحوال تتمثل في ( أغراض اللغة ، ومعانيها ، وعباراتها ) . وهي في اللغة الواصلة إلينا المروية عن العرب أخريات جاهليتهم وبعد تَضَمُّع مدنيّتهم القديمة يمكن الإشارة إليها بما يأتي :

## أغراض اللغة<sup>(١)</sup> في الجاهلية

- (١) كانت اللغة تستعمل في أغراض المعيشة البدوية ، ووصف مراضها : من حِل وترحال ، واستنجاع كلاً ، واستدراغ غيث ، واستنجاع حيوان
- (٢) وفي إثارة المنازعات والمشاحنات ، وما يتبعها : من الحُص على ادراك الثار ، والتفاخر بالانتصار ، والتباهي بكرم الأصل والتجارة
- (٣) شرح حال المشاهدات ، والكيفيات ، والإخبار عن الوقائع ، والقصص ، وغير ذلك مما يبين حقيقة : حسية أو عقلية ، أو شعوراً بلذة أو ألم ، أو فيد تهيباً أو تحسباً أو مدحاً أو ذمّاً أو نحو ذلك

## معاني اللغة في الجاهلية

تُجَمَل معاني اللغة في الأمرين الآتيين :

- (١) قَصْر معاني المفردات على ما تقتضيه البدَاوة والْفطْرة الغنْضة الخالية من تكلف أهل الحضرة وتأثيرهم
- (٢) انحصار أحكامهم في ( الخبر ) ومطالبهم في ( الانشاء ) إما في الثقل المُستَبْط من الحس والمشاهدة أو الطبيعة أو التجربة أو الوجدان ، من غير مبالغة ولا إفراق ، وإما في التخيل المتزعة صوره من المحسوسات بحيث لا تخرج عن الإمكان العقلي والمادّي

---

(١) أغراض اللغة مقاصدها التي تؤديها وتستعمل فيها

## عبارة اللغة في الجاهلية

تُلَخَّص أحوالُ العبارة في الجاهلية فيما يأتي :

( ١ ) استعمال الألفاظ في معانيها الوضعية ، أو ممانٍ مناسبة للمعنى الأصلي ، بطريق المجاز الذي قد يُصبح بعد قليل وضماً جديداً ؛ ولذلك يظهر لنا عند تلاوة الشعر العربي القديم أن المجاز فيه أقلُّ مما هو في كلامنا ، وأنه قريب من الحقيقة لشدة علاقته بالمعنى الأصلي

المترادف ( ٢ ) كثرة استعمال المترادف ؛ والحق أن لا أكثر الألفاظ المترادفة معنى خاصاً لا يؤدِّيه الآخر بالدقة ، وإن تُنَوِّس بعض هذه الخصائص ؛ وبعض المترادف آت من اختلاف لغات القبائل الفصيحة التي جُمِعَت لغاتها وتكثرت بها اللسان العربي المروي لنا المحفوظ في كتب اللغة

المعرب ( ٣ ) قلة الأعجبي المبرِّع منه بالمعرب ؛ على أنه لم يَقم إلى الآن دليل قطعي على أن كل الألفاظ المشتركة بين لغة العرب ولغات الأعاجم قلها العرب عن غيرهم ، حتى نحكم بأنها أعجمية

( ٤ ) ارسال الأساليب الكلامية على حسب ما تقتضيه البلاغة بدون تخاف ، وبدون مراعاة لما تستلزمه الصناعة البديعية

( ٥ ) خلو الكلام العربي من العن ؛ لأن الحق أن العربي لا يلحن في لفته

( ٦ ) غلبة الإيجاز على كلامهم كما ترى ذلك واضحاً في تحرهم ونثرهم



## تقسيم كلام العرب

يتقسم كلام العرب قسمين : نثراً ونظماً ؛ فالنظم هو الموزون المقفى ؛ والنثر ليس مرتبطاً بوزن ولا قافية

### النثر

#### المحادثة - الخطابة - الكتابة

الأصل في الكلام أن يكون مشوراً ؛ لإيادته مقاصد النفس بوجه أوضح ، وكلفة أقل ؛ وهو إما حديث يدور بين بعض الناس وبعض في اصلاح شئون المعيشة ، واجتلاب ضرور المصالح والمنافع وذلك ما يسمى ( المحادثة ) أو ( لغة التخاطب ) ؛ وإما خطاب من فصيح تأبه الشأن يلقيه على جماعة في أمر ذي بال ؛ وهذا ما يسمى ( الخطابة ) ؛ وإما كلامٌ فُصِي مدلول عليه بحروف وتغوش لإرادة عدم التلقظ به ، أو لحفظه للخلف ، أو لبعث الشقة بين المتخاطبين ، وذلك ما يسمى ( الكتابة ) . إذن فاقسام النثر ثلاثة : محادثة ، وخطابة ، وكتابة . وكلها إما أن تكون كلاماً خالياً من التزام التقفية في أواخر عباراته ، وذلك ما يسمى ( النثر المرسل ) ، وإما أن تكون قطعاً ملتزماً في آخر كل فقرتين منها أو أكثر قافية واحدة ، وهذا ما يسمى ( السجع ) وهو نوع من الحلية اللفظية إذا جاء عفواً ولم يتعمد التزامه ؛ ولحسن وقعه في الأسماع ، وخوكة <sup>(١)</sup> في الطباع ، كان أكثر ما يستعمل في الخطابة ، والأمثال ، والحكم ، والمفاخرات ، والمنافرات ، وتقرصات الكهان ، والكتابة التي من هذا الوجه . ومن أمثلة النثر المرسل ما قاله أبو جليل قيس بن خفاف البرنجي لحاتم في دماء <sup>(٢)</sup> صملاً : أتى صملاً دماء عوت فيها على مالى وآمالى ، فأما مالى فقد متته ، وكنت أكبر آمالى ، فان تحللتها فك من حق قضيت وهم كفيت ، وإن حال دون ذلك حائل ، لم أذم يومك ، ولم أئس من غدك

(١) حوكة تأثيره وأغده (٢) جمع دم والدم هنا هو الدية

انحصاره  
في اقسامه  
الثلاثة

المرسل

السجع

مثال لمرسل

أحد السجج ومن صيغ الكهان قول سَطِيع<sup>(١)</sup> بن مازن في تعبير رؤيا مالك بن نصر الأحمق  
أحد ملوك اليمن :

أحلف بما بين الحرتين<sup>(٢)</sup> من حش، إيهبطن أرضكم الحبش، وليملكن ما بين  
أبين<sup>(٣)</sup> إلى جرش<sup>(٤)</sup>

وقول شق أنمار<sup>(٥)</sup> في تعبير تلك الرؤيا :

أحلف بما بين الحرتين من انسان، لينزلن أرضكم السودان، وليملكن على كل  
مقلة<sup>(٦)</sup> البنان، وليملكن إلى ما بين أبين ونجران<sup>(٧)</sup>

ومن السجج في غير الكهانة، قول لبيد<sup>(٨)</sup> يصف قلة<sup>(٩)</sup> تدعى التربة هذه التربة  
التي لا تذكى<sup>(١٠)</sup> نارا، ولا تؤهل<sup>(١١)</sup> دارا، ولا تسرجارا، عودها ضئيل، وفرعها  
كليل<sup>(١٢)</sup>، وخيرها قليل، بلدها شاسع<sup>(١٣)</sup> ونبتها خاشع<sup>(١٤)</sup>، وآكلها جائع، والمقيم  
عليها ضائع، أقصر البقول فرعا، وأخشبها مرعى، وأشدّها قلعا، فتعسا<sup>(١٥)</sup> لها وجدعا<sup>(١٦)</sup>

## المحادثة أولغة التخاطب

لغة التخاطب عند عرب الجاهلية بعد أن توحّدت<sup>(١٧)</sup> لغاتها هي اللغة المعربة  
السمتلة في شعرها وخطبها وكتابتها؛ ولا فرق بينها في البلاغة إلا بقدر ما تستدعيه  
حال الخطابة والشعر والكتابة : من نبالة الموضوع والتأنق في العبارة

وأكثر ما وصل إلينا منها ما كان شريف المعنى، فصيح اللفظ . وما زعمه بعض

- (١) اسمه ربيعة بن عدي ، مات في أيام أبو شروان بعد موته صلى الله عليه وسلم
- (٢) المرة كل أرض ذات حجارة سود مخرة (٣) خلاف منه مدينة عدن المسمّورة
- (٤) خلاف باليمن من جهة مكة (٥) كلهم كان في زمن كسرى أبو شروان
- (٦) ثامة (٧) خلاف شمال اليمن (٨) عامر ستاني ترجمته (٩) البقل ما نبت
- في بزره لا في لزومة نايبة والبقعة واحدة (١٠) أذكى النار أوقدها (١١) من قولهم
- ثريسة مأهولة أي فيها أهالة وهي مأهولة من زيت ونحوه أي لا تؤدم (١٢) ضئيف
- غير صليب (١٣) بيد (١٤) دال من الأرض (١٥) هلاكا (١٦) قطعا
- (١٧) المراد بتوحد اللسان توحيدها بعد استئراج لغات العرب البائدة والقبطانية والمعدانية

بعض يسمي

باحثي زماننا : من أن هذه اللفظة لم تكن مُعرَّبة مطلقاً ، أو أنها كانت معربة عند الخاصة  
غير معربة عند العامة ، أو أن غير المعربة كانت خاصة بالمحادثة دون الشعر والخطابة  
والكتابة ، أو خاصة بلسان أطراف الجزيرة لمجاورتها أم الأتاجم دون أو أسطها - فننون  
لم يبق عليها دليل ، نشأت من عدم فهم كلام العلماء وثقل اللفظة

## الخطابة

لما كان جُلُّ العرب في جاهليتها قبائل مُتَبَدِّية<sup>(١)</sup> ، لا يربطها قانون عام ، ولا  
تضيقها حكومة منظمة ، ومن شأن المعيشة البدوية شَرُّ الفاترات لأوثى الأسباب ،  
والمداغمة بالنفس عن الروح والعرض والمال ، والمباهاة بقوة العصبية وكرم النجار<sup>(٢)</sup>  
وشرف الخصال ؛ وللقول في ذلك أثر لا يقل عن الصَّوْل<sup>(٣)</sup> - كانت الخطابة لهم  
ضرورة ، وفيهم فطرية . وإنما لم تصل إلينا أخبار خطبائهم الأوائل ، وشئ من  
خُطبتهم كما كان ذلك في الشعر ، لحَقْلهم قديماً بالشعر دون الخطابة ، ولصعوبة حفظ النثر  
وما عني الرواة بنقل أخبار الخطباء وخطبهم إلا عند ما حلت الخطابة بعد منزلة<sup>(٤)</sup>  
أسمى من الشعر ، لا بتهذبه بتعالى السفهاء والعامة له ، وتلوينهم<sup>(٥)</sup> بالتكسب به والتعرض  
للحُرْم ، فنبه بذلك شأن الخطابة ، واشتهر بها الأشراف . وكان لكل قبيلة خطيب  
كما كان لكل قبيلة شاعر .

واكثر ما كانت الخطابة في التعريض على القتال ، والتحكيم في الخصومات ،  
واصلاح ذات البين ، وتحمل النساء ؛ وفي المناخرات ، والمنافات ، والوصايا ،  
والوفادة على الملوك والأمراء ، وغير ذلك من الشئون الخطيرة  
وإذا كان جل القصد من الخطابة إثارة الشعور ، وإيقاظ الوجدان كما هو الشأن  
في الشعر ، كان جل الاعتماد فيها على الأدلة الخطائية المؤثرة في النفوس ، المهيجة  
للعواطف ، مُثَلَّة في صُورِ المبارات الرائعة ؛ وكثرت فيها الفواصل والاسمجاع الحسن  
ادلتها وسجعها

(١) مقبلة في البدايات (٢) الامس (٣) مصدر صال على قرنه حمل عليه

(٤) تلوينهم تلوينهم

وقبها ، على ما فيها : من استزواج الخطيب ، وسهولة تدارك المعاني

نصرها وخطب العرب منها الطوال ومنها القصار ، ولكلٍّ مكانٌ يليق به ، وهم الى القصار أميل : لانطباعهم على الإيجاز ، ولأنها الى الحفظ أسرع ، وفي الأصقاع أشيع ؛ وكانوا يُعْتَوْنَ في خطبهم ولا سيما القصار منها بسرده كثير من الحكم والأمثال والنصائح ، على أنه قلما رُوِيَ لنا خطبة بنصها <sup>(١)</sup> وفصها لفشو الأمية في الجاهلية ولعجز الرواة عن استظهار جميعها ، وانما يحفظون منها ما كان أشدَّ قرعاً للسمع ووقفاً في النفس ببارات تنفق في أصل المعنى ، وتفترق في بعض اللفظ

قيامهم فيها وكان من عادة الخطيب في غير خطب الإملاك <sup>(٢)</sup> أن يخطب قائماً ، أو على نَشْرٍ <sup>(٣)</sup> من الأرض ، أو على ظهر راحلته ، لا يباد مدى الصوت ، وللتأثير بشخصه ، صفات الخطيب واطهار ملامح وجهه ، وحركات جوارحه ؛ ولا غنى له عن لَوْثٍ <sup>(٤)</sup> المماهة ، والاعتماد على مِخْصَرَةٍ <sup>(٥)</sup> ، أو عصا ، أو قنّاة <sup>(٦)</sup> ، أو قوس ، وربما أشار بأحداها أو بيده . وقد كانوا يستحسنون أن يكون رابط الجأش <sup>(٧)</sup> ، قليل اللفظ <sup>(٨)</sup> جدير الصوت ، مُتَخَيِّرُ اللفظ ، قوى الحجة ، نظيف <sup>(٩)</sup> البزّة ، كريم الأصل ، عاملاً بما يقول .

أقدم الخطباء وخطباء العرب كثيرون ( من أقدمهم ) كعب بن لؤي <sup>(١٠)</sup> وكان يخطب على العرب عامة ، ويحضر كثافة خاصة على البرّة ، ولما مات أكبروا موته ، وأرثوا به حتى كان عام الفيل . وذو الإضيّع المدوّاني وهو خرثان بن مخرث ، وسمى كذلك لأن حية نهشت إبهام رجله فقطعها

(١) النص تبيين المعنى والفص مفضل المعنى ، والمعنى امت مفصلة مهيئة كالقلم صاحبها بالشبط  
(٢) الترويح (٣) مرتفع من الأرض (٤) عصب (٥) المخرصة السوما ونحوه وما يأخذه الملك ليشير به والخطيب اذا خطب (٦) دح (٧) التماسى شجاع (٨) الحفظ النظر بمؤخر العين وهو اشد من الشور ، والمراد قليل التلث والنظرات (٩) الهيئة والنياب (١٠) هو الجد الساج فني صلى الله عليه وسلم

(ومن أشهرهم) قيسُ بنُ خَارجة بن سنان خُليب حرب داحس<sup>(١)</sup> والنبراء . أشهر الخطباء وخُوَيْلِدُ بن عمرو النُفَافِيّ خُليب يوم الفِجَار<sup>(٢)</sup> . وقُسَ بن<sup>(٣)</sup> ساعدة الإياديّ خُليب عَكَّاف . وأكثم بن صفيّ زعيم الخطباء الذين أوفدم النعمان على كسرى : وم أكثم بن صفيّ وحاجب<sup>(٤)</sup> بن زُرارة التميميّان ، والحارث بن عباد<sup>(٥)</sup> ، وقيس ابن مسعود<sup>(٦)</sup> البكريان ، وطلّح بن جعفر<sup>(٧)</sup> ، وعلمقة بن<sup>(٨)</sup> عُلَكة ، وطامر بن الطُّفَيل<sup>(٩)</sup> العامريون ، وعمرو بن<sup>(١٠)</sup> الشريد السُلَميّ ، وعمرو بن معديكرب<sup>(١١)</sup> الزُّيَديّ ، والحارث ، بن ظالم<sup>(١٢)</sup> المرّي )

ترجم  
مختصرة لهم

(١) داحس والنبراء فرسان لقيس بن زهير سيد حبس ، وراثة حذيفة بن بدر الفزاري على ان يسابقه بهرسية : الحظار والخفاء ، فوضت فراوة كيا في طريق الساق ظلم وجه النبراء وكانت سابقة ، مهاج الحرب بين حبس وفراوة ، ثم بين حبس وذيان لتصرتها فراوة ، وفي القصة روايات اخرى

(٢) يوم الفجار حرب كانت بين قريش وهوازن حضرها النبي صلى الله عليه وسلم وكان عمره أربع عشرة سنة ، وسيت كذلك لانها كانت في الاشهر الحرم (٣) سنان ترجمة قس واكثم (٤) سيد من سادات نجيم ، وهو الذي وفد على كسرى حين منع نجما من ريف العراق حتى اصابهم القحط ، فأجبه به ومنحه مطبخا ، وتهد له حاجب بحسن الجوار ، ورحن عنده فوسه على ذلك قبلها منه ، وبقيت عند كسرى حتى اخذها ابن حاجب ثم يمت به بأربعة آلاف درهم (٥) كثراب كال خطيبا مؤثرا ، وشاعرا يلغا ، وله عمل جليل في الحرب التي انتشبت بين بكر وتلب لقتل كليب بهد أن اضرتها ، وله فيها قصيدة مشهورة

قرا مرابط التمامة مني لقتعت حرب وائل من جبال

(٦) هو قيس بن مسعود بن خالد بن ذى الجدين كان كريما طال الهمة من افضل العرب حسبا ونسبا وكانت تتر له التبايل كلها بذلك بل هي وكسرى ايضا ، وكان له حبرة فيها مائة من الابل لاضيافه اذا تحرت ثافة قيدت اخرى مكاتها (٧) سيد من سادات بني عامر ، غلب قومه من البوذية لافطال بهد ان قتل سيدها زهير بن جذيمة (٨) خطيب بلغ اشهر في قومه باللمة والحفاظة على الجوار والقتل الرابع والحسب الواضح (٩) هو ابن مريد الصحابي شاعر معين ، وقرس من اشهر فرسان العرب بمجدة وابدهم اسما ، ولقد بلغ من شهرته ان يقصر كان اذا قدم عليه قادم من العرب قال مايتك وبين عامر قال كانت بينه وبينه رحم واشجبة ، قره وأكرمه

(١٠) وهو ابو السيدة تماضر الخشاء يميل الى الغفر والصرافة في القول ولقد بلغ من تنال في ذلك انه كان يأخذ ابيه معاوية وصغرا في المواسم البامة ويقول انا ابو خيرى مضر فن اتكر طيبر فلا يغير ذلك عليه احد (١١) خطيب شاعر ، وقرس قاهر ، وصحابي جليل ، شهد اليرموك والتداسية وأبلى فيها البلاء الحسن على كبر في سنه وضيف في جسمه (١٢) كان شجاعا فائكا ، وخطيبا شاعرا ، يميل الى مفاخرة الحمر . وهو الذي قتل خالد بن جعفر فقتله اياه وكثيرا من قومه

## قس بن ساعدة اليايى

هو خطيب العرب قاطبة، والمضروب به المثل في البلاغة والحكمة والموعظة الحسنة، كان يدين بالتوحيد، ويؤمن بالبعث، ويدعو العرب الى نبذ السكوف على الأوثان<sup>(١)</sup>، ويرشدهم الى عبادة الخالق، ويخطبهم بذلك في المحافل العامة، وهو اسم الأسواق؛ ويقال إنه أول من خطب على شرف، وأول من قال في خطبه (أما بعد) وأول من أتى على سيف أو عصا في خطابه؛ وكان الناس يتحاشون اليه فيقضي بينهم بسديد رأي، وصائب حكمه، وهو القائل (البينة على من أدعى، واليمين على من أنكر). وصممه النبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة يخطب في عكاظ على جبل أوزق<sup>(٢)</sup> فعجب من حسن كلامه وأظهر من تصويبه، وأثنى عليه؛ وعمر قس طويلاً ومات قبيل البعثة. وقد كان مهذب الألفاظ، قوى التأثير، بعيداً عن الحشو والافتقار في كلامه، يميل الى السجع القصير الفواصل ويكاد يلزمه

ومن خطبه خطبه التي خطبها في سوق عكاظ: وهي كما في صبح الأعشى<sup>(٣)</sup> أيها الناس اسمعوا وعوا، من طاش مات، ومن مات فات، وكل ما هو أنت آت. ايل داج<sup>(٤)</sup>. ونهار ساج<sup>(٥)</sup>. وسماه ذات أبراج<sup>(٦)</sup>. ونجوم تزهر<sup>(٧)</sup>. وبحار تزخر<sup>(٨)</sup> وجبال رؤساء، وأرض مدحاه<sup>(٩)</sup> وأنهار مجراه. ان في السماء لخير<sup>(١٠)</sup>، وإن في الأرض لخير، ما بال الناس يذهبون ولا يرجعون، أرضوا فأفاهوا، أم تركوا أفاهوا؟ يقسم قس بالله قسماً لا إثم فيه: ان لله ديناً هو أَرْضى لكم وأفضل من دينكم الذي أتم عليه. إنكم لتأتون من الأمر منكراً. ويروى أن قساً أنشأ بعد ذلك يقول:

(١) الاصنام (٢) الاوزق من الابل ما لي لونه يبيض الى سواد (رمادى)

(٣) صفحة ٢١٢ من الجزء الاول طبع سنة ١٣٣١ هـ بالمطبعة الاميرية

(٤) مظلم (٥) السامى الساكن والدائم (٦) البرج واحد الابراج: وهي اثنا عشر برجاً تقابلها الشمس في طريقها طول السنة. والبرج صورة من مجموعة كواكب تشبه صورة حيوان أو شيء (٧) تضيء وتتلألأ (٨) تظمى وترتفع (٩) مدحوة أى بسوطة وأنا جاءت على هذا الوزن لمشكلة اخواتها في اللفظ (١٠) أى في صنع السماء لمديلاً على خلق عظيم

في الذاهبين الأولين من القرون لنا بصائر<sup>(١)</sup>  
لما رأيت موارد الموت ليس لها مصادر<sup>(٢)</sup>  
ورأيت قومي نوحوها تمضي: الأكابر والأصغر  
لا يرجع الماضي إلى م ولا من الباقيين غابر<sup>(٣)</sup>  
أقنت أني لا عما لة حيث صار القوم صائر

### أَكْثَمُ بْنُ صَيْفِي

هو أعرف الخطباء بالأنساب، وأكثرهم ضرب أمثال، واصابة رأى، وقوة حجة؛  
كان خطيباً مصمماً<sup>(٤)</sup>، وحكماً موفقاً، رفيع المكانة في قومه؛ يُمد من أشرافهم ومن  
كبار المحكمين فيهم؛ وقُل من جواره من خطباء عصره في معرفة الأنساب، وضرب  
الأمثال، والاهتداء لحل المشكلات، والسداد في الرأي؛ وهو زعيم الخطباء الذين  
أوفدهم النعمان على كسرى، وكلهم خطباء مصاقع ولسنّ مقال؛ ولقد بلغ من اعجاب  
كسرى به أن قال له: لو لم يكن للعرب غيرك لكني: وقد عمر طويلاً حتى أدرك  
مبعث النبي صلى الله عليه وسلم، وجمع قومه وحشهم على الإيمان به؛ وفي اسلامه روايات.  
وكان في خطبه قليل الحجاز، حسن الإنجاز، حلو الألفاظ، دقيق المعاني، مولماً بالأمثال،  
لا يلزم السجع؛ يميل الى الاقتاع بالبرهان، ويعتمد في خطابه على قوة تأثيره وشدة  
عارضته<sup>(٥)</sup> لاعلى المبالغة والتهويل. ومن جيد خطبه خطبته أمام كسرى وهي:  
ان أفضل الأشياء أعاليها. وأعلى الرجال ملوكهم؛ وأفضل الملوك أعظمها فتكاً.  
وخير الأزمنة أخصبها؛ وأفضل الخطباء أصدقها. الصدق منجاة. والكذب مهواه.  
والشرُّ لجاجه<sup>(٦)</sup>، والحزْم مركب صعب. والعجز مركب وطي<sup>(٧)</sup>. آفة الرأي الهوى.

(١) جمع بصيرة وهي العلم والخبرة (٢) وود الماء اتاه ليصرف، وصدر عنه شرب ورجع  
أي تذهب الناس الموت ولا تعود (٣) مقيم (٤) المصقع البلع أو العالي الصوت أو الذي  
لا يرجع عليه في كلامه ولا يمتنع (٥) البيان والسنن والجهد والصرامة والقنطرة على الكلام  
(٦) العجاج والبجاجة تمناحك الحصيدين وتماديهما أي ان أصل الفجر البجاجة (٧) مهمل لين

والعجز مفتاح الفقر . وخير الأمور الصبر . حسن الظن وَرَظَه <sup>(١)</sup> ، وسوء الظن عِصْمَه .  
اصلاحُ فساد الرعيّة خير من اصلاح فساد الراعي . من فسدت بطائنه <sup>(٢)</sup> كان  
كالغاص <sup>(٣)</sup> بالماء . شر البلاد بلاد لا أمير بها . شر الملوك من خافه البرى . المرء  
يسعى لا محالة . أفضل الأولاد البررة . خير الأعوان من لم يُراء بالنصيحة . أحق  
الجنود بالنصر من حَسُنَّت سريره . يكفيك من الزاد ما يَلْفُك المحل . حسبك من  
شرِّ سماعه . الصمتُ حَكْمٌ <sup>(٤)</sup> وقليل فاعله . البلاغة الإيجاز . من شدد قَرَّ ومن  
تراخى تألف

## الكتابة

نشأ الخط العربى  
يراد بالكتابة عند الأدباء صناعة انشاء الكتب والرسائل ، واذ كانت الكتابة بهذا المعنى تُؤدَّى بالنقوش السهلة بالخط ، ناسب أن نُشير هنا الى نشأة الخط العربى فنقول

أول حَقَّة من سلسلة الخط العربى هى الخط المصرى القديم ، ومنهُ اشتق الخط الفينيقى <sup>(٥)</sup> ومن هذا اشتق الآرامى <sup>(٦)</sup> والسند بأنواعه : الصفوى والتمودى والحياتى شمالى جزيرة العرب ، والهميرى جنوبها . ومن هنا اختلف رأى رواة العرب ورأى باحثى الافرنج فبرى باحثو الافرنج أن قد تولد من الخط الآرامى خطوط منها النبطى <sup>(٧)</sup> والسريانى . والأول يظهر فى حروفه الاتصال ، ومنه أخذ أهل الحيرة والأخبار خطهم التسخى المنسوب اليهم ، ومنها وصل الى أهل الحجاز . والثانى اشتق العرب من نوع منه يسى بالسُّطر نجلى خطهم الكوفى .

رأى  
الافرنج فيه

(١) الورطة الملحة وكل أمر تسر النجاة منه (٢) أصحابه وأصدقائه (٣) العرق بالماء (٤) الحكم (المسكة) ومنه قوله تعالى وآتيناك الحكم صبياً ، والمعنى أن استعمال الصمت حكمة وكل من يستسهل (٥) الفيلقيون سكان أرض كنعان وكانت على ساحل البحر الايض بمعاذة جبل لبنان (٦) الارام الامم السامية القديمة التى كانت تسكن شمالى بلاد العرب فى فلسطين والشام والى العراق (٧) مملكة الانباط كانت فى القرن الاول قبل الميلاد تنقسم من شمال الحجاز الى نواحي دمشق أى كانوا يملكون مدين وخليج النقة والمحير وفلسطين وحوران



أما رواية العرب قبل الإسلام وبعدة فاتهم يقولون : أنهم أخذوا خطهم الحجازي<sup>١</sup> رأى العرب  
عن أهل الحيرة والأنبار ، وهما عن كندة<sup>(١)</sup> والنبط<sup>(٢)</sup> الناقلين من المسند ؛ ونحن  
نرى رأيهم لأسباب : منها العُورُ على فروع من الخط المسند في أراضي النبط وشمالها  
بعضها وهو الصفوى قريب الشبه جدًا من أصله الفينيقي

ومنها وجود حروف الروادف وهي : تُخذ ضُظُغ في الخط المسند دون الآرامي  
ومنها صريح الإجماع من رواية العرب على أن الخط العربي مأخوذ من الحيرى  
والأنبارى ، وهو مأخوذ من المسند على يد كندة والنبط

أما الكوفى الذى لم يعرف إلا بعد تمصير الكوفة فليس إلا نتيجة هندسة ونظام  
فى الخط الحجازى . ولعل شبهة الأفرنج آتية من شيوخ استعمال السطرنجيبلى والكوفى  
فى الكتابة الجلية على المعابد والمساجد والقصور وما شاكلها مع شدة تشابه ما فيها  
من الزخرفة والزينة

بسلسلة الخط العربى على رأى الأفرنج سلسلة الخط العربى على رأى رواية العرب



(١) يعلم ذلك مما قاله ابن عباس حين سئل عن أصل الخط العربى وخلاصته أن قريشاً  
أخذته عن حرب بن أمية وهو من عبد الله بن جدعان أو بشر بن عبد الملك اخى اكيدر صاحب  
دومة الجندل، وهما عن أهل الحيرة والأنبار عن طارئ طراً عليهم من اليمن من كندة  
(٢) يعلم ذلك من رواية المسودى وابن السكيت وهى أن بنى الحصن بن جندل بن مصعب  
ابن مدين هم الذين فسروا الكتابة ( يريد النبط )

وهاك جدولاً يبين لك نشأة هذه الخطوط المختلفة على رأى العرب

مصرى لغة	فيل	مسند وآزى	كندى وبعلبى	حبرى وانبارى	نسخ عادى
ا	ك	А А	Ⲁ Ⲁ Ⲁ Ⲁ	ا ا	ا
ب	گ	В В	Ⲃ Ⲃ	ب ب	ب
ج	ح	Г	Ⲅ Ⲅ	ج ج	ج
د	د	Д Д Д Д	Ⲇ Ⲇ	د د	د
هـ	هـ	Е	Ⲉ Ⲉ	هـ هـ	هـ
و	و	•	Ⲋ Ⲋ	و و	و
ز	ز	Ж	Ⲍ Ⲍ	ز ز	ز
ح	ح	Ч Ч	Ⲏ Ⲏ	ح ح	ح
ط	ط	Ц Ц Ц	Ⲑ Ⲑ	ط ط	ط
ى	ى	Ч	Ⲓ Ⲓ	ى ى	ى
ك	ك	К К	Ⲕ Ⲕ	ك ك	ك
ل	ل	Л Л	Ⲗ Ⲗ	ل ل	ل
م	م	М М М	Ⲙ Ⲙ	م م	م
ن	ن	Н	Ⲛ Ⲛ	ن ن	ن
س	س	О О О	Ⲝ Ⲝ	س س	س
ع	ع	•	Ⲟ Ⲟ	ع ع	ع
ف	ف	Ф	Ⲡ Ⲡ	ف ف	ف
ق	ق	•	Ⲣ Ⲣ	ق ق	ق
ر	ر	Р Р	Ⲥ Ⲥ	ر ر	ر
ش	ش	Х Х	Ⲧ Ⲧ	ش ش	ش
ت	ت	•	Ⲩ Ⲩ	ت ت	ت

أما الكتابة بمعنى إنشاء الكتب والرسائل ، فهي لازمة لكل أمة متحضرة ذات  
حكومة منظمة ، ودواوين متعددة ، وصناعات متنوعة ، وتجارة رائجة ، وزراعة نامية ،  
وفنون مختلفة ؛ وقد كان بعض ذلك موفوراً في ممالك التباية جنوباً ، وأوراً عن  
ممالك المناذرة والفساستة شمالاً ؛ ولذلك استعمل الخط المسند الحيري عند الأولين  
من عهد مديد ، والأنباري الحيري عند الآخرين ، وإنما لم يصل إلينا شيء من  
رسائل تلك الأمم ولا من كتب فنونها ودينها غير ما عثر عليه في بقايا خرابهم وسدود  
مياهم وبعض دقائن الأنجار والقبور ؛ لتقدم عهد أهلها وعدم استكمال البحث بمد  
في بلادها . ولعل الزمان يُعثرنا على شيء منها

ولم يعرفنا التاريخ أيضاً بأحد من كتاب هذه الصناعة الأبدى بن زيد كتاب الجاهلية  
المبادئ<sup>(١)</sup> الذي كان كاتباً مترجماً عند كسرى

أما البدو من سكان أواسط الجزيرة وهم جمهور مضر وبعض القحطانيين فكانوا  
أمة من المغول أنهم لم يعرفوا الكتابة الانشائية الأبدى أن عرفوا الخط آخر عصور  
الجاهلية ، وهو ما نقل عنهم فيه : أنهم كانوا يكتبون في بدء رسائلهم باسمك اللهم  
ومن فلان الى فلان ، وأما بعد . ولم تهم لهم دولة بالمعنى السابق الأقيام الاسلام  
فهو الذي أفشى فيهم الخط والكتابة

ولما كانت علوم كل أمة ( وخاصة اللسانية منها ) لما الأثر العظيم في تكوين فكر  
الأديب وخيال الشاعر والبلاغة الحسن في ترويض اللسان ، وتوفير مادة الفقه ، وكانت  
كتابتها قسماً قائماً بنفسه يسمى كتابة التدوين<sup>(٢)</sup> والتصنيف<sup>(٣)</sup> - ناسب أن تُعرف  
موضوعاتها ويؤتى على خلاصة نشأتها في تاريخ الأدب

(١) نسبة الى عباد وهم قبائل شق من العرب اجتمعوا على التصارية بالحيرة

(٢) تدوين الكتاب جملة ديواناً ، والديوان مجتمع الصحف ، والكتاب والدفتر يكتب فيه

(٣) تصنيف الأشياء جملة صنفاً ، وتمييز بعضها من بعض ، ومنه تصنيف الكتب أى لانه

جمع كل طائفة متشابهة من المسائل في باب فكان التدوين أعم من التصنيف

## علوم العرب وفنونها

العلوم والصناعات لازمة لحضارة الأمم، متناسبة معها، ومن العرب أهل حضارة دلت عليها دولهم العظيمة، وقدم تاريخهم، وأثارهم الخالدة، وهم التبابعة في اليمن، والمناذرة والغساسنة في الشمال، وإذا تكون هندسة إرواء الأرض وعمارة المدن، والحساب، والطب، والبيطرة، والزراعة ونحوها معروفة في الجنوب والشمال مدونة في الكتب، وإن لم يحفظ لنا الدهر صوراً منها. أما البدو منهم وإن كانوا أميين يمتنون الصناعات، ويشتقون أهلها فلا غنى لهم عن تجربة ترشدكم إلى ما ينفعهم في بواديهم المقفرة، ومجاهلهم الطامسة ليعرفوا متى تجود السماء، وبم يتميز الأقرباء من البعداء، فكسبهم ذلك علم النجوم، والطب الضروري، والأنساب، والأخبار، ووصف الأرض، والفراسة، والعياقة، والقيافة، والكيانة، واليرافة، والزجر، وقرض الشعر علم النجوم - هو معرفة أحوال الكواكب : من طلوعها، وغروبها، وأوتارها، وأنوارها، ومواضعها، وقرانها، وصور أفرادها وجامعاتها، وما يرتبط بها : من حرّ وبرد، وأمطار ورياح، واعتدال زمان، وتناج حيوان، إلى غير ذلك : مما تمس إليه حاجتهم، وتدعو إليه ضرورتهم. وقد كانوا أبرع في هذا العلم منهم في كل علم سواه، تعرفه حاتمهم<sup>(١)</sup> قبل خاصتهم، للاعتداه به في ظلمات البر والبحر، ومعرفة أزمانه الحبيب والمحل. وبعض ممارفهم فيه مستمد من الكلدان لاختلاطهم بهم، ولا تفاق اللغتين في كثير من أسماء الكواكب والبروج، ومن أشهرهم فيه بنو حارثة بن كلب، وبنو مرة بن همام الشيباني

علم النجوم

الطب والبيطرة

الطب الانساني والحيواني (البيطرة) - وقد عاناه من العرب كثير ومن

(١) قال الاصمعي كان شيخ من الاعراب في خبائه وابنه له بالقضاء اذ سمع رجلاً فقال ما تزين يا بنية قالت اراها حواء قرحاء، كأنها اعراب اغان قراء، ثم سمع واحدة أخرى فقال كيف ترينها قالت اراها جة الترحال، متساقطة الاكشاف، تطاق بالبرق والولاف، قال هللى للفرقة انتهى نوباً

أكتسبوه بمحذقهم وتجاربهم ومما نقلوه عن غيرهم ، يدل لذلك كثرة ما نجلده في لغتهم : من أسماء الأمراض ، والأدوية ، وأسماء الأعضاء الباطنة والظاهرة وأوصافها المختلفة وأجزائها الدقيقة ، وكانوا يمالجون بالعقاقير<sup>(١)</sup> تارة ، وبالزئام والرفق<sup>(٢)</sup> أخرى ، وأطواراً يستعملون الحجامة<sup>(٣)</sup> والكي بالنار . ومن أمثالهم ( آخر الدواء الكي ) . ومن مشهورهم الحارث بن كلدة الثقفي وابن حديم التميمي

الانساب - علم تُعرف به القربات التي بين بعض القبائل وبعض فتلحق فروعها بأصولها . وانما دعاهم الى العناية به حاجتهم الى التناصر بالعصبية ، لكثرة حروبهم ، وتفرق قبائلهم : وأنهم من أن يكون لغريب عنهم سلطان عليهم ، وحبيهم الاختصار بأسلافهم ، ولذلك كانوا يحفظون أنسابهم ، ويروونها أبناءهم ، ويحافظون عليها جهدهم ومن اشتهر بمعرفة أنساب العرب : دغفل بن حنظلة الشيباني ، وزيد بن الكيس الندري ، وابن لسان الحنظرة

الاخبار والتاريخ والقصص : هي معرفة أحوال السابقين ، وكانوا يعرفون منها الاخبار والتاريخ ما كان عليه أسلافهم وبعض مجاورهم من الأحوال الماثورة ، ووقائع أيامهم المشهورة وهي كغيرها من أخبار الأمم القديمة بعضها صحيح وبعضها حديث خرافة . وقد جاءنا منها شيء ليس بالقليل في شعرهم ونثرهم وأمثالهم . كقصص الفيل ، وحرب داحس والغبراء ، وحرب اليسوس<sup>(٤)</sup> ، ويوم<sup>(٥)</sup> ذي قار ، وحرب الفجار

- (١) جمع عطار ككتان وعقير كسكيت ما يتداوى به من نبات وغيره
- (٢) الزئام جمع هزيمة من حزم الزاق على الماء والجن والارواح كأنه أقسم عليها ، والرفق رقية وهي ما يتلوه الشخص في ذلك
- (٣) صناعة الحجامة ، والحجم من الدم من الرمش بإداة تسمى المحجم
- (٤) هي حرب دامت بين بكر وتلب أربعين سنة ، وسببها أن رجلاً من قبيلة جرم نزل ضيفاً على اليسوس التميمية خالة جساس بن مرة البكري ، وهجرى فاقعة أخذت ترمي مع ابن كليب سيد تلب ، وكان جباراً يحمي أرضه أن ترمي فيها ابن غيره فيهر بناق الجرمي بين ابنه فرماها بهم في مزرعها فولت تصبغ الى فناء صاحبها فاستغاث بأُم مثناء اليسوس فصاحت واذلاء قاتلهم جساس مرة من كليب وقتل ليلة فلبثت الحرب بين التميميين
- (٥) موضع بقرب الكوفة كان به يوم لقي شيان وهجل على الفرس وهو اول يوم انتمى فيه العرب من المعجم

وصف الارض - وصف الارض - هو معرفة كل بقعة وما يجاورها وكيف يهتدى اليها  
ومن قرأ شعر العرب في نسيهم ، واطلع على وصف أطلالهم <sup>(١)</sup> ودهنهم <sup>(٢)</sup>  
ومصافهم ومرايهم ، وكيف كانوا يحدون الحفير منها بحدود قلداً تحد به مملكة  
عظيمة - عرف شدة جذبهم بمعرفة بلادهم ، مما كان له الفائدة الجبلى في امداد علم

وصف الأرض ( الجغرافية ) بمواضع بلادهم ولبائنها

الفراسة - هي الاستدلال بهيئة الانسان وشكله ولونه وقوله على أخلاقه وفضائله  
ووزائله . وقد نبغ فيها من العرب من لا يحصى عددهم ، ولم في ذلك نادر شئ <sup>(٣)</sup>

القيافة - ضرب من الفراسة منشؤه قوة الخيال والحافظة والذكاء : وهي الاهتداء  
بآثار الأقدام على أربابها ، أو الاستدلال بهيئة الإنسان وأعضائه على نسبه ، وربما  
خصوا النوع الأول باسم القيافة ، وللمرب في ذلك أمور تكاد تدخل في عداد  
المستحيلات ، فقد كانوا يميزون بين أثر الرجل والمرأة ، والشيخ والشاب ، والأعمى  
والبصير ، والأحمق والكيس ، وإذا نظروا عدة أشخاص ألحقوا الآبن بأبيه والأخ  
بأخيه ، والقريب بقربيه ، وعرفوا الأجنبي من بينهم - ومن اشتهر بالقيافة بنو

مذليج <sup>(٤)</sup> ، وبنو لب <sup>(٥)</sup> ، ولا يزال هذا العلم باقياً عند عرب البوادي

الكهانة والعرافة - وهما القضاء بالغيب ، وربما خُصت الكهانة بالأمر المستقبل  
والعرافة بالماضي ، وطريقهم في ذلك الاستدلال ببعض الحوادث الخالية على  
الحوادث الآتية لما بينهما من المشابهة الخفية ، أو المناسبة البعيدة ، أو الارتباط الدقيق ،

(١) الطلل الشاخص من الآثار (٢) الدمن جمع دمنة وهي آثار الناس وما سودوه بالرماد  
والسرجين (٣) منها ان اولاد زار ذهبوا الى الانفى الجرهمي ليحكم بينهم في ميراث ابيهم  
ويضا هم في الطريق اذ رأى مضر كلاً قد رمى فقال ان البير الذي رمى هذا اهور ، فقال ربيعة  
هو ازور ، وقال اباد هو ابر ، وقال انا هو شرود وبعد قليل لقيهم رجل يشد بغيره فوسفوه  
كما تفرسوا فخلق بهم وذهبوا الى الانفى الجرهمي فقال كيف وصفتوه ولم تروه فقال مضر رأيت  
يرمى جانباً وفتح آخر فصرقت انه اهور وقال ربيعة رأيت احدى يديه ثابتة الاثر والاخرى  
فاسدته فصرفت انه ازور ، وقال اباد رأيت يمره مجتمعا فصرفت انه ابر ، وقال انا رأيت يرمي المسكان  
المثقب ثم يهزوه الى غيره فصرفت انه شرود فقال الجرهمي لصاحب البير اطلب بغيرك من غيرهم  
ثم قال لهم انحطبون الى واتهم كما أرى ؟ (٤) قبيلة من كنانة (٥) بطن من الازد

ويحتاج صاحبها الى كثرة التجارب وحدة الذكاء، وصدق الفراسة  
والعرب في الكتمان اعتقاد عريض، لزعمهم أنهم يملكون الغيب، فيرفعون اليهم  
أمورهم للاستشارة، ويستغضونهم في الخصومة، ويستفسرونهم عن الرؤى،  
ويستطبونهم في أمراضهم. ومن اشتهر من الكتمان شيق أنمار وسطيح الذنبي، ومن  
الكوهن طريفة<sup>(١)</sup> الحخير، وسلي<sup>(٢)</sup> الهمدانية، ومن المرافين عراف نجد: الأبلق  
الأسدي، وعراف اليمامة: رباح بن عجلة

الزجر - وهو الاستدلال بأصوات الحيوان وحركاته وسائر أحواله على الحوادث  
بقوة الخيال والاسترسال فيه. ومن أشهر الزجاريين بنو رطب وأبو ذؤيب الهمداني  
ومرّة الأسدي

ومن العرب من لم يعبأ بالزجر وما شاكله كليد بن ربيعة وضابي بن الحارث  
قد قال الأول:

لعمرك ما تدري الطوارق<sup>(٣)</sup> بالخصى ولا زاجرات الطير ما الله صانع  
وقال الثاني:

وما عاجلات الطير تُدري من الفتى نجاحاً ولا عن رثيون<sup>(٤)</sup> ينجب  
وربّ أمور لا تضيرك ضيرة<sup>(٥)</sup> ولقلب من غشائين<sup>(٦)</sup> وجيب<sup>(٧)</sup>  
ولا خير فيمن لا يوطن نفسه على ثابت النهر حين تنوب<sup>(٨)</sup>



(١) زوج عمرو بن طمر موشيا: أحد ملوك اليمن

(٢) بنت سيد همدان

(٣) الطرق بالخصى هو ضرب المصى بطنه يمشى والتأوه للنظر فيه كما يعمل بعض النساء بالودع

(٤) رثيون

(٥) مصدر غشى بمعنى غاف

(٦) غشائين (٧) تنزل

## النظم الشعر والشعراء

### ✽ الشعر ✽

النظم هو القسم الثاني من قسم الكلام، وعرفه العروضيون بأنه الكلام الموزون المقفى قصداً، ويرادفه الشعر عندهم، أما المحققون من الأدباء فيخصّصون الشعر - بأنه الكلام الفصيح الموزون المقفى المعتبر غالباً<sup>(١)</sup> عن صور الخيال البديع . وإذا كان الخيال أغلب مادته أطلق بعض<sup>(٢)</sup> العرب تيموزاً<sup>(٣)</sup> لفظ الشعر على كل كلام تضمن خيالا ولو لم يكن موزونا مقفياً . وهو يوافق رأى قدماء الإفرنج ومُحدثيهم في شعرهم، ورأى المناطقة أيضاً، لأن المنطق مستمد من اليونان<sup>(٤)</sup>

الشعر  
عند العرب

ولجزءه وفق النظم الممثل في صورة الوزن والتقفية ، وظهوره في حلل الخيال الرائع، كان تأثيره في النفس من قبيل إثارة الوجدان والشعور، بسطاً وقبضاً، وترغيباً وترهيباً، لا من قبيل اتعاق الفكر بالحجة الدائمة ، والبرهان العقلي ؛ ولذلك يُجمل أثره في إثارة العواطف وتصوير أحوال النفس، لافي الحقائق النظرية ؛ ولا ريب أن النفس ترتفع بصور المحسوس الباهر<sup>(٥)</sup> وما أنتزع منه من الخيال العجلى<sup>(٦)</sup> لحفة مؤثته

مادة الشعر  
وتأثيره

(١) وقد يبره عن الحقائق الثابتة من غير مدخل الخيال فيها كإيات الحكيم والواقع والامثال (٢) فقد قال حسان لابته ( شعر ورب الكعبة ) حينما سمعه يصف الحيوان الذي لسه بقوله « كأنه ملتف في بردى جره » ومن هذا تسمية بعض علماء الأدب عندنا النثر المسجوع المقند على الخيال من مثل مقامات الهندائي والمريرى، ووسائل القاضي الفاضل، ولسم الصبا شعراً متثوراً . وأما تسمية بعض اللاندين من كتفاد العرب التركان شعراً والتي شاعراً ، فذلك من باب التباد أو الحيرة والدهشة : لانهم كما سموه شعراً سموه سحراً وكهانة وقصصاً لأساطير الاولين (٣) من باب اطلاق الجزء على الكل (٤) ومن هنا يظهر وجه شبهة بعض كتّاب عصرنا بمن درس أدب لغة الإفرنج في خططهم بين مذهب القوم ومذهب العرب في الشعر الحقيقي (٥) بجره غلبه أما بقوته وشدة وأما بحسنة وجماله (٦) أى في الحسن أو التبع



عليها، وإراحته لها من المئات والكث، فكيف اذا انضم الى ذلك نعم الوزن والقافية الشديد الشبه بتأثير الإيقاع<sup>(١)</sup> والتلحين<sup>(٢)</sup> الذي يَطْرَبُ له الحيوانُ فصلاً عن الإنسان

والعرب بفطرتهم مطبوعون على الشعر: لبداوتهم، وملاءمة يتشبهم لتربية الخيال؛ فالبدويّ لحرّيته واستقلاله بأمر نفسه، وعدم خضوعه لسيطرة مُدِلَّة، أو لقوانين نظرية، أو سلطانٍ قاهر، يغلبُ على أحكامه الوجدان، ويُسلِّكُ اليه من طريق الشعور، ومعيشة البدويّ فوق أرض قية التربة، مبسوطة الرقعة، مجلوة الآفاق، وفيرة الوحش والطير؛ وفي جوّ صحيح الهواء، وتحت سماء صافية الأديم، ساطعة الكواكب، ضاحية الشمس، سافرة البدر جَلَّتْ لحسنة مناظر الوجود، وعوالم الشهود، فكان لخياله من ذلك مادة لا ينفور ماؤها، ولا يتنصب معيها، فهاج بها في كل وادٍ، وأفاض<sup>(٣)</sup> منها الى كل مراد؛ وكان له من لنته وفصاحة لسانه أقوى ساعد، واكبر معاضد.

ويُشعرُ الإنسان بطبعه أن الشعر متأخر في الوجود عن النثر، ضرورة تأخر المقيد من المطلق، وإن كانت واسطة بين النثر والشعر، فليست إلّا السجع، لما فيه من معادلة الفقر، والتزام القافية، والميل الى التفتي به، كما يشاهد ذلك في صغار الصبيان؛ فيظن أن متفتيًّا بسجع وقع له صجعتان متوازيتان وزناً سهلاً (قيل انه الرجز) فأعجبه ذلك ومضى فيه، وتمت له قطعة من الشعر، رآقت من سمعها، وحاكوه اشترع الشعر فيها، وتغنّوا بها، فكان من ذلك المقطعات<sup>(٤)</sup> والأراجيز الصغيرة، يتحدّون بها الإبل، ويُعدّدون بها المكارم؛ ثم لما تمت ملكة الشعر فيهم، واتسعت أغراضُ أمامهم، توعوا الأوزان وأطالوا القوافي، وقصّدوا القصيد

ولبعد العهد بقدماء الحضرة من العرب، ومكان الأمية من بدوهم، خفي علينا (كأكثر الأمم) مبدأ قول الشعر، وأول من قاله، بل لم يبلّغنا ما قيل منه في تلك العصور الفائرة والقرون الطويلة الحالية شيء، حتى كان منتصف القرن الثاني قبل

(١) الإيقاع تعيين الألفاظ وضبط نسبها (٢) التلحين الصوت المصنوع بكيفية خاصة

(٣) ائدفع وأسرع (٤) المقطعة ما دون القصيدة من الايات، والقصيدة على أرجح الأقوال ما يثبت من سبعة أيات فصاعداً

سبب انطباع  
العرب على الشعر

مرتبة الشعر  
في الوجود

جل

أولية الشعر

المهجرة، فروى لنا منه قل من كثر أدركه رواة اللغة ودَوَّثوه قبل أن يبدى كما باد  
من الشعر سلفه. أما ما نسب من الشعر الى آدم وابليس والملائكة والجن والعرب البائدة،  
فهو حديث خرافة مدسوس على أهل الغفلة من الرواة : لسخافة نسجه، وركاكة<sup>(١)</sup>  
لفظه، وبكاذبة<sup>(٢)</sup> معناه ؛ ولأن لغة هؤلاء غير لغة مضر المنظوم بها هذا الشعر، وانما  
ساقم الى ذلك ما رأوه في طبائع الناس من ميلهم الى معرفة المجهول، وشغفهم  
بالغريب، واسترسالهم في الخيال

فعماء الشعراء والشعر الذى صحت روايته منذ أواسط القرن الثانى قبل الهجرة ينتهى أقدم  
مطولاته الى مهلهل بن ربيعة، وأقدم مقطعاته الى قمر لطم لم يعمدوا عنه طويلاً،  
مثل التبر بن عمرو بن تميم، ودريد بن زيد بن نهد - وأعصر بن سعد بن قيس  
عيلان، وزهير بن جئاب الكلبي، والأفوه الأودى، وأبو ذؤاد الإيادى

أول من قصه القصائد وقد روى أنه لم يكن لأوائل العرب من الشعر إلا الآيات يقولها الرجل في حاجته  
وأن أول من قصد القصائد وذكر الوقائع المهلهل بن ربيعة التغلبي في قتل أخيه كليب،  
فهو أول من رويت له كلمة تبلغ ثلاثين بيتاً، وتبعم الشعراء، مثل امرئ القيس،  
وعلقمة، وعبيد، ممن أخرجوا لنا الشعر العربى في صورته الحاضرة؛ والمعقول أن  
هذه الصورة لم تتشكل طرفة في تنوع الأوزان، وطول القوافي، وتعدد الأغراض  
واختلاف الأساليب، وبراعة الاستمارة؛ وروعة التشبيه، ودقة الكناية، على يد  
مهلهل و امرئ القيس وطرفة وأمثالهم، بل لابد من أن يكون هؤلاء قد سبقوا بأقوام  
قلوا الشعر من السجع الى الرجز، ومن المقطعات الى القصائد، وقالوه في غرض  
واحد، ثم في أغراض شتى، وهدبوه ودهنوه، وجودوه، وهلهلوه<sup>(٣)</sup>، قبل مهلهل  
بعضة قرون، يشهد لهذا قول امرئ القيس في شعره :

الشعر قبل  
امرئ القيس  
ومهلهل

(١) ضنف (٢) البنافذة سوء الحال ورفانة الميتة  
(٣) هلهل الساج التوب نسجه رقيقاً، ولقب الشاعر بمهلهل لانه أول من رفق الشعر  
على زعمهم

عُوجًا عَلَى الطَّلَالِ الْمُحِيلِ <sup>(١)</sup> لَأَنَّا <sup>(٢)</sup> نَبْكِي الدِّيارَ كَمَا بَكَى ابْنُ خِذَامٍ <sup>(٣)</sup>

وَقَوْلِ عَنَتَةَ : هَلْ غَادَرَ الشَّعْرَاءُ مِنْ مَرَدِّمْ <sup>(٤)</sup>

وَقَوْلِ زُهَيْرٍ : مَا أَرَانَا قَوْلَ الْأُمَّارِ أَوْ مُعَادًا مِنْ لَفْظِنَا مُكَرَّرًا

يشير الأول الى أن ابن خِذَام وهو رجل من طيء بكى الديار قبله ، ولم يرو الأئمة له شيئاً ، ولأسمعوا عنه تنويهاً في غير هذا البيت ؛ وبعدُ الثاني نفسه مُخَذَّطًا قد أدرك الشعر بعد أن فرغ الناس منه ولم ينادروا له شيئاً وهو ( كما يقولون ) ممن عاشر امراً القيس ؛ ويشير زهير الى أن كثيراً من أقوال الشعراء مستعار من غيرهم

ومع قصر عهد الشعر الجاهلي المروي لنا الذي لم يطل أجله الى أكثر من قرن ونصف ، وموت الكثير من حفظه في المنازى والفتوح الاسلامية ، ألم الأئمة فيه الشعر المروي بشعر كثير من الشعراء ، حتى قيل ان بعضهم <sup>(٥)</sup> كان يحفظ عشرات الألوف من قصائده وأراجينه ، مما لم يؤثر عن أمة من الأمم ( فيما نعلم )

وما أرى العرب على غيرهم في قول الشعر إلا أنهم قوم أميون ، لم يرجعوا في تدوين حكمتهم ، وتخليد آثارهم ، الى رقم في رق ، أو قر في حجر ، فكسبهم ذلك التأنق في الكلام ، وجودة الحفظ ، ومناة الرواية ؛ ولا تتمثل هذه الأمور في أمثل من الشعر ، فانخذوه كما قال الجميع ( ديوان طهم ) ، ومتعى حكمتهم ، به يأخذون وإليه يصيرون ، ) وأحلوهم من الاعتبار في الغاية ، ومن الرعاية في الذروة . وكانت القبيلة يرفضها البيت من الشعر ، ويخففها الآخر <sup>(٦)</sup>

( ١ ) المتنبي أو الذي أتى عليه الحول ( ٢ ) لا نألف في لفظنا ( ٣ ) ككتاب عامر جاهلي قديم ( ٤ ) تروم الثوب رقه ، وكلاه وشعره تنبه حتى أصله وسد خطه ، أى لم يترك السابق من الشعراء لللاحق منهم شيئاً يحتاج الى الإصلاح

( ٥ ) كعاد والاسمي وخلف وان عمرو الشيباني وأبي بكر الجوازى وغيرهم ( ٦ ) فمن ذلك في الجاهلية نمة الاعشى الشاعر مع آل الحلق وسنذكرها بعد . وصلة حسان مع بني عبد المداان وذلك أنه هاجمهم بقوله :

لا بأس بالقوم من طول ومن لفظ جسم البغال وأحلام الصائير  
فتألوله والله يا أبا الوليد لقد تركتنا ونحن ننتحي من ذكر اجسادنا بعد أن كنا نخر بها

هذا مجل ما يتعلق بحقيقة الشعر ونشأته في الجاهلية ، أما ما يتعلق بمادته  
وجوهره ، فانه يرجع الى الأمور الآتية :  
( أولاً ) - أغراضه وفنونه . ( ثانياً ) - معانيه وأخيلته . ( ثالثاً ) - ألفاظه وأساليبه  
( رابعاً ) - أوزانه وقوافيه .

### ( ١ ) أغراضه وفنونه

نظم العرب الشعر في كل ما أدركته حواسهم ، وخطر على قلوبهم ، مما يلائم  
يبتغهم ، وينتظم مع تشبثهم ؛ ويضيق المقام عن سرد الكثير من فنون الشعر وأغراضه  
عندهم ، وإنما يحيل الإلام بأشهرها ، وهي :  
النسيب - والنسيب - ويسمى التشبيب ، والتغزل - وطريقه عند الجاهلية يكون بذكر النساء  
ومحاسنهن ، وشرح أحوالهن : من غُلمهن<sup>(١)</sup> ، ولقلمهن<sup>(٢)</sup> ، ووصف الأطلال والديار بعد  
مفادرتهم ، والتشوق اليهن بمجنين الإبل ، ولعل البروق ولوح النيران<sup>(٣)</sup> ، وذكر المياه  
التي نزلن عليها ، والرياض التي حلتها ، ووصف ما بها من خُرَامي<sup>(٤)</sup> ، وبهار<sup>(٥)</sup> ،  
وأقحوان<sup>(٦)</sup> ، وعرار<sup>(٧)</sup> . وكانوا لا يمدحون النساء إذا تغزلوا ونسبوا . وكان للنسيب  
فقال لهم سأصلح منكم ما أضدت ، ثم قال :  
وقد كنا نقول إذا رأينا قدى بهم يد وذى بيان  
كأنك أيها اللطيف لساناً وجسماً من بلى عيب المدان  
ول الاسلام قصة الخطبة مع بنى الناقة ، وقد كانوا يسيرون في الجاهلية بهذا الاسم حتى  
قال فيهم الخطبة :

( قوم هم الانثى والأذئاب غيرهم ومن يسمى بأنت الناقة الدنيا )

فناد هذا الاسم شرقاً لهم وفخرأ فيهم  
وقصة جرير مع بنى نجر اشراف قيس وذوائبها وذلك أنه قال فيهم :  
ففض الطرف منك من نجر فلاكتها بلفت ولا كلابا  
فنا في نجرى الآ طاماً رأسه وانتسب طائرنا ، بعد ان كان اذا سعى من الرجل فيهم لفظة  
ومد صوته وقال من بنى نجر

( ١ ) الظن الرحيل ( ٢ ) مصدر لاح بمعنى بدا ولعل ( ٣ ) ثبت يرى زهره أطيب  
الازهر غصة ( ٤ ) ثبت طيب الرائحة زهره أصفر اكبر من زهر البايونج ( ٥ ) البايونج  
البرى ( ٦ ) بهار البر

عندهم المقام الأول من بين أغراض الشعر، حتى لو انضم إليه غرض آخر، قدم النسيب عليه، واقتنع به القصيد: لما فيه من لهو النفس، وإرتياح خاطر، ولأن باعته الفذ<sup>(١)</sup> هو الحب، وهو السرف في كل اجتماع إنساني. والبدوا أكثر الناس حباً لفراغهم وتلاقى قبائلهم المختلفة في المصايف والمرايع، فإذا ما افرقوا ذكر كل ألف ألف، وحيب حبه، ثم إذا عاودوا تلك الأمان مرة أخرى، هاج أشجانهم، وجدد الذكري فيهم ما يروونه من آثار أحبابهم وأطلال منازلهم

الفخر - وهو تمذح المرء بمخال نفسه وقومه، والتحدث بحسن بلانهم ومكارهم وكرم عنصرهم، ووفرة قبيلهم ورفعة حسبهم ونسبهم، وشهرة شجاعتهم

المدح - وهو الثناء على ذي شأن بما يستحسن من الأخلاق النفسية: كجراحة العقل والعفة والعدل والشجاعة وإن هذه الصفات عريضة في وقومه؛ وبتعداد محاسنه الخلقية كالجمال وبسطة الجسم؛ وشاع المدح عندما ابتدل الشعر واتخذته الشعراء مهنة؛ ومن أوائل مداحيهم زهير والنابغة والأعشى .

الزنا - وهو تعداد مناقب الميت، وإظهار التفجع والتلف عليه، واستعظام المصيبة فيه؛ ومن عادات الجاهلية في الزنا كما قال ابن رشيقي في العمدة<sup>(٢)</sup> ضرب الأمثال بفناء الملوك العظام، والممالك الكثيرة، والأمم القوية، والوعول<sup>(٣)</sup> الممتعة في قُلل الجبال، والأسود الحادرة<sup>(٤)</sup> في النياض<sup>(٥)</sup>، وبحمر الوحش المتصرفة بين القفار، وبالنسور والمقبان والحيات لبأسها وطول أعمارها

الهجاء - هو تعداد مثالب المرء وقبيله، ونفي الكارم والمحاسن عنه؛ وكانت العرب في بدء أمرها لا تمحش في هجوها، وتكتفي بالتهكم بالمهجو والتشكك في

(١) الفرد (٢) هو الحسن بن رشيقي القيرواني من أدباء إفريقية تولى سنة ٤٦٣ هـ

(٣) جمع وعل وهو تيس الجبل (٤) المستقرة (٥) جمع غيضة وهي الأجمة والشجر

المتجمع في مقيض ماء

حقيقة حاله <sup>(١)</sup>، ثم أُنْذِعَ <sup>(٢)</sup> فيه بعض الأَفْذَاعِ المحترِفون بالشعر، وحاكاهم  
السفهاء في ذلك

الاعتذار - هو درء الشاعر التهمة عنه، والترفُّع في الاحتجاج على براءته منها،  
واستغالة قلب المعتذر اليه، واستعطافه عليه، والناجاة في الجاهلية فارس هذه الحلبة <sup>(٣)</sup>

الوصف - هو شرح حال الشيء وهيبته على ما هو عليه في الواقع: لاحتضاره  
في ذهن السامع كأنه يراه أو يشمر به، وهذا هو الأصل الذي جرى عليه أكثر  
العرب قديماً: وقد يبالغ فيه، لتهويل أمره، أو تملّحه، أو تشويهه، أو نحو ذلك فيكون  
منه المتهول والمقوت. ولا سنبل الى حصر ضروب الوصف عند العرب، فانهم  
وصفوا كل ما رأوه أو طوّه أو خالط نفوسهم:

فوصفوا من الحيوان الإبل، واقتنوا في ذلك بما لم تقفهم فيه أمة في وصف نفيس  
لديها. ومن أبلغ وصف الإبل طرفة - ووصفوا الخيل في ضروب خلقها وأحوال  
سيرها. ومن أشهرهم في ذلك امرؤ القيس وأبو ذؤاد الأبادي - ووصفوا من السباع  
الأسد، والضبع، والذئب. ومن الوحش الطيأ، والأوعال، والحمر، والبقر، ومن  
الطيور الحمام وبكاهما، والعقبان والرخم <sup>(٤)</sup>، والنسور، وغراب البين، والبارح منها  
والسليخ <sup>(٥)</sup>؛ ومن الموام <sup>(٦)</sup>، الحيات، والأفاعي <sup>(٧)</sup>، والصلال <sup>(٨)</sup>، والعقارب. ومن  
النبات الكلال <sup>(٩)</sup>، والشب <sup>(١٠)</sup>، والمراعي، والشيح، والقيصوم <sup>(١١)</sup>، والعرار،  
والعزرائي، والنخيل، والحدائق الملتفة - ومن الاجواء - الشحب، والأمطار، والرياح

- (١) كقول زهير وما أدري ولست أظن أدري أنعم آل حسن أم نساء  
(٢) الحش (٣) جماعة الخيل المتسابقة (٤) الرخم من الطيور الحيات ولا يؤكل  
(٥) السليخ الطائر يمرض أمامك من اليسار الى اليمين فيؤليك ميامنه، والبارح ما يوليك  
ميامره، ويضال بالثاني ويتشامد من الاول (٦) جمع هامة وهي كل ما له سم يقتل  
(٧) الأفعى حية يقال هي رقتاء دقيقة المنق عريضة الرأس لا تزال مستمرة على نفسها  
ومدكرها أفعوان وجمعها الأفاعي (٨) جمع صل وهو الحية الدقيقة الصغراء  
(٩) الكلال المشب رطبه وباهيه (١٠) الكلال الرطب (١١) نبات زهره راجحاً

والبرق ، والرعد ، والسراب <sup>(١)</sup> ، والآل <sup>(٢)</sup> والسماء والنجوم والشمس والقمر وصور  
أنكواكب وألوانها - ومن الأرض الغياقي المفقرة ، والشعاب <sup>(٣)</sup> ، والفيجاج <sup>(٤)</sup> والجبال  
والهضاب <sup>(٥)</sup> ، والأحياء ، والمنازل ، والمرايع ، والمصايف ؛ وخاصة الديار ، والاطلال  
وقعية <sup>(٦)</sup> الرياح والأمطار لآثارها ، والذمن ونشيبها أحيانا برقم الكتب ، ومخائف  
الرهبان ، وبالوشم على ظاهر اليد ، وبالثوب الخلق أو المرقم ، ونحو ذلك - ومن المياه :  
السيول وبحارها والآبار وطبها <sup>(٧)</sup> والغدران وعذوبتها - ومن آلات القتال - السيف  
والرُمح ، والدريع والقوس

ووضفوا من الهيئات والأحوال والصفات - ( ١ ) جمال الانسان بذكر المقبول  
عند من محاسنه وألوانه وتناسب أعضائه

( ٢ ) الأخلاق والطباع وأحوال الناس في سرورهم وغضبهم ، وتلهلهم وكآبتهم  
وشجاعتهم وجبنهم ، وخوفهم وأمنهم

( ٣ ) الحركة والانتقال : من الظن على الإبل ، وحال الظلمات <sup>(٨)</sup> وأحداجا <sup>(٩)</sup>  
وحال الشاعر في رحلته الى المدوح

( ٤ ) هيئات القتال والنزال ، ومبارزة الأبطال ، وانقاد النقع <sup>(١٠)</sup> وقنعة <sup>(١١)</sup>  
السلاح ونحو ذلك مما لا سبيل الى استقصائه ؛ وباب الوصف عند العرب اكبر  
فنون الشعر

الحكمة والمثل - وقد تقدم تعريفهما ؛ واكثر ما تكون أمثال العرب وحكمها الحكمة والمثل  
موجزة متضمنة حكما مقبولا ، أو تجربة صحيحة ، تعلما عليها طباعا بلا تكلف

- (١) السراب ما تراه في الصحراء نصف النهار كأنه ماء (٢) الآل السراب أو خاص بما  
في اول النهار (٣) جمع شخب بالكسر وهو الطريق في الجبل (٤) جمع فجع وهو الطريق  
الواسع الواضح (٥) الجبال الصغيرة المنبسطة على وجه الارض (٦) نحو  
(٧) طوى البئر بنى جوانها بالحجارة (٨) جمع ظبية وهي المرأة الزاحقة في المودج  
(٩) جمع جديج بالكسر وهو مركب للماء (١٠) الثبار  
(١١) حكاية اصوات السلاح

ككأنف فلاسفة المولدين ، ولا أكتار منها حتى يخرج الشعر بها عن بابہ المبتغى على  
الخيال والأوصاف ، وانما يؤتى بها فى كلامهم كاللح فى الطعام - واكثر شعرائها  
أمثالا زهير والنايفه

## ( ٢ ) معانيه وأخيلته

قصد الشاعر من شعره الإبانة عما يطالج نفسه من المعاني فى أى غرض من  
الأغراض السابقة ونحوها ، ومن هذه المعانى ما هو عادى فى الناس متأصلا فى  
نفوسهم ، فيشترك فيه البدوى والحضرى والعربى والعجمى ، كالأخبار الصادقة ،  
وأوصاف المشاهدات ، وشرح الوجدانات كما يلعبها الخاطر بلا مبالغة ولا إغراق ؛  
ومنها ما هو غريب نادر ، انتزعه الخيال من المراتبات البديعة ، والأشكال المنتظمة ،  
والهيات المتناسقة ؛ وذلك ما يسمى بالمعنى المخترع ؛ وهو فى الفطر السليمة أنمى ،  
وللألم المتحصرة أطوع ؛ ونفاضل الشعراء بالإجادة فيه والاكثار منه ، وإذا قسنا  
الشعر الجاهلى بهذا المعيار وجدنا معانيه وأخيلته تمتاز بالأدور الآتية :

( ١ ) جلاء المعانى وظهورها ومطابقتها للحقيقة والواقع

( ٢ ) قلة المبالغة والتلو فيها بما يخرجها عن حد العقل ومألوف الطبع

( ٣ ) قلة المعانى النريبة المتزعزعة ، الدقيقة المأخذ ، المتجلية فى صور الخيال البديع ،  
والتشبيه العايرى ، والاستمارة الجليّة ، والكناية الدقيقة ، وحسن التعليل ، وغير  
ذلك مما لا يهتدى اليه إلا بعد التعمّل وكّد الفكر

( ٤ ) قلة تأنيهم فى ترتيب المعانى والأفكار على النظام الذى يقتضيه الطبع أو  
العقل ، بل يرسونها على ما خيلت نفوسهم ، واستدعت بدبيتهم وأرجالهم ، فيدخلون  
معنى فى معنى ، وينقلون من غرض الى آخر اقتضابا بدون تحيل ولا تالطف ، وربما  
هد بعضهم لانتقال ذهنه بقوله : دع ذا ، وعدن ذا



### (٣) ألفاظه وأساليبه

ولما كانت العرب أئماً بدوية تنظم الشعر بطبعها ، من غير معاناة صناعة ، ودراسة علم - غلب على شعرها صراحة القول ، وقلة المواربة فيه ، والبعد عن التكلف وصحة النظم والوفاء بحق المعنى ، أضف الى ذلك الأمور الآتية :

( ١ ) جودة استعمال الألفاظ في معانيها الموضوعية لها : لإحاطة علمهم بلغتهم ومعرفتهم بوجوه دلالتها

( ٢ ) غلبة استعمال الألفاظ الجزئية

( ٣ ) استعمال الألفاظ القريبة التي هجرت عند المحدثين ، إما لقلة استعمال مدلولها ، أو للاقتصار على مرادف لها أسهل منها

( ٤ ) القصد في استعمال ألفاظ المجاز

( ٥ ) سقت استعمال الأعجى الأما وقع نادراً على سبيل التخليع والتظرف و مثل شعر الأعشى

( ٦ ) عدم تعدد المحسنات البديعية اللفظية مثل الجناس ، والمقابلة ، والمطابقة ، وما شاكلها

( ٧ ) متانة الأسلوب بحسن إيراد المعنى الى النفس من أقرب الطرق إليها وأطرفها لديها كتهاهل العارف ، ومخاطبة الديار والأطلال

( ٨ ) إنبات الایجاز أو قلة الاسهاب الا اذا دعت الحال

### ( ٤ ) أوزانه وقوافيه

الحق أن العرب لم تعرف موازين الشعر بمثل قوانين صناعية ، وتعرف أصول وضعية ، وإنما كانت تنظم بطبعها على حسب ما يجرى لها انشادها وتثنيها وحداؤها ، وقد

هتتم هذه النظرة الى أوزان أرجحها الخليل<sup>(١)</sup> الى خمسة عشر وزناً سماها بحوراً  
وزاد عليها الأخفش<sup>(٢)</sup> بحوراً. وقد أكثروا النظم من بعضها دون بعض، بل إن  
بعضهم كان يكثر النظم من بحر دون آخر. وشعر العرب رجزاً وقصيدته يبنى على  
قافية واحدة كيفما طال القول.

### ✽ الشعراء ✽

سبب  
اشتهار الشاعر  
من الجاهلية أكثر من أن يحاط بهم، ومن جهل منهم أكثر من عرف؛  
وأما اشتهر بعضهم دون بعض: لثبوته، أو كثرة المروى من شعره، أو قرب عمده  
من الاسلام زمن الرواية، أو تفضيل عشيرته له، أو عظم جاهه، أو اشتهاره بمنقبة  
أخرى فوق الشعر كالشجاعة والكرم والوفاء واشتراكه بشعره في حادث عظيم؛ وهم  
يعدّ متفاوتون في القول قلة وكثرة، وردادة وإجادة، وجفاء ورقة، وروية وإرتجالاً.  
وكان للشعراء عند العرب منزلة رفيعة، وحكم نافذ، وساطان غالب، اذ كانوا ألسنتهم  
الناطقة بمكارمهم ومفاخرهم، وأسلحتهم التي يذودون بها عن حياض شرفهم، وبهم  
كانوا يماجدون، وينافرون، ويتناخرون، وما كانوا يُسرون بشيء أعظم من سرورهم  
بشاعر يفتح فيهم، قال ابن رشيقي في العمدة: (وكانت القبيلة من العرب اذا نبغ  
فيها شاعر أتت القبائلُ فهنأتها، وصنعت الأطلعة وأتت النساء يلعبن بالمازهر<sup>(٣)</sup>  
كما يصنعون في الأعراس، ويتباشر الرجال والولدان لأنّه جماية لأعراسهم، وذبح  
عن حياضهم، وتحليلد لمفاخرهم، وإشادة بذكرهم، وكانوا لا يُهَيِّثُونَ إلا بسلام يؤلّد،  
أو شاعر يفتح، أو فرس تفتح)

وكانت طريقة نظم الشعر في أكثر الأحوال أن يرتجلوه ارتجالاً، فتأتيهم ألفاظه  
عفواً، ومما يهواه<sup>(٤)</sup>؛ كما وقع للمحارب بن خازمة، وعمرو بن كلثوم؛ أما من اتخذهم منهم

(١) هو الخليل بن أحمد الفراهيدي النحوي القوي مخترع العروض وسأني ترجمه

(٢) هو سيبويه بن مسعدة النحوي تلميذ سيبويه، وسيبويه تلميذ الخليل

(٣) المازهر كثير السود يخرّب به (٤) سهو متناهية

صناعة يستدرّها، ومكسباً يستمرّه، ويلتمس به الجوائز، وينشده في المحافل والمواقف التكب بالشعر العظام فانه يُنحى عليه <sup>(١)</sup> بالتقيف والتجويد؛ والتهديب والتقيح، ليجعله كله متشابهاً في الصنعة متساوياً في الأحكام، رقيق الحاشية <sup>(٢)</sup>، حسن الديباجة <sup>(٣)</sup>، متجيز الألفاظ، يصح أن يقال فيه انه المثل الأعلى للشعر الجاهلي؛ كما ترى ذلك واضحاً في حواريات زهير، واعتذاريات النابغة.

وقد غير الناس دهرًا طويلاً لا يقولون الشعر إلا في الأغراض الشريفة والمقاصد النبيلة، لا يمدحون عظيمًا طمعًا في نواله، ولا يهجون شريفًا تشفيًا منه وانتقامًا، حتى نشأت فيهم فئة امتنعت الشعر وتكسبت به، ومدحت الملوك والأمراء كالنابغة الذبياني وحسان مع النعمان بن المنذر وملوك غسان، وزهير بن أبي سلمى مع هرم بن سنان وأمية بن أبي الصلت مع عبد الله بن جلدعان: أحد أجواد قريش، والأعشى مع الملوك والشوكة، حتى قصد به الأعاجم، وجعله متجبرًا يتجر به، فتحلى الشعر الأشراف، وآسروا عليه الخطابة.

### ﴿ طبقات الشعراء ﴾

طبقات الشعراء باعتبار عصورهم أربع :

- ( ١ ) طبقة الجاهليين .
- ( ٢ ) طبقة المخضرمين ، وهم الذين اشتهروا بقول الشعر في الجاهلية والاسلام .
- ( ٣ ) طبقة الاسلاميين ، وهم الذين نشئوا في الاسلام ولم تفسد سليقتهم العربية ، وهم شعراء بني أمية .
- ( ٤ ) طبقة المؤكدين ، أو المحدثين ، وهم الذين نشئوا زمن فساد العربية ، وامتزاج العرب بالعجم ، ولو كانت أصولهم عربية بحتة ، وذلك من عصر الدولة العباسية الى يومنا هذا .

(١) يقل عليه (٢) حاشية الثوب جانبه وكلام رقيق الموائى حسن

(٣) الديباج ثوب من الجبرد الطامس ويكون مادة منقشاً فيستمر الكلام الحسن المزين فيقولون لهذه القصيدة ديباجة حسنة اذا كانت محبرة منققة

والشعراء الجاهليون يُقَسَّمون باعتبار شهرتهم في الشعر للإجادة أو للكثرة إلى طبقات كثيرة نذكر منها ثلاثاً (١) :

(١) الطبقة الأولى ، امرؤ القيس ، وزهير ، والنابغة

(٢) الطبقة الثانية ، الأعشى ، وليد ، وطرفة

(٣) الطبقة الثالثة ، عنترة ، وعروة بن الورد ، والنسر بن تولب ، ودريد بن الصمة ، والمُرَقَش الأكبر ، على أن كثيراً من الفصحاء والأدباء يقدمون بعض هؤلاء على بعض ويزيدون غيرهم عليهم ، للملاءمة شعرهم لأذواقهم وهوئى نفوسهم

### (١) امرؤ القيس

هو الملك الضليل (٢) أبو الحارث حُنْج (٣) بن حُجْر الكِنْدِي ، شاعر اليمانية ، ورأس شعراء الجاهلية ، وقائدهم إلى التنج في أبواب الشعر وضروبه وآبأوه من أشرف كِنْدَة وملوكها ، وأمه فاطمة بنت ربيعة أخت كليب ومُهَلَّب التَّمَلِيْثِيْن . وكانت بنو أسد من المضرية خاضعة للملوك كِنْدَة ، وآخر ملك عليهم هو حُجْر أبو امرئ القيس

نشأ امرؤ القيس بأرض نجد بين رعية أبيه من بني أسد ، وملك مسلك المترفين من أولاد الملوك يلهو ويلعب ويمار (٤) الحروب فيازل الحسان . وزاد على ذلك أنه أتقى وقته في التشيب بالنساء والخروج في ذلك إلى حد الصراحة في الفُحْش منصرفاً عما يأخذ به أمثاله أنفسهم من الاعتداد للملك بقيادة الشجمان ، ففقه أبوه لذلك ، وزجره عن اللهو والتشيب بالنساء ، ولما لم ينجح فيه القول طرده عنه وأقصد ، فالتف عليه بعض مصاليك (٥) العرب ودُّوا بأنهم (٦) وشذَّاهم (٧) ، ينزلون المياه وينعمون

(١) على رأى أبي مبيدة (٢) كسبت الكثير الضلال وسى بذلك لأنه كان يشهر في شعره

(٣) أصل المندج الرمة الطيبة تلت الرواة (٤) يلازم ويدمن (٥) فقراء

(٦) لصومهم ومصاليكهم (٧) الشفاذ الذين لم يكونوا في حيم ومنازلهم (المنازدون)

ويُدبِحون ويشربون ويَطْرَبون، وتنتهي القيان <sup>(١)</sup>؛ وإنه لكذلك في إحدى نزلاته بأرض (دُمون <sup>(٢)</sup>) يشرب ويلبب التُّرد مع رفاقه إذ جاءه نَبَأُ تَوْران بنى أسد على أبيه وقتلهم له؛ لأنه كان يصِف في حكمة لهم، ويشط <sup>(٣)</sup> عليهم في الإثاوة <sup>(٤)</sup> التي يؤدونها إليه، فلم ينزعج امرؤ القيس للخبر خشية أن ينقص على رفاقه عيشهم، ثم قال (ضِيعى صغيراً، وحملنى دمه كبيراً، لاصحَوَ اليوم ولا سكرَ غداً، اليوم خمرٌ، وغداً أمرٌ) وأخذ يجمع العدة ويستجد القبائل في ادراك ثأره، فكان يجيئه بعضها ويعتذر بعضها، فنال بنى أسد وقتل فيهم كثيراً ولم يشف ذلك من غلته. وكانت في نفس المنذر أحد ملوك الحيرة، مؤجلة <sup>(٥)</sup> على آل امرئ القيس لأن الحارث جد امرئ القيس زاحم المناذرة ملوك الحيرة عند كسرى في النباة عنه على ملك الحيرة، وقت أن شجر <sup>(٦)</sup> الخلاف بين المناذرة وكسرى قباز <sup>(٧)</sup> فألب المنذر على امرئ القيس العرب: من إباد وبهراء وتثنخ، وأمدته كسرى أنو شروان بن قباز بجيش من الأساورة <sup>(٨)</sup> لرضاه عن آل المنذر، فلم يكن لآمرئ القيس به طاقة، وتفرق عنه أصحابه، فجعل يستجير بالقبائل واحدة بعد واحدة، وقمع من أجله حروب عديدة، حتى نزل على السموئل فأودعه ابنته ودروعه وسلاحه، وطلب إليه أن يكتب له إلى الحارث بن أبي شمر النسائي بالشام ليوصله إلى قيصر، فلما بلغ قيصر استنصره على أعدائه الذين جلمهم من شيعة المناذرة التابعين للفرس أعداء الروم فأمدته بجيش لم يقص <sup>(٩)</sup> به عن بلاد الروم حتى بدا <sup>(١٠)</sup> لقيصر فاسترجع الجيش، وقتل امرؤ القيس راجعاً، واشتد به في طريقه علة قروح فأت منها ودفن بأثيرة وكان ذلك قبل الهجرة بقریب من قرن.

شعره - يعتبر امرؤ القيس رأسَ فحول الجاهلية والمقدم في الطبقة الأولى من

- (١) جمع قينة وهي الامة الغنية (٢) بلدة بمصر موت من اليمن (٣) يمجور ويظلم (٤) الحراج (٥) غضب (٦) شجر ينهم الامر اضطر (٧) أبو كسرى أنو شروان (٨) قوم من المجر نزلوا البصرة كالإخمارة بالكوفة (٩) لم يخرج (١٠) بدا له في الامر نشأ له فيه رأى، فيضمر الفاعل ويضمرب لفظ البداء أو الرأي، وقد يظهر الفاعل أحياناً

خروجه  
في ثأره

موته

شعره

شعرائهم المعروفة أخبارهم ، وهو وإن كان راوية أبي دؤاد الإيادي ، وخالفه مهلاً  
أثره في الشعر لم يسبقه على مبلغ علنا إلى طرق كثير من أبواب الشعر والافاضة فيه أحد ، فهو  
أول من أجاد القول في استيفاف الصنعب ، وبكاء الديار ، وتشبيه النساء بالظياء والمها  
والبيض ، وفي وصف الخيل بقيد الأوابد <sup>(١)</sup> وترقيق النسب ، وقريب مأخذ الكلام ،  
ومجريد الاستعارة ، وتنويع التشبيه ، حتى لَيُظَنُّ أنه المبتكر لذلك ؛ ويغلب على شعره  
التشبيب والوصف أيام صَبُوته <sup>(٢)</sup> ، وبث الشكوى من الزمان وتكر <sup>(٣)</sup> الخلائق  
زمن محنته

وقد يَفُحش في تشبيهه بالنساء وتحديثه عنهن ، ويُشَمُّ من شعره رائحة النبل  
وتلمح فيه شارات السيادة والملك : من ذلك قوله

فظل المذارى يرتعفن بلعنها وشميم كهداب الدمقس المقتل <sup>(٤)</sup>

وقوله : وظل طهاة اللحم من بين منضج صفيث شيوا أو قدريه معجل <sup>(٥)</sup>

ولو أن ما أسقى لأدنى معيشة كفاني ولم أطلب قليل من المال

ولكنما أسمى لجسد مؤثِّل <sup>(٦)</sup> وقد يدرك المجد المؤثِّل أمثالي

سورة شعره } وشعره وإن اشتمل بشملة البدواة في جفاء العبارة ، وخشونة الألفاظ ، وتجهيم  
المعاني ، تراه أحياناً يخطر في حُلٍّ من حسن الديباجة ، وبديع المعنى ، ودقة النسب ،  
ومقاربة الوصف وبسهولة المأخذ : مما كان منه خلقه أجل مثال حاكوه في ترقيق  
شعرهم وحسن تأثيلهم في تصوير معانيه

(١) الوحش ، و فرس قيد الأوابد يلحق الوحش لجودته ويمتعه من الفوت بسرعة مكانها  
مقدمة له لا تمدو (٢) الصبوة جمة الفتوة والشباب (٣) التكرار التكرار من حال تركه إلى حال  
تكررها (٤) المذارى أكثر التماريشاتين بقرام لحلم نائته التي عفرها لهن وبشعرها المكثز  
الشبيه بأهداب المريخ الأبيض المفلول (٥) يقال هذا البيت بعد أن اصطاد بقر وحش وجلس  
ينتظر الأكل منه فذكر أنه كان معه في خرزجه إلى الصيد طياعون يطبخون له أنواعاً منها  
الشواء ومنها ما يطبخ في القدور وذلك مريب في الصحراء ، لا يفعله إلا الملوك  
(٦) مؤثِّل

فن النوع الأول قوله في وصف محبوبته

واذ هي تمشي كشمس التزي (١) يصّرعها بالكثيب البهر  
برهرهنة رودة رخصة كخرعوية البانة المنفطر  
وقوله في معلقته :

وفرع (٢) يفتي المتن أسود فاحم غداؤه (٣) مستنزرات الى الملاء  
تقبل المداوى في متي ومرسل وكشح (٤) لطيف كالجديل محصر  
وتعلو (٥) برخص غير شئن كأنه ومن الثاني قوله :

كأن عيون الوحش حول خيائنا وأرجلنا الجزع (٦) الذي لم يقب

(١) التزي الاستخراج والتزيب المتزوف دمه من جراحة . الصرع الطرح على الارض ،  
الكثيب التل من الرمل ، البهر الكلال واقطاع النفس ، البرهرمة الرقبة الجذ ، الرودة  
الشابة ، الرخصة الناعمة ، الخرعوية اللصن ، المنفطر المتشقق الذي خرج روده . وعلى البيت  
الاول انه شبه مشبة بحييته بمشية رجل تزف دمه حتى صار لا يقدر أن يسرع للفى لما أصابه  
من الضعف خصوصاً اذا كان المكان مما يصعب السير فيه كأكشبة الرمال

(٢) الفرع الشعر التام ، المتك الظهر ، الناحم الشديد السواد ، الامتيت الكثير ، الفتو الطلق  
( السباطة ) المتشكل الكثير الفهارج الداخل بعضها في بعض . يريد تشبيه شعر محبوبته بكباشة  
النخل الكثيرة الفهارج

(٣) غداؤه ذوابه ، مستنزرات مرتفعات ، تضل تليق ، المداوى الامشاط  
ومفردها مدري

(٤) الكشح ما بين الخصرة الى الخلع الخلف . الجديل زمام يشد من سيور ، المحصر  
الديق المحصر ، والابواب ما بين المقدين من التصب وغيره ، والسق المذلل يعنى البردى المسق  
المالين الارواء . يريد تشبيه كشح محبوبته بمظلم الناقة المتخذ من الجذ ، وساتها طبانة البردى  
المسقية كثيراً

(٥) المطو التناول ، الشئن التنظيف ، الاساريج جمع اسروع وهو دود يكون في البقل  
والاماكن الندية ، وظي اسم مكان ، والاسل شجرة تدق أغصانها في استواء . يقب أنامل  
محبوبته بهذا الصنف من الهود أو هذا النوع من المساويك  
(٦) خرز أسود يتخالطه ياض

كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْبًا وَابِيًا لَدَى وَكَرْهَا الْمُنَابُ وَالْحَشَفُ<sup>(١)</sup> الْبَالِي  
أَغْرَكَ مَنَى أَنْ جَبِكَ قَاتِلِي وَأَنْتَ مَهْمَا تَأْمُرِي الْقَلْبَ فَعْمَلِ  
وَلَا مَرَى الْقَيْسِ الْمَطُولَاتِ وَالْمَقْطَعَاتِ ، وَأَشْهَرِ مَطُولَاتِهِ مَعْلَقَتُهُ الْمَضْرُوبَ بِهَا الْمَثَلُ  
فِي الْإِسْتِهَارِ ، وَأَوَّلَهَا :

قَفَا نَبْكَ مِنْ ذِكْرِي حَيْبٍ وَمَنْزِلَ يَسْقُطُ اللَّوْىَ بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوَّلَ<sup>(٢)</sup>  
فَتَوَضَّعَ فَلِلْقَرَاءِ لَمْ يَعْزُ رَسْمُهَا لِمَا نَسَجْتَهَا مِنْ جَنُوبٍ وَشَمَالٍ<sup>(٣)</sup>  
وَمِنْهَا يَصِفُ الْقَلِيلَ :

وَلَيْلٍ كَوَجِ الْبَحْرِ أَرْخَى سُدُولَهُ عَلَى بَأَنَوَاعِ الْمُهْمُومِ لِيَبْتَدِي<sup>(٤)</sup>  
فَقَلْتُ لَهُ لِمَا تَعْمَلُ<sup>(٥)</sup> بِصُغْبِهِ وَأَرْدَفَ أَعْجَازًا<sup>(٦)</sup> وَنَاءً<sup>(٧)</sup> بِكَلْكَلٍ<sup>(٨)</sup>  
أَلَا أَيُّهَا اللَّيْلُ الطَّوِيلُ أَلَا أَتَجَلَّى<sup>(٩)</sup> بِصُبْحٍ وَمَا الْإِصْبَاحُ مِنْكَ بِأَمْثَلِ<sup>(١٠)</sup>  
فَيَا لَكَ مِنْ لَيْلٍ كَانَ نُجُومُهُ بِكَلِّ مَعَارٍ<sup>(١١)</sup> الْفَتْلِي شَدَّتْ يَدْبُلُ<sup>(١٢)</sup>  
وَمِنْهَا يَصِفُ فَرَسَهُ :

وَقَدْ أَغْتَدَى وَالطَّيْرُ فِي وَكُنَّهَا<sup>(١٣)</sup> بِمَنْجَرٍ<sup>(١٤)</sup> قَيْدِ الْأَوَابِدِ<sup>(١٥)</sup> هَيْكَلٍ<sup>(١٦)</sup>  
مَيْكَرٍ<sup>(١٧)</sup> مَيْقَرٍ<sup>(١٨)</sup> مَقْبِلٍ مُدْبِرٍ مَعَا كَجَلْمُودٍ<sup>(١٩)</sup> صَخْرٍ حَطَلَهُ السَّيْلُ مِنْ عُلَى

- (١) لِبُودَا الْغَرِ (٢) قَالَ يَأْمُوتُ قَالَ السَّكْرَى الدَّخُولُ وَحَوْمَلُ وَتَوَضَّعَ وَالْمَقْرَأَةُ
- مَوَاضِعُ مَا بَيْنَ أَمْرَةٍ وَأَسْوَدَ الْبَيْنِ ، أَمْرَةٍ مِثْلُ أَمْرَةٍ مَنَعْلٍ مِنْ مَنَاطِلِ حَاجِ الْبَصَرَةِ ، وَأَسْوَدَ الْبَيْنِ
- جَبَلٌ يَنْجِدُ يَصْرِفُ عَلَى طَرِيقِ الْبَصَرَةِ إِلَى مَكَا (٣)
- لَمْ يَفِ رَسْمًا فَلَمْ يَذْهَبْ أَثَرُهَا ، وَلَسَجَ الرِّيحُ عَلَى الْبَيْتَةِ اخْتَلَانَهَا طَلْمًا جَنُوبًا وَشَمَالًا
- يَجِبُ مِنْ هَذَا رَسْمًا لِسَبِّ الْقَدَى مِنْ أَجْلِ تَعْوِ الرُّسُومِ وَهُوَ اخْتِلَافُ الرِّيحِ طَلْمًا بِسَبِّ الْقَرَابِ
- (٤) كَوَجِ الْبَحْرِ فِي تَوَحُّشِهِ وَتَكَارُرِ أَمْرِهِ ، وَالْمَرَادُ بِالْإِسْدُولِ الظُّلُمَاتِ الشَّيْثَةِ بِالْأَسْوَدِ
- (٥) مَدَّ ظَهْرَهُ (٦) مَا أَخَّرَ (٧) مَقْلُوبٌ ثَائِي بِمَعْنَى يَسُدُّ
- (٨) الْكَلْكَلُ الصَّدْرُ وَالْمَعْنَى انْفِرَاطُ فِي الطَّوِيلِ (٩) انْكَشَفَ
- (١٠) أَفْضَلَ ، وَذَلِكَ لِأَنَّهُ أَقْبَى الْمُهْمُومِ نَهَارًا كَمَا أَنَّهَا لَيْلٌ
- (١١) تَحْكُمُ الْفَتْلَ (١٢) جَبَلٌ يَنْجِدُ (١٣) الْوَكُنَّاتُ أَهْشَاشُ الطَّيْرِ
- (١٤) مَاضٍ فِي السَّيْرِ (١٥) الْوَحُوشُ (١٦) طَوِيلٌ
- (١٧- ١٨) الْفَرَسُ الْمُهْجُومُ وَالْفَرَسُ الْمَرْبُوبُ وَفَرَسٌ مَكْرٌ مَفْرُجٌ مَعَهَا (١٩) الْحَبِيرُ الْمَطْمِي



ومن شعره يذكر رحلته الى قيصر مع صاحبه عمرو بن قبيصة القُبيصِي (١)  
 الشاعر، وكان امرؤ القيس غره في رحلته وأخفى عليه وجه قصيدته :  
 سمالك شوقٍ بعد ما كان أقصرًا وحلت سُلَيْمَى بطن ظلي فَمَرَعَا (٢)  
 فدعها وسَلَّ الهم عنها بجَمَرٍ ذَمُولٍ اذا صام النهار وهَجَرَا (٣)  
 عليها فَي لم تحيل الأرض مثله أبرَّ بميثاق وأوفى وأصغرا  
 اذا قلت هذا صاحب قد رَضِيته وقرت به العيان يَدُلَّتْ آخَرَا (٤)  
 كذلك جَدَى (٥) لا أصاحب صاحباً من الناس إلا خائفي وتَعَبَرَا  
 تذكُرْتُ أهلي الصالحين وقد أنت على جَدَلٍ بنا الركبُ وأعفَرَا (٦)  
 ولما بدت حُورَانُ (٧) والأكلُ دونها نظرت فلم تَنظُرْ بينيك منظرًا  
 تقطع أسباب اللبانات (٨) والهوى عشيّة جاوزنا حِمَاةً وشيْزَا (٩)  
 بكى صاحبي لما رأى الدرب (١٠) دُونَهُ وأيقنَ أَنَا لائحانِ قيصرَا  
 قلتُ له لا تَبْكُ عينك انما نُحَاوِلُ مُلْكًا أو نموت فنُعَذِرَا  
 ومن آياته السائرة :

اذا المرء لم يحزن عليه لسانه فليس على شيء سواه بخزان  
 فانك لم يفخر عليك كفاخيرٍ ضعيفٍ ولم ينلِكَ مثلُ منقلب (١١)  
 وقد طوفت في الآفاق حتى رَضِيتُ من الغنيمة بالإياب

- ( ١ ) نسبة الى ضبيعة قبيلة من بكر ( ٢ ) جاك الشوق بعد ما كان تركك . وظي  
 وعرعر مكانان الاول في أرض سبأ والثاني في نجد  
 ( ٣ ) الجسرة الناقة الماضية ، والذمول السرة ، وصام النهار وهجر اشتهد حرمه  
 ( ٤ ) به من حبوب النافية سناد التأسيس  
 ( ٥ ) يخفق وحطى ( ٦ ) جهل وأحقر مومضات بالشام  
 ( ٧ ) كورة واحدة من أعمال دمشق ( ٨ ) الحاجات أي تقطعت الحاجات  
 ( ٩ ) حاة مدينة بالشام بينها وبين شيز مسرة يوم ، وقد اقتتعا المسلمون سنة ١٧٥ هـ  
 ( ١٠ ) الدرب باب السكة الواسع وكل مدخل الى الروم فهو درب  
 ( ١١ ) المغلوب مراراً

## (٢) النابتة الدياني

هو النابتة الدياني أبو أمانة زياد بن معاوية؛ أحد فحول شعراء الجاهلية، وزعيمهم بـسكاظ، وأحسنهم ديباجة لفظ، وجلاء معنى، ولطف اعتذار؛ ولقب بالنابتة لنبوغه في الشعر فحامة وهو كبير، بعد أن امتنع عليه وهو صغير؛ وهو من أشراف ديان إلا أن تكسبه بالشعر غض من شرفه، على أنه لم يتكسب بشعره إلا في مدح ملوك العرب، وكان من أمره في ذلك أنه اتحل بملوك الحيرة ومدحهم وطالت صحبة النعمان بن المنذر، فأدناه منه، واتخذ جليسا وندى، ووصله بجواهره السنية، ونوّه المصنفين<sup>(١)</sup>، حتى صار لا يأكل ولا يشرب إلا في صحاف الذهب والفضة، إلى أن وشى به عند النعمان أحد بطاقته فغضب عليه وهم بقتله، فأمر إليه بذلك حاجبه عصام، فهرب النابتة إلى ملوك غسان المنافسين للناذرة في ملك العرب، فمدح عمرو بن الحارث الأصغر وأخاه النعمان؛ غير أن قديم صحبته للنعمان، وحسن صنيع النعمان عنده، ورجاء اظهار برائه، كل ذلك جعله يمن إلى معاودة العيش في غلاله، فتصل مما رُمى به، واعتذر إليه بقصائد استلّت سنخيتها<sup>(٢)</sup> وعطفت عليه قلبه، وحل عنده في منزله الأولى. وعُيّر النابتة طويلا، ومات قبيل البشة

منشؤه  
وتكسبه بالشعر

شعره - أكثر أهل البصر بالشعر على أن النابتة الدياني من فحول الطبقة الأولى شعره، بل جعل بعضهم شعره غاية المدى الذي بلغه الشعر الجاهل من الجمال وحسن الروق؛ ويعدّه الكثير من الرواة في أصحاب الملقات. ويمتاز شعره برشاقة اللفظ، ووضوح المعنى، وحسن النظم، وقلة التكاف، حتى عدّ عند الرقيقين من الشعراء كجبرير أنه أشعر شعراء الجاهلية. وأغراه تكسبه بالشعر أن يفتن في ضروب المدح والاستقصاء فيه حتى مدح بالشئ وضده، فقال من قصيدة يمدح بها النعمان؛ فأنك شمس والملوك كواكب إذا طلعت لم يَدُ منهم كوكب

(١) المصنفين نوى فحاجب كانت الملوك (٢) حقه

وقال من أخرى من اعتذارياته :

فأنك كالليل الذي هو مُدركي وإن خلت أن المتأني عنك واسع  
كما أغراه بلطف الاعتذار واستجلاب الرضا عندما فاته طيب المكسب . ولعل  
تقديمه على الشعراء لم يكن من حكم علماء الشعر وخدعهم ، بل يظهر أنه قد شاركهم  
فيه شعراء الجاهلية أنفسهم ، فلأمر ما قدموه عليهم في عكاظ وجملوه حكماً يتناشدون  
أمامه أشعارهم ، ويقضى لشاعر على شاعر . وله ديوان شعر شرحه البطلاني (١)  
وطبع مراراً وإن لم يجمع أكثر قوله . ومن أبلغ شعره معقته التي أولها :

عُوبُوا فَحَبُّوا لَنُعمِ دِمْنَةُ الدار ما ذا تُحَيُّونَ من تُؤَيِّ وأحجار (٢)  
أَقْوَى وَأَقْصَر من نُعمِ وغيره هُوجُ الرياح بهابي التُّربِ مَوَارٍ (٣)  
وَقُتْ فيها سَرَاةُ اليومِ أسألها عن أَلِ نُعمِ أَمُونًا عِزَّ أسفار (٤)  
فاستجمعت دارُ نُعمِ ما تكلمنا والدار لو كَلَمْنَا ذاتُ أخبار

ومن جيد قوله في الاعتذار :

أتاني ( أَيْتُ اللعن (٥) ) أنك لُمْتُ وتلك التي أهتم (٦) منها وأنصب (٧)  
فبتُ كَانَ المائدات (٨) فرشن إلى هراساً (٩) به يُعلَى فِرَاشِي وَيُقَسَّبُ (١٠)  
حلفتُ فلم أترك لنفسي رِيبةً وليس وراء الله للرمز مذهب  
لئن كنتُ قد بُلِّغْتَ عني جناية (١١) لَمُبْلَغُك الواشي (١٢) أعشُ وأكذب

(١) هو ابن السيد البطليوسي شارح أدب الكتاب لابن تيمية ، ملسوب إلى بطليوس مدينة بالاندلس

(٢) هوجوا قواء الدمنة ما اجتمع من آثار الدجور، النوى الحفير يكون حول الحياء يمنع الطر

(٣) أقوى وأقصر خلا ، هوج الرياح جمع هوجاء وهي الشديدة ، الهابي الساق ، موار بجي ويذهب

(٤) سرة اليوم وسطه ، الامون الناقة التي يؤمن عثارها ، عبر أسفار أى يسر عليها فيها

(٥) جهة دعائية يخطبون بها الملوك تحية ، ومناماً أيت اد قلل شيئاً تلمن به ، وكانت هذه تحية ملوك لحم وجداد

(٦) أسير لاجلها ذاهم (٧) أنصب وأميا (٨) الزائرات في المرض

(٩) هوكاً كأنه حلك (١٠) يخلط (١١) ذيباً (١٢) التهام

ولكنني كنتُ امرأً لى جانب<sup>(١)</sup> من الأرض فيه مستترًا<sup>(٢)</sup> ومهزَّب  
ملوك<sup>(٣)</sup> واخوان اذا ما أتيتهم كعصك في قوم أراك اصطفتهم  
فلا تتركني بالوعيد كأنني ألم تر أن الله أعطاك سورة<sup>(٤)</sup>  
وأناك شمس والملوك كواكب<sup>(٥)</sup> ولستَ بمسبوقٍ أحقَّ لا تُلْمَ  
فإن أكْ مظلوماً<sup>(٦)</sup> فبئذْ ظلمته ومن آياته السائرة :

وأنت كالدهر مَبْثُوثًا خائله والدمرُ لا ملجأ منه ولا هزبُ  
أضحتْ خلاء وأضحى أهلها احتملوا أخفى عليها الذي أخفى على أُنْبُ  
نُتُّتْ أن أبا قابوس<sup>(١٥)</sup> أوغضى ولا قرار على زأير من الأسد  
فلو كفى اليمينُ بقتك خوفاً لأفردت اليمين عن الشمال

- ( ١ ) الجانب الناحية وأراد به الشام ( ٢ ) موضع يتردد فيه لطلب الرزق  
( ٣ ) بدل من مسرود ومهزَّب أو مبتدأ يتقدير فيه ملوك ( ٤ ) انصرف كيف أشاء  
( ٥ ) قال الاصمعي كاهلست أنت بقوم قريبهم وأكرمهم فتذكروا الملوك وزمواك فلم تر ذلك  
ذنباً عليهم ( ٦ ) القطار ( ٧ ) منزلة رفيعة وشرطا ( ٨ ) يضطرب  
( ٩ ) أراد بهذا البيت والذي قبله تسمية النمل على ما حصل منه من مدحه لآل الجنة  
( ١٠ ) تلمه تصلحه ، والشمع السداد ، الهدب المتل من السيوب ، يستدر بذلك عن ذلك أو  
المنى أى الرجال يكون مهراً من السيوب قال قطعت اخوانك بدنب لم يبق لك أخ  
( ١١ ) جل غضبه ظناً لأنه عن غير موجب ( ١٢ ) رضا ( ١٣ ) يرضى  
( ١٤ ) اسم لا تخر ما ملك من لسور لقمان السبعة التي وهب الله له ممرأ يطول بطول أعمامها  
فطال عمر هذا الدهر حتى قيل طال الأمد على ليد ، وأخفى عليه أملكه ويريد بالذى أخفى عليها  
الزمان وحوادثه  
( ١٥ ) أصل القابوس الرجل الجميل الوجه الحسن اللون وابو قابوس كنية النمل بن المنذر  
أحد ملوك العرب

### (٣) زهير بن أبي سلمى

هو زهير بن أبي سلمى ربيعة بن رباح المزني ، ثالث فحول الطبقة الأولى من الجاهلية ، وأعظمهم قولاً ، وأوجزهم لفظاً ، وأغزرم حكمة ، وأكثرهم تهديكاً لشعره

نشأ في غطفان وإن كان نسبه في مزيئة ، من بيت بجل أهله شعراء : رجالاً ونساء ، وأكثر ما استفاد حكمته وشعره وأدبه من خال أبيه بشامة بن الندير أحد أشرف غطفان ، وكان بشامة هذا مقعداً حازماً شاعراً مجيداً ، يرجون إليه في مفضل أمورهم ويقسمون له من غنائهم كأفضلهم فشبه زهير متخفياً ببعض صفاته وإرثاً عنه شعره ، ولزم أيضاً أوس بن حنبل زوج أمه ، وكان شاعر مضر في زمانه فروى عنه الشعر ثم ظهر عليه وأخمله . واختص زهير بمدح هريم بن سنان الذبياني المزي ، بمدحه هريم

فمدحه بمدائح خللت اسمه أبداً الدهر<sup>(١)</sup> حتى ضرب بمدحه فيه المثل كما يقول البوصيري في برده

ولم أرُ دُ زهرة الدنيا التي اقتطفت يدَا زهيرٍ بما أُنقِىَ على هريم  
وأول ما أعجبني من أمره وجبب إليه مدحه حسنُ سميهِ هو والحارث بن عوف  
في الصلح بين عيس وذيان في حرب داحس والغبراء ، يتحملها ديات القتلى التي بلغت ثلاثة آلاف بعير ، وقال في ذلك قصيدته إحدى المعلقات السبع التي أولها  
أني أم أوفى<sup>(٢)</sup> دينة<sup>(٣)</sup> لم تكلم بمجومة<sup>(٤)</sup> الدراج<sup>(٥)</sup> فالتلم<sup>(٦)</sup>

ثم تابع مدحه كما تابع هريم عطاءه حتى حلف ألا بمدحه زهير إلا أعطاه ، ولا يسأله إلا أعطاه ، ولا يسلم عليه إلا أعطاه عبداً أو وليدة أو فرساً ، فاستخيا زهير

(١) قال عمر بن الخطاب لبعض أولاد هريم أنشدني بعض مدح زهير أبك فأشده فقال عمر إن كان ليحسن ليكم القول ، قال ونحن واثق إن كنا لنحسن له العطاء ، قال قد ذهب ما أعطيتوه وبقى ما أعطاكم . وقال رضي الله عنه لا بين زهير ما ضلت الخلل التي كساها هريم أبك قال ابلاها الدهر قال لكن الخلل التي كساها أبوك هريما لم يلبها الدهر

(٢) امرأة زهير (٣) ما أسود من آثار الدار باليسر والرماد وغيرهما

(٤) حومة الفراج ماء يتجدد على الطريق التي بين البصرة ومكة ، والتلم موضع قريب منه

منه ، فكان اذا رآه في ملا قال : اَتَيْمُوا صَبَاحًا غَيْرِ هَرِمٍ وَخَيْرَكُمْ اسْتَنْتَبْتِ  
وكان زُهَيْرٌ سيداً كثير المال حليماً معروفاً بالورع مُتَدَبِّتاً مُؤْمِناً بالبعث  
والحساب كما يظهر من قوله :

فَلَا تَكْتُمَنَّ اللَّهُ مَا فِي قُوسِكَ      لِيَحْقِقَ وَمِمَّا يُكْتُمُ اللَّهُ يَعْلَمُ  
يُؤَخِّرُ فَيُوضِعُ فِي كِتَابٍ فَيُدْخِرُ      لِيَوْمِ الْحِسَابِ أَوْ يُعَجِّلُ فَيَنْقِمُ  
وَعَمِيرَ زُهَيْرٍ وَمَاتَ قَبْلَ الْبِعْثَةِ بَسَنَةً

شعره - لا خلاف بين أئمة الشعر وقدَّته في أن زُهَيْراً أحدُ ثلاثة الفحول  
المقدَّمين في الجاهلية على من سواهم ، وإن كثيراً منهم يُفَضِّلونه على صاحبه : امرئ  
القيس ، والثابتة ، وحجَّتُهم في ذلك أنه يمتاز عنهم بالزاياء الآتية :  
أولاً - حُسْنُ الِابْجَازِ وحذفُ فُضُولِ الْكَلَامِ <sup>(١)</sup> وحشوهُ بحيث يودع اللفظ اليسير  
المعنى الكثير . كقوله : فَمَا يَكُ مِنْ خَيْرٍ أَتَوْهُ فَأَمَّا نَوَارُهُ أَبَاهُ أَبَاهُمْ قَبْلُ  
ثانياً - إِبْجَادَةُ الْمَدْحِ وتجنبُ الْكَذْبِ فيه ، فلا يمدح الرجلَ إلا بما عُرِفَ من أخلاقه  
وصفاته <sup>(٢)</sup> كقوله .

عَلَى مَكْتَرِبِهِمْ رَزَقٌ مِنْ يَمَّتَرِيهِمْ      وَعِنْدَ الْمُقَلِّينَ السَّاحَةُ وَالْبَذْلُ  
ثالثاً - تَجَنُّبُ التَّعْقِيدِ اللفظيِّ والمعنويِّ ، والبعدُ من حُوشَى الْكَلَامِ وغيرِهِ <sup>(٣)</sup> كقوله  
وَلَوْ أَنَّ هَدماً يُخْلِدُ النَّاسَ أَخْلَدُوا      وَلَكِنْ حَمْدُ النَّاسِ لَيْسَ بِمُخْلِدٍ .

(١) سَأَلَ سَاوِيَةَ الْأَحْفَافِ بْنِ قَيْسٍ مِنْ أَسْمَرِ الشُّعْرَاءِ قَالَ زُهَيْرٌ ، قَالَ وَكَيْفَ ، قَالَ أَلَيْ  
مَنِ الْمَادِحِينَ فُضُولِ الْكَلَامِ ، قَالَ مِثْلُ مَاذَا ، قَالَ مِثْلُ قَوْلِهِ ( فَمَا يَكُ مِنْ خَيْرٍ أَتَوْهُ )  
(٢) قَالَ صِدْقُ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ حِينَ سَمِعَ هَذَا الْبَيْتَ مَا يَضُرُّ مِنْ مَدْحٍ بِمَا يَمْدَحُ بِهِ زُهَيْرٌ أَلَّا  
أَبَى حَلْفَةً مِنْ قَوْلِهِ ( عَلَى مَكْتَرِبِهِمْ الْبَيْتِ ) أَنْ لَا يَمْلِكُ أُمُورَ النَّاسِ ( بِمَعْنَى الْخَلِيقَةِ ) ثُمَّ قَالَ مَا تَرَكُ  
مِنْهُمْ زُهَيْرٌ غَنِيًّا وَلَا فَقِيرًا إِلَّا وَصَدَهُ وَمَدَحَهُ

(٣) قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ قَالَ لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ هَلْ تَرَوِي لَشَاعِرِ الشُّعْرَاءِ قُلْتَ وَمَنْ هُوَ ؟ قَالَ  
أَقْبَى خَوْلٍ ( وَلَوْ أَنَّ هَدماً الْبَيْتَ ) قُلْتَ ذَلِكَ زُهَيْرٌ قَالَ فَمَاذَا شَاعِرِ الشُّعْرَاءِ ، قُلْتَ وَهِيَ كَانَتْ شَاعِرِ  
الشُّعْرَاءِ قَالَ : لِأَنَّهُ كَانَ لَا يَظَالُ فِي الْكَلَامِ وَكَانَ يَتَجَنَّبُ وَحْشَى الشُّعْرِ وَلَمْ يَمْدَحْ أَحَدًا إِلَّا بِمَا  
فِيهِ . يَظَالُ بَيْنَ الْكَلَامِ بِدَاخِلٍ فِيهِ وَسَقَمُهُ . وَحُوشَى الْكَلَامِ وَحْشِيهِ وَغَيْرِهِ

رابعا - قلة الشخف والمذخر<sup>(١)</sup> في كلامه . ولذا كان شعره غنيا . يقل فيه الهجا .  
ولقد هجا قوما فأوجع ثم تدم على ما صنع .

خامسا - الإكثار من الأمثال والحكم بما لم يقفه فيه شاعر جاهل<sup>(٢)</sup> وبما فتح به باب  
الحكم والأمثال في الشعر العربي ، فكان كلامه الدرب الذي سلكه الشعراء  
لبلوغ الحكمة : أمثال صالح بن عبد القدوس<sup>(٣)</sup> وأبي التماهية وأبي تمام والمتنبي  
والمعرى<sup>(٤)</sup> من المولدين . ومن حكمه في مملته قوله :

وأعلم ما في اليوم والأسى قبله      ولكتفى عن علم ما في غد عيم  
رأيت النايأ خبط عشواء<sup>(٥)</sup> من نصيب      ثبته ومن تخطى يمر فيهم رم  
ومن يجعل المروف من دون عريضه      يقره<sup>(٦)</sup> ومن لا يتقى الشتم يستثم  
ومن يك ذا فضل فيخط بفضله      على قومه يستثن عنه ويدم  
ومن يؤفر لا يلثم ومن يهد قلبه      الى مطمئن البر لا يتجمجم<sup>(٧)</sup>  
ومن هاب أسباب النايأ يثله      وإن يرق أسباب السوا يلثم  
ومن يجعل المروف في غير أهله      يكن حمة ذما عليه ويدم  
ومن لم يند<sup>(٨)</sup> عن حوضه بسلاحه      يهدم ومن لا يظلم الناس يظلم<sup>(٩)</sup>  
ومها تكن عند امرئ من خليفة<sup>(١٠)</sup>      وإن خلها تفنى على الناس تعلم

وكان زهير صاحب رويته وتكمل وتهذيب لما يقول ، ولا سجا مطولا لله ، حتى  
قيل انه كان ينظم القصيدة في أربعة أشهر ، ويمثبها في أربعة أشهر ، ويمرضها على

(١) السخف في الكلام وداهية . الهذر الكثير الردى . أو سقط الكلام

(٢) من تابعي شعراء الدولة العباسية قلة المهدي لانتهاه بالردة

(٣) ستأى تراجمهم ، وهم من شعراء الدولة العباسية

(٤) الخطب القرب باليد ، والشواو النافة الى لا تمر ليل ، يريد أن المنية كالتافة الشواو

تسير على غير هدى تصيب الناس على غير نسق معروف أو ترتيب محمود

(٥) يسته ويحفظه (٦) يتزول ويضطرب (٧) يدفع ويكف

(٨) من اقتبس من الناس وكف يده عن الامتداد اليهم وأره مهنا ضيفا فاستطالوا عليه

وظلوه (٩) طيبة

خواصه في أربعة أشهر، فلا يظهرها إلا بعد حَوْلٍ، ولذلك يُسمون بعض مطولاته الحوليات. وبما سبق فيه غيره قوله بمدح هرماً :

قد جعل المبتغون الخيرَ في هرْمٍ      والسائلون الى أبرابه طُرُقا<sup>(١)</sup>  
من يلق يوماً على علّاته هرماً      يلق الساحة منه والندى حُقا<sup>(٢)</sup>  
لو نال حتى من الدنيا بمكره<sup>(٣)</sup>      أفق السهله نالت صكفه الأثقا<sup>(٤)</sup>  
ومن أجود مدحيه قوله :

وفيهم مقامات حسنٌ وجوههم      وأنديه ينابها القول والفعل<sup>(٥)</sup>  
وان جشهم ألفيت حول يومهم      مجالس قد يُشقى بأحلامها الجمل<sup>(٦)</sup>  
على مكثريهم رزق من يعتريهم      وعند المُقلّين الساحة والبذل<sup>(٧)</sup>  
سعى بعدم قومٍ لى يدركهم      فلم يفعلوا ولم يلبسوا<sup>(٨)</sup> ولم يألوا<sup>(٩)</sup>  
فما كان من خير أتوه فأنما      نوارته أباه آياتهم قبل<sup>(١٠)</sup>  
وهل يُبِتُ الخطيئ الأ وشيجه      وتُرسُ الأ في منابها النخل<sup>(١١)</sup>  
وقوله : وأبيض<sup>(١٢)</sup> فياض<sup>(١٣)</sup> يداه غمامة<sup>(١٤)</sup>  
أخى ثقة لا يهلك الخرو ماله      ولكنّه قد يهلك المال نائله<sup>(١٥)</sup>  
نراه اذا ما جثته متبالاً      كأنك تُعطيه القى أنت سائله

- (١) المبتغون الطالبون ، في هرم عند هرم اومته ، جبل طلاب المعروف عند هرم طرقة الى ابراه لكثرة ترددهم عليه وقصدهم اليه . (٢) على علّاته أى ان قلته على فقه مال وعدم تجهه سبطا كرمها فكيف به وهو على غير تلك الحال .  
(٣) جمع مقامه وهى الجامعة يجتمعون في مجلس ، والاندية الجالس والاتياب التصد الى الموضع والحلول به (أى يبيت فيها الجبل من القول وجعل به )  
(٤) مكثريهم اغنيائهم يتربهم بقصدهم أى ان قراءهم يسبحون ويلدنون جدهم طاعتهم ، والغنيائهم يكتفون من قصدهم (٥) يشوا في اليوم (٦) يقصروا  
(٧) الخطيئ الرغ نسبة الى الخط وهى جزيرة في البحر توطأ اليها السفن ، والوشيح شعير الرماح واحدة وشيجه ، أى لا تلبت القادة الا في شعيرها ، ولا تفرس النخل الا بحيث تلبت وصلاح ، والمراد انه لا يهلك الكرام الا الكرام  
(٨) على من العيوب (٩) كثير السطاء (١٠) الطالب لمروته  
(١١) أى لا تأني في الغيب (والنبت أن تأني يوما وتتقطع آخر) بل هى دائمة لا تتقطع



### (٤) عنزة العبسي

هو عنزة بن عمرو بن شداد العبسي أحد قُريش العرب وأغرَبَها<sup>(١)</sup> وأجودها  
وشعرائها المشهورين بالفخر والحاسة

ملثوه ونسبه

وكانت أمه أمة حبشية تسمى زُبَيْنة ، وأبوه من سادات بني عَبَس  
وكان من عادات العرب ألا تُلحق ابن الأمة بنسبها ، بل تجعله في عِداد العبيد  
ولذلك كان عنزة عند أيه منبوذاً بين عبْدائه ، يَرعى له إيلَه وخَلِه ، فربأ بنفسه  
عن خِصال العبيد ، ومارس الفُروسية وهبَر فيها ، فشَبَّ فارساً شجاعاً هُماماً ، وكان  
يكره من أيه استعباده له وعدم الحاقه به ، حتى أغار بعضُ العرب على عبس  
واستاقوا المِهم ، ولحقهم بنو عبس وفيهم عنزة لاستنفاذ الأبل ، قال له أبوه : كُرو  
يا عنزة ، قال : البذل لا يُحسن الكُرو ، إنما يُحسن الحِلاب والصَّر<sup>(٢)</sup> ، قال كُرو  
وأنت حر ، فقاتل قتالاً شديداً حتى هَزَم القوم واستنقذ الأبل ، فاستلحقه أبوه .  
ومن ذلك الوقت ظهر اسمه بين قُريش العرب وساداتها وخاض مع عبس أكثر  
وقائما ، وخاصة حرب داحس والغبراء ، حتى أصبح فارس حومتها ، وحامى يَضْنِها ،  
وحق صُرب به النبل في الشجاعة والاقدام . قيل له يوماً أنت أشجعُ العرب  
وأشدّها ، قال : لا . قيل : فبماذا شاع لك هذا في الناس ، قال : كنت أقدم إذا  
رأيت الإقدام عَزْماً ، وأحجم إذا رأيت الإحجام حَزْماً ، ولا أدخلُ موضعاً لا أرى  
لى منه مَخْرَجاً ، وكنت أعتمد الضعيف الجبان فأضربه الضربة المائلة يَظْهَر لها  
قلبُ الشجاع فأثْقَى عليه فأقتله . وطال عمر عنزة حتى ضَعُف جسمه وعجز عن  
شن الغارات ومات قبيل البشة

شعره

شعره - لم يشتهر عنزة أول أمره بشعر غير اليتيم والثلاثة ، وإنما غلبت عليه  
الفُروسية مكشكاً بها حتى عبَّره يوماً بعض قومه بسواده وأنه لا يقول الشعر ، فأحجج  
(١) اغربة العرب سودانهم والاعربة في الحالية عنزة وخفاف بن قديه واو محمد بن  
الحباب وسليمان بن السلطة (٢) الحلاب الحلب ، والصر شد شرع الناقة

لسواده بخلقه وشجاعته ، واحتج لفصاحته بنظم معلته المشهورة التي كانت تسمى  
للدُّعْبَةِ أيضاً وأولها :

هل غادر الشمره من مَنَزَرِهِمْ أم هل عرفت الدار بعد توهم<sup>(١)</sup>  
وقد ضمنها خصاله ومكارم قومه . وحسن دفاعه عنهم ووفرة جوده ، بمعرجا فيها  
على أوصاف أمور شتى ، وهي من أجل المقلات وأسهلها لفظاً وأشدّها حماساً وفخراً  
وأكثرُ ما في سيرته الموضوعة في زمن الفاطميين ، وما في الديوان المنسوب اليه المستخرج  
من هذه السيرة منحولٌ له لا يمتد به

ومن قوله في معلته

لما رأيتُ القومَ أقبلَ جهمهم يتذامرون<sup>(٢)</sup> كرتُ غيرَ مُدَمِّمٍ  
يدعون عترة والرماحُ كأنها أشطان<sup>(٣)</sup> بُر في لَبَانٍ<sup>(٤)</sup> الأَدَمِ<sup>(٥)</sup>  
ما زلت أزميهم بَشْرَوه<sup>(٦)</sup> فخره وليأتِه حتى تَبْرِكُ بالدم  
فَارَزَوه<sup>(٧)</sup> من وقع القنا بلبانه وشكا الى بَمْبَرَةٍ وتَحَمُّمِ<sup>(٨)</sup>  
لو كان يَدْرِي ما المحاررة اشتكى ولكن لو علم الكلام مُكَلِّمِي  
ولقد شفى شفى وأبرأ سقمها قيلُ الفوارس وليك<sup>(٩)</sup> عترة أقليم  
والخيلُ تَحَمُّمُ الخَبَارِ<sup>(١٠)</sup> عوابسا من بين شَيْطَمَةٍ<sup>(١١)</sup> وأَجْرَدِ<sup>(١٢)</sup> شَيْطَمِ

ومنها

أنني على بما علتِ فائني سَمَحَ مُخَالِطِي إذا لم أَظْلِمِ  
فإذا ظَلَمْتُ فإن ظَلَمِي بأسل مرَّ مَذَاقُهُ كَطَعِمْ الْعَلَمِ

( ١ ) تروم الرجل ثوبه وقعه و ( أم ) بمعنى بل والثوم الفرس ، والمق لم يترك الشمره لي

شيئا أصلمه ، ثم خاطب نفسه قائلا هل عرفت دار محبوبتك بعد شدة محبتك عنها

( ٢ ) يحض بعضهم بعضا على القتال ( ٣ ) الحبال التي يستل بها ( ٤ ) البلبان الصدر

( ٥ ) الحصان الاسود ( ٦ ) اعلى نحره ( ٧ ) مال ( ٨ ) العيرة تردد البكاء

في الصدر ، والتحمم من صهيل الفرس ما كان فيه شبه الحنين ليرق صاحبه له

( ٩ ) وي كلة يقصد منها التشبيب والكاف للمطاب ( ١٠ ) الارض البينة .

( ١١ ) الفرس الطويل ( ١٢ ) الاجرد القصير الشعر الرقيق

ومن جيد قوله :

بَكَرْتُ تُقَوِّفُنِي الْحَتُوفَ<sup>(١)</sup> كَأَنِّي  
فَأَجِبْتُهَا إِنْ النِّيَّةَ مَثَلُ<sup>(٢)</sup>  
فَأَقَفْتُ<sup>(٣)</sup> حَيَاءَكَ (لَا أَبَالُكَ<sup>(٤)</sup>) وَأَعْلَى  
إِنْ النِّيَّةَ لَوْ تُثْمَلُ مِثْلَتُ  
أَنِّي أَمْرُؤُ مِنْ خَيْرِ عَيْسٍ مَنَعِيَا  
وَإِذَا الْكَتِيَّةُ<sup>(٥)</sup> أَجِجَتْ<sup>(٦)</sup> وَتَلَاظَلَتْ<sup>(٧)</sup>  
وَالْحَيْلُ تَعْلَمُ وَالْفَوَارِسُ أَتَقِي  
وَالْحَيْلُ سَاهِمَةٌ<sup>(٨)</sup> الْوُجُوهُ كَأَنَّمَا  
وَلَقَدْ أَيْتُ عَلَى الطَّوْىِ<sup>(٩)</sup> وَأَظْلَهُ<sup>(١٠)</sup>  
أَصْبَحْتُ عَنْ غَرَضِ الْحَتُوفِ بِمِزَلٍ  
لَا بَدَّ أَنْ أُسْقَى بِكَأْسِ الْمَنَهْلِ  
أَنِّي أَمْرُؤُ سَامُوتُ إِنْ لَمْ أُقْتَلْ  
مِثْلِي إِذَا نَزَلُوا بِضَنَّاكَ<sup>(١١)</sup> الْمَنَزَلِ  
شَطْرِي<sup>(١٢)</sup>، وَأَحْيَى سَائِرِي بِالْمُتَصِلِ<sup>(١٣)</sup>  
أَلَيْفَتُ خَيْرًا مِنْ مُعَمَّرٍ مُخَوَّلِ<sup>(١٤)</sup>  
فَرَقْتُ جَهْمُ بِضَرَبَةٍ قِيَصِلُ  
نُتْنَى فَوَارِسَهَا شَيْعَ الْعَظَلِي  
حَقٌّ أَنَا لَ بِهِ كَرِيمُ الْمَاكِلِ

ومن إفراطه قوله :

وَأَنَا النِّيَّةُ فِي الْمَوَاطِنِ كَلَّهَا وَالطَّمَرُ مَنَى سَابِقِ الْأَجَالِ

### (٥) عمرو بن كلثوم

هو أبو الأسود عمرو بن كلثوم بن مالك التغلبي سيد تغلب وفارسها وأحد فُتَّاحِ  
العرب وشعراتها المشتهرين بقصيدة واحدة ، والمجيدون للفخر . وأمه ليلى بنت مهلب  
أنحى كليب ، نشأ عمرو في قبيلة تغلب بالجزيرة الفراتية شجاعاً هُماماً خطيباً جامعاً  
لخصال الشرف ، وساد قومه وهو ابن خمس عشرة سنة ، وقاد الجيوش مظفراً في  
كثير من أيامهم ؛ وأكثر ما كانت فتن تغلب وحربها مع أختها بكر بن وائل بسبب

(١) الحظف الموت (٢) مغرب (٣) الرمي (٤) كلمة يراد بها التثنية  
والإعلام لا الجفاء والشدّة (٥) ضيق (٦) نصي (٧) السيف (٨) الطائفة  
من الجيش (٩) تأخرت عن الانقام (١٠) نظر بعضهم بشيء آخر منه من عدة المول  
(١١) كريم الإهمام والأخوال (١٢) متغيرة عابسة (١٣) الجوع

الحرب المشهورة بحرب البسوس ، وكان آخر صلح لم فيها على يد عمرو بن هند أحد ملوك الحيرة من آل المنذر . ولم تمض مدة يسيرة بعد الصلح حتى حدث بين وجوه القبيلتين ملاحاة ومُناخاة في مجلس عمرو بن هند قام أثناءها شاعر بكر الحارث بن حِزاة اليشكري وأُشد قصيدته المشهورة ، وما فرغ منها حتى ظهر لعمرو ابن كلثوم أن هوى الملك مع بكر ، فأنصرف ابن كلثوم وفي نفسه ما فيها ، ثم خطر في نفس ابن هند أن يكسر من أُنفة تغلب بإذلال سيدها وهو عمرو بن كلثوم ، فدعا وأمه ليلى بنت مهليل ، وأغرى هنداً أنه أن تستخدمها في قضاء أمر ، فصاحت ليلى وأذلاه ، فثار به الغضب وقتل ابن هند في مجلسه ، ثم رحل تواراً الى بلاده بالحزيرة وأُشد معلقته التي أولها :

ألهي بصحنك <sup>(١)</sup> فاصبحينا <sup>(٢)</sup> ولا تبقي خمور الأندرينا <sup>(٣)</sup>

يصف فيها حديثه مع ابن هند ، ويختصر أيام قومه وغاراتهم المشهورة ، ثم كان يخطب بها في عكاظ وغيرها ، وحفظها بنو تغلب وأكثرها من روايتها . ومات عمرو ابن كلثوم قبل الاسلام بنحو نصف قرن



شعره - كان عمرو بن كلثوم من عظماء الجاهلية وأشرافهم وفُرساتهم الذين شغلهم الرياضة وخوض الحروب عن أن يفيضوا في الشعر ويطرقوا أكثر أبوابه ، كدأب من يتخذون الشعر مهنة وتجارة ، ولذلك لم يشتهر إلا بمعلقته الواحدة التي قامت له مقام الشعر الوفير : لحسن لفظها ، وانسجام عبارتها ، وعلاو غيرها ، وتبالة مقصيدا ، ولولا أنه افتخر فيها وعدد مآثر قومه ما قالها ؛ ورويت له مقلعات لم يخرج بها عن أغراض معلقته ؛ ولعل شهرته بالخطابة لا تقل عن شهرته بالشعر

ومن سائر فخره في معلقته

وقد علم القبال من ممّد اذا قُبب بأبطحها <sup>(٤)</sup> يُبينا

( ١ ) الصحن التذبح العظيم ( ٢ ) اسبقنا الصبح وهو ما أصبح عندهم من العرب

( ٣ ) قرية بالشام ( ٤ ) الابطح والبطحاء سيل واسع فيه دقاق الحما

بِأَنَا الْمُطْعِمُونَ إِذَا قَدَرْنَا      وَأَنَا الْمُهْلِكُونَ إِذَا أُبْتِلْنَا  
وَأَنَا الْمَانِعُونَ لِمَا أُرْدْنَا      وَأَنَا النَّازِلُونَ بِحَيْثُ شِئْنَا  
وَأَنَا التَّارِكُونَ إِذَا سَخِطْنَا      وَأَنَا الْآخِذُونَ إِذَا رَضِينَا<sup>(١)</sup>  
وَنَشْرَبُ إِنْ وَرَدَنَا الْمَاءُ صَفْوًا      وَيَشْرَبُ غَيْرُنَا كَدِرًا وَطِينًا  
إِذَا مَا الْمَلِكُ سَامَ النَّاسَ خُفَاً<sup>(٢)</sup>      أَيُّنَا أَنْ نُقِرَّ الْقُلُوبُ فِينَا  
لَنَا الدُّنْيَا وَمِنْ أَسَى عَلَيْهَا      وَنَبْطِشُ حِينَ نَبْطِشُ قَادِرِينَا  
بُعَاةَ ظَالِمِينَ وَمَا ظَلَمْنَا      وَلَكِنَّا سَبَدًا ظَالِمِينَا  
مَلَأْنَا الْبَرَّ حَقَّ ضَاقِ عَنَا      وَنَحْنُ الْبَحْرُ نَمْلُؤُهُ سَفِينَا  
إِذَا بَلَغَ الرُّضِيعُ لَنَا فِطَامًا      تَخِرُّ لَهُ الْجِبَابُ سَاجِدِينَا  
وَقَالَ يَتُوعَدُ عَمْرُو بْنُ أَبِي حَجْرٍ التَّسَانِي

أَلَا فَاعْلَمْ (أَيْتُ الْعَنْ) أَنَا      عَلَى عِنْدَ سَنَائِي مَا تُرِيدُ  
تَعْلَمُ أَنْ عَمَلْنَا ثَقِيلٌ      وَأَنْ ذِيَادُ<sup>(٣)</sup> كِبَانَا<sup>(٤)</sup> شَدِيدُ  
وَأَنَا لَيْسَ حَتَّى مِنْ مَمَدِّ      يَوَازِنَا إِذَا لَيْسَ الْحَدِيدُ

### (٦) طَرْفَةُ بْنُ الْعَبْدِ

هو عمرو بن العبد البكري أقصرُ فحول الجاهلية عمراً، وأجودهم طويلاً وأوصفهم  
للناقة، مات أبوه وهو صغير، وولي أمره أعمامُه ومال إلى البطالة والهوى والأخذ  
بأسباب الصبوة والفتوة وقول الشعر والوقوف به في أعراض الناس، حتى هجا  
قومه وأهله، وحتى هجا عمرو بن هند ملك العرب على الحيرة، مع أنه كان يتطلَّبُ  
معروفه وجوده، فبلغ عمرو بن هند هجاء طرفة له، فاضطفتها عليه، حتى إذا ما  
جاءه هو وخاله المتلسس يترضآن لفضله - وكان قد بلغه عن المتلسس مثل ما بلغه

(١) لا تقبل عطايًا من محبتنا عليه وتقبل هدايا من رضىنا عنه (٢) اولامم ذلا

(٣) دقق (٤) جماعتنا

عن طرفة - أظهر لها البشاشة والوداد ليؤمّنتها وأمر لكل منها بجائزة وكتب لها كتابين وأحاطها على عامله بالبحرين ليسترفياها منه ، وبيننا هما في الطريق ارتاب المجلس في صحيفته فصرّح على غلام يقرؤها له (ومضى طرفة ) فإذا في الصحيفة الأمر بقتله ، فألقى الصحيفة وأراد أن يلحق طرفة فلم يدركه ، وفرّ الى ملوك عسّان ، وذهب طرفة الى عامل البحرين وقتل هناك وعمره نحو ست وعشرين سنة

شعره - قال طرفة الشعر وهو صبي فتنبّ فيه حتى عدّ من الفحول ولم ينفث على المشرين ، وزاد عليهم بقصيدته الطويلة التي وصف فيها الناقة بخمسة وثلاثين بيتاً وصفاً لم يسبقه اليه أحد ، وتمتد معلقته من أجود الملقّات وأكثرها غريباً وأعزّها معنى ، وروى له غيرها من الشعر ولكنه قليل بالنسبة لشهرته وربما دل هذا على أن الرواة قد جهلوا أكثره

ويُعيد طرفة الوصف في شعره مقتصرأ فيه على بيان الحقيقة بعيداً عن التلو والافراق ، وكذلك كان هجاءه على شدة وقته ، ومطلع معلقته

لِحَوْلَةٍ (١) أَطْلَلْتُ بِرُوقَةٍ (٢) نَهْمِدِ (٣) تَلُوحِ (٤) كَبَاقِي الرُّشْمِ (٥) فِي ظَاهِرِ الْيَدِ

ومنها

رَأَيْتُ بَنِي غُبَرَاءَ (٦) لَا يُسْكِرُونِي وَلَا أَهْلُ هَذَاكَ الطَّرَافِ (٧) الْمُمَدَّدِ

أَلَا أَيُّهَا ذَا الزَّاجِرِ أَخْضَرَ الْوُغَى (٨) وَأَنْ أَشْهَدُ الْاِذَاتِ هَلْ أَنْتَ مُخْلِدِي

فَإِنْ كُنْتَ لَا تَسْطِيعُ دَفْعَ مَنِيَّتِي فَدَعْنِي أَهَادِرُهَا بِمَا مَلَكَتْ يَدِي

الى أن قال

أَرَى الْمَوْتَ يَتَعَمَّ (٩) الْكَرَامَ وَيَصْطَلِقِي عَقِيلَةَ (١٠) مَالِ الْفَاحِشِ الْمُتَشَدِّدِ

(١) اسم محبوبته (٢) البقرة مكان اختلط ترابه بمجاردة أو حصى

(٣) موضع في ديار بني طامر (٤) تلوح تلعب

(٥) النقش على اليد وغيرها بالنبيل وهو المسمى الآن (بالندق)

(٦) القبراء الارض وللمراد القفر (٧) البيت من الادم

(٨) ألا أيها الانسان الذي يلومني على حضور الحرب وحضور القذات هل تخلدني ان كلفت منها (٩) يختار (١٠) كرام المال

أَرَى العَيْشَ كَنَزًا نَاقِصًا كُلَّ لَيْلَةٍ      وَمَا نَنْقُصُ الْيَوْمَ وَالْغَدُ يُنْقِصُ  
لَعَنَكَ لِيَنَّ الْمَوْتَ ( مَا أَخْطَأَ الْفَتَى )      لِكَالْطُولِ <sup>(١)</sup> الْمَرْخَى وَثِيئًا <sup>(٢)</sup> بِالْيَدِ  
مَتَى مَا يَشَأُ يَوْمًا يَقْدَهُ لِحَتْفِهِ      وَمَنْ يَكُ فِي حَبْلِ الْمَنِيَةِ يُنْقِصُ  
وَمِنْ آيَاتِهِ السَّائِرَةِ

وَلُظُمَ ذَوَى الْقُرْبَى أَشَدُّ مَضَاضَةً      عَلَى الْمَرْدِ مِنْ وَقْعِ الْحُسَامِ الْمُهْدَدِ  
أَرَى الْمَوْتَ أَعْدَادًا <sup>(٣)</sup> التَّفُوسِ وَلَا أَرَى      بَيْدًا غَدًا ، مَا أَقْرَبَ الْيَوْمُ مِنْ غَدٍ !  
سَتُبْدَى لَكَ الْيَوْمَ مَا كُنْتَ جَاهِلًا      وَيَأْتِيكَ بِالْأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تُزَوِّدْ

كُلُّ خَلِيلٍ كُنْتُ خَالَاتُهُ      لَا تَرُكُ اللَّهُ لَهُ وَاضِحَةً <sup>(٤)</sup>

كُلُّهُمْ أَرَوْعُ <sup>(٥)</sup> مِنْ تَعْلِيٍّ      مَا أَشَبَّهَ اللَّيْلَةَ بِالْبَارِحَةِ !

قَدِيعَتْ الْأَمْرُ الصَّغِيرُ كَبِيرُهُ      حَقٌّ تَفَلَّلَ لَهُ السَّمَاءُ تَصَبَّبُ

وَأَعْلَمُ عِلْمًا لَيْسَ بِالظَّنِّ أَنَّهُ      إِذَا ذَلَّ مَوْلَى الْمَرْدِ فَهُوَ ذَلِيلُ

وَلِإِنْ لِسَانَ الْمَرْدِ مَا لَمْ يَكُنْ لَهُ      حَصَنَةً <sup>(٦)</sup> عَلَى عَوْرَاتِهِ لِلذِّلِّ

وَمِنْ قَوْلِهِ يَفْتَخِرُ

نَحْنُ فِي السَّنَةِ <sup>(٧)</sup> نَدْهَوُ الْبَطْلَى <sup>(٨)</sup>      لَا تَرَى الْآدِبَ <sup>(٩)</sup> فِينَا يَنْتَحِرُ <sup>(١٠)</sup>

( ١ ) الطول الجبل الذي يطول لهابة ترمى فيه

( ٢ ) القى الطرف والجمع أمتاء ، والمحق اقم بجياتك أن الموت مدة مجاورته للمحق بمنزلة

حبل طول لهابة ترمى فيه وطرقه يده صاحبه ، فكما أن الهابة لا تملك ما دام صاحبها  
أخذاً بطرق طولها فكذلك الإنسان لا يهرب من الموت

( ٣ ) جمع عدد ، أى لكل إنسان ميتة فإذا ذهبت النفوس ذهبت ميتهم كلها ، أو جمع  
عد بالكسر وهو الماء الذي لا تنقطع مادته وكل واحد يوده ( ٤ ) الراضية الإنسان

تبدوعند الضحك ( ٥ ) راع التلب ذهب بمئة ومئة في سرعة خديفة فهو لا يستقر لرجمة

( ٦ ) يقال فلان ذو حمأة وأصاة أى عقل ورأى ، والمحق إذا لم يكن مع السان عقل

يحمزه من بسطه فيما لا يجب ، دل السان على عيب صاحبه بما يلفظ به من عور الكلام

( ٧ ) أى زمن الشتاء والبرد وهو أشد الزمان عندهم لما فيه من الحبل والجذب

( ٨ ) الدعوة العامة الى الطعام ( ٩ ) الذى يدهو الى المأدبة

( ١٠ ) يدهو التفرى وهى الدعوة الخاصة

حين قال الناس في مجلسهم أَقْنَارُ<sup>(١)</sup> ذاك أم ربيع قَطْرُ<sup>(٢)</sup>  
يَجَانُ تَعْرَى<sup>(٣)</sup> نَادِيَا<sup>(٤)</sup> من سَدِيفٍ<sup>(٥)</sup> حين هاج الصَّبْرُ<sup>(٦)</sup>  
كَلْجَوَانِي<sup>(٧)</sup> لَا تَنِي<sup>(٨)</sup> مَرْعَةً<sup>(٩)</sup> لَقَرِي<sup>(١٠)</sup> الْأَضْيَافِ أَوْ الْمُخَفِّرِ<sup>(١١)</sup>  
ثُمَّ لَا يُخَزِّنُ فِينَا لَحْمًا إِنَّمَا يُخَزِّنُ لَحْمَ الْمَذْخِرِ  
وَلَقَدْ تَعَلَّمَ بَكْرٌ أَنَّنَا آفَةُ الْجُزْرِ مَسَامِيحُ يُسْرُ<sup>(١٢)</sup>  
وَلَقَدْ تَعَلَّمَ بَكْرٌ أَنَّنَا فَاضِلُ الرَّأْيِ وَفِي الرِّوَعِ وَفُرُ<sup>(١٣)</sup>  
يَكْشِفُونَ الضَّرَّ عَنْ ذِي ضَرِّمٍ وَيُثْرُونَ عَلَى الْآبِي الْمُبْرِ<sup>(١٤)</sup>  
فُضِّلَ أَهْلَانَهُمْ عَنْ جَارِمٍ رُحْبُ الْأَذْرَعِ بِالْخَيْرِ أُمُرُ<sup>(١٥)</sup>  
ذُلُّقُ فِي غَارَةٍ مَسْفُوحَةٍ وَلَدَى الْبَاسِ حِمَاةٌ مَا فُفِرَ<sup>(١٦)</sup>  
نُسِكَ الْحَيْلَ عَلَى مَكْرُوهَا حِينَ لَا يُمَسِّكُهَا إِلَّا الصَّبْرُ<sup>(١٧)</sup>

## (٧) أَعْشَى قَيْسَ

هو أَبُو بَصِيرٍ مَيْمُونُ الْأَعْشَى بْنُ قَيْسِ بْنِ جَنْدَلِ الْقَيْسِيِّ ، رَابِعُ فُجُولِ الْجَاهِلِيَّةِ ،  
وَقَسِيدَةُ الشَّعْرِ وَأَمْدَحُهُمُ لِلْمَلُوكِ ، وَأَوْصَفَهُمُ لِلْخَمْرِ ، وَأَغْزَرَهُمْ شِعْرًا ، وَكَثُرَتْ لَهُمْ عَرُوسَاتٌ وَاقْتِنَانًا ،  
وَطَوَّلَا جِيَادًا ، وَيَنْتَهِي نَسَبُهُ إِلَى بَكْرِ بْنِ وَاثِلٍ ، وَكَانَ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ ، يَسْكُنُ قَرْيَةَ

- (١) ربيع شواء (٢) المود الذي يلبس به (٣) ظم وثأني نادينا
- (٤) شحم السنام (٥) اشد ما يكون من البرد (٦) جمع جانية وهي الخوض العظيم
- (٧) لا تختر بل هي لا تزال (٨) مملوكة (٩) لأكرام الأضياف
- (١٠) التازلين معنا على الماء
- (١١) الجرد جمع جزور والمساميح الاستغناء واليسر الفاعلون في اليسر والمفرد يسور
- (١٢) جمع وقور أي لا تزعزع (١٣) أبر عليه غلبه ، والآبى المتنع ، والمبر الغالب ،
- أي يطبوك التاليين للناس (١٤) جمع أمود وهو الكثير الأمر
- (١٥) أي سرعول إلى الفارة متقدمون فيها واصله من ذاق السيف إذا كان يخرج من
- عمقه ، ومسفوحة مصبوبة
- (١٦) أي تمسك الحيل على ما تقتله من شدة الحرب وجهدها ولا تهزم ، وإنما ذكر مكرهه
- الحيل لأنها إذا أصابها مكرهه في الحرب فهم أجندوان يصيهم



منها تُسمى منفوحة . ونشأ في بدء أمره راوية لحاله المُستب بن علس أحد الشعراء  
المُعَلِّين المُجِدِّين . وكان الأعشى يُطْرِى شعره ويأخذ منه ، حتى اذا جاد شعره ،  
ونبه شأنه ، قصد الملوك والأجواد ، وطوف اليهم الآفاق ، وأقصى البلدان مادحا  
لهم مُستَجديا عطايام وهو أول من صرَّح في شعره ، بالسؤال وطلب الحاجة ،  
فوضع ذلك من شأنه ، وكان الشعراء قبله يمدحون ولا يسألون ، وكان ينتاب بالمديح  
بنى عبد المذنان ملوك نجران وأساقفتها ، يُقيم عندهم ما يشاء ، يترب الخمر ويسمع  
الغناء ، ويأخذ عنهم بعض آرائهم في العقائد ، فجاء لذلك وصفه للخمر ، وظهر بعض  
معتقدهم في كلامه ، كما كان ينتاب ملوك الحيرة وخاصة الأسود أخا النعمان بن المنذر ،  
وما زال هذا شأنه ، حتى طمع في جوائز كسرى ، فرحل اليه يمدحه بالشعر العربي ،  
فأجزل عطاءه وان لم يرقَّ عنده شعره ، لسوء ترجمته له

وعى الأعشى ، وطال عمره ، حتى كان الاسلام وعظم أمرُ النبي صلى الله عليه  
وسلم بين العرب ، فأعدَّ له قصيدة يمدحه بها ، وقصده بالحجاز ، فلقبه كفار قريش  
وصدوه عن وجهه على أن يأخذ منهم مائة ناقة حراء ، ويرجع الى بلده : لتخوفهم  
أثر شعره ففعل ؛ ولما قُرب من أليامة سقط عن ناقته فدقت عنقه ومات ، ودفن  
ببلدته منفوحة باليامة

شعره - يمدُّ الأعشى عند الكثيرين رايا ثلاثه الفحول : امرؤ القيس ،  
والنابغة ، وزهير ، وإن كان يمتاز عنهم بوزارة شعره ، وكثرة ما روى له من الطوال  
الحياد ، ونظمية من أكثر أغاريض الشعر وضروبه ، وتفتنه في كل فن من أغراضه ،  
واشتهر من بينهم بالمبالغة في وصف الخمر ، حتى قيل : أشعر الناس امرؤ القيس اذا  
ركب ، وزهير اذا رغب ، والنابغة اذا رهب ، والأعشى اذا طرب . ولشعره طلاوة  
وروعة ، ليست لكثير من شعر غيره من القدماء . ولقوة طبعه وجلبه شعره سيقى  
صنَّاجة (١) العرب حتى ليُخَيَّل اليك اذا أنشدت شعره أن آخر ينشد مملك ،  
( ١ ) وقيل سمي صنَّاجة لذكره الصنج في شعره وهي آلة موسيقية ( البسطة )

ازعره وجلالة شعر الأعشى في صدور العرب ، وسرعة طيرانه بين قبائلهم كان يرفع الوضع الحامل ، ويخفض الشرف النابه ، ومن الذين رفعهم شعر الأعشى المخلوق <sup>(١)</sup> . وقد كان أبا ثمان بنات عوانس : رغب عن خطبتين الرجال لقرهن . فاستضافه على فقره ، فدحه الأعشى وثوه بذكره في عكاظ ، فلم يمض عام حتى لم يبق جارية منهن إلا وهي زوج لسيد كريم ، وكان الأعشى يتظرف في شعره ، ويتملح بذكر بعض أسماء الآيات والأزهار باللغة الفارسية ، لإعلانه أنه دخل بلاد القوم ، وجالسهم وصدر عن ملوكهم . وعده بعضهم من أصحاب المقات ، وذكر قصيدته التي يمدح بها الأسود الكندي ومطلما :

استعماله  
للانفاذ  
الاعجية

ما بكاء الكبير بالأطلال وسؤالي وما ترد سؤالي

ومن جيد شعره قصيدته التي أعدها ليئسدها بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم يمدحه فيها فلم يفر بذلك  
ألم تشبع عينك ليلة أرمدًا <sup>(٢)</sup> وبت كابات السليم <sup>(٣)</sup> مهديًا <sup>(٤)</sup>  
وما ذاك من عشق النساء وإنما تناسيت قبل اليوم خلة <sup>(٥)</sup> مهديًا <sup>(٦)</sup>  
ولكن أرى الدهر الذي هو خائن إذا أصلحت كفاي عاد فأفسدا  
شباب وشيب وافترار وروية فله هذا الدهر كيف ترددا <sup>(٧)</sup>

وبنها يتحدث عن ناقته ويمدح النبي صلى الله عليه وسلم  
فأليت لا أرني لما من كلاله <sup>(٨)</sup> ولا من حقي <sup>(٩)</sup> حتى تلاقى حمدا  
مق ما تنأني عند باب ابن هاشم تراحي <sup>(١٠)</sup> وتلقى من فواضله ندى  
فجي يرمى ما لا يروون وذكره أثار لمعري في البلاد والتجدا <sup>(١١)</sup>  
له صدقات ما شيب <sup>(١٢)</sup> ونائل وليس عطاه اليوم بمنه غدا

(١) سمي كليل لأن فرساً منه نصار موضع صفته كالمخقة  
(٢) رجل أرمد به ومدق جليه - (٣) اللدوغ ، وسمى بذلك تغاؤلاً  
(٤) لا ينجم (٥) صدقة (٦) اسم محبوبه (٧) تنوير (٨) نمب  
(٩) رقة القدم (١٠) تفرجى (١١) أثار دخل النور وهو كل ما انجدر مغرباً  
عن تهامة ، وانجد دخل التجبد وهو ضد النور (١٢) تنقطع

وقصيدته في مدح الخلق أوّلها

أرقت<sup>(١)</sup> وما هذا الشهاد المؤرق؟ وما بي من سقم وما بي تشفق

ومنها:

لمرى لقد لاحت عيون كثيرة إلى ضوء ناري البقاع<sup>(٢)</sup> تحرق  
نُشب لقرورين<sup>(٣)</sup> يصطليانها<sup>(٤)</sup> وبات على النار الندى<sup>(٥)</sup> والمحاق  
رضيحي لبان ندى أُمّ تقاسما بأسحم داج عَوْضُ لا تنفوق<sup>(٦)</sup>  
تري الجود يجرى ظاهراً فوق وجهه كما زان متن الهندواني رونق  
بداه يدا صدي فكفت ميده<sup>(٧)</sup> وكفت إذا ما ضنّ بالمال تنفق

ومن آياته السائرة

علّقها عرضاً وعلقت رجلاً غيري، وعلّق أخرى ذاك الرجل  
كناطح صخرة يوماً ليونها فلم يضربها وأوهى قرنة الوعل

وقال يعتذر إلى أوس بن لام<sup>(٨)</sup> عن هجائه إياه :

وإني على ما كان مني لنادم وإني إلى أوس بن لام لثائب  
وإني إلى أوس ليقبل عذرتي<sup>(٩)</sup> ويصفح عني (ما حيت) لراغب  
فهب لي حياتي فالحياة لقاتم بشرك فيها خير ما أنت واهب  
سأحو بمدح فيك إذ أنا صادق كتاب هجاء سار إذ أنا كاذب

## (٨) الحارث بن حليزة

هو الحارث بن حليزة اليشكري البكري أحد أصحاب المقات، والمشهورين

بالواحدات، والمجيد على البديهة والازمجال، والمضروب بهم المثل في الحماسة

(١) سهرت (٢) الظل (٣) أصابها البرد (٤) يستفكان بها (٥) الكرم

(٦) بأسحم داج يريد ليلاً خديده السواد، والمعنى إن الكرم والحق رضاء من ندى واحد

وتامدا على أنها لا يفرقان أبداً (٧) مثقة (٨) بنو لام من طيء (٩) غنري

والافتخار، ويتصل نسبه الى بكر بن وائل .. وكان فيها بمنزلة عمرو بن كلثوم في تغلب . ولم يورث عنه غير قطع يسيرة وقصيدة المعلقة التي مطلعها :

أَذْنَتَا (١) يَبِينَهَا (٢) أَسْمَاءُ رُبَّ ثَاوٍ (٣) يُمَلُّ مِنْهُ التَّوَاهُ

سبب ارتجال المعلقة  
وكان من أمر هذه المعلقة أن عمرو بن هند أحد ملوك الحيرة أصلح بين بكر وتغلب بعد حربهم المشهورة بحرب البسوس . وأخذ من كلا الفريقين رهائن من أبنائهم ليكف بعضهم عن بعض ، وليُقيد منها للمعتدى عليه من المعتدى ، فحدث أن سرح الملك ركباً من تغلب في بعض حاجته ، فزعت تغلب أن الركب نزلوا على ماء بكر ، فأجلوهم عنه ، وحلوم على المفازة فأتوا عطشاً ، وزعم بكر أنهم سقوهم وأرشدوهم الطريق فأتوها وضلوا وهلكوا ، وذهب الفريقان يتدافعان عند عمرو بن هند ، وكانت ضيلعة مع تغلب ، فهاج ذلك الحارث بن حطيرة وكان في المجلس اثر شعره مستوراً عن الملك بيسارة لما فيه من البرص ، فارتجل قصيدته هذه ارتجالاً يفتخر فيها بقومه وقبائلهم ، وحسن بلائهم عند الملك وعظم أياهم معه ، فما أتم قصيدته حتى انقلب الملك الى جانب البكرين واستدنى الحارث ورفع الستر بينه وبينه حتى صار معه في مجلسه . وعبر الحارث طويلاً حتى قيل : انه أنشد هذه القصيدة وعمره خمس وثلاثون ومائة سنة



وصف شعره - أكثر الرواة وقدة الشعر متجبنون بارتجال الحارث بن حطيرة قصيدته على طولها وإحكام نظمها ، وكثرة غريبها ، وتمتد فنونها ، واشتمالها على كثير من أيام العرب ووقائعها

ومن قوله فيها وهو أوجز ما قيل في وصف التأهب للارتجال وأصدقته وأوضحته تصويراً للحقيقة :

أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ عِشَاءً ظُلًّا أَصْبَحُوا أَصْبَحَتْ لَمْ ضَوْضَاءُ<sup>(١)</sup>  
 مِنْ مُتَاوٍ وَمِنْ مُجِيبٍ وَمِنْ تَفْصَالٍ خَيْلٍ خِلَالِ ذَاكَ رُطَاءُ<sup>(٢)</sup>  
 وَمِنْ قَوْلِهِ فِيهَا :

لَا يُقِيمُ الْعَزِيزُ بِالْبَلَدِ السَّهْلِ وَلَا يَنْفَعُ الْقَلِيلَ النَّجَاءُ<sup>(٣)</sup>  
 لَيْسَ يَنْجِي مُؤَانِلًا<sup>(٤)</sup> مِنْ حِذَارٍ رَأْسُ طَوْدٍ وَحَرَّةٌ رَجْلَاءُ<sup>(٥)</sup>  
 وَمِنْ قَوْلِهِ فِي غَيْرِ الْمَلَقَةِ :

مَنْ حَاكَمَ بِنِي وَيَسِّنُ الدَّهْرَ مَالٍ عَلَى عَنَدَا  
 أَوْدَى بِسَادَتِنَا وَقَدْ تَرَكُوا لَنَا حَلَقًا<sup>(٦)</sup> وَيُجْرَدَا<sup>(٧)</sup>  
 خَيْلٍ وَفَارَسَهَا وَرَبِّ مَ أَيْكَ كَانَ أَعْرَ فَقَدْ  
 ظَلَوْ أَنَّمَا يَأْوِي إِلَيَّ مَ أَصَابَ مِنْ تَهْلَانٍ<sup>(٨)</sup> هَذَا  
 فَضَى قَنَاعِكَ<sup>(٩)</sup> إِنْ رِبَّ الدَّهْرَ قَدْ أَفْنَى مَعَدَا  
 فَلَكُمْ رَأَيْتَ مِمَّا شَرًّا قَدْ جَمَعُوا مَالًا وَوُلْدَا  
 وَهُمْ رَهَابٌ حَاثِرٌ<sup>(١٠)</sup> لَا يُسْمِعُ الْآذَانَ رَعْدَا  
 فَعَشَ بِجَنَّةٍ لَا يَفِيزُ لَكَ التَّوَكُّدُ<sup>(١١)</sup> مَا لَا قِيَتَ جَدًّا<sup>(١٢)</sup>  
 وَالْعَيْشَ خَيْرٌ فِي ظِلَا لِ التَّوَكُّدِ مِنْ طَشٍ كَدًّا  
 وَمِنْ قَوْلِهِ :

إِنْ السَّعِيدُ لَهُ فِي غَيْرِهِ عِظَةٌ وَفِي التَّجَارِبِ تَحْكِيمٌ وَمُعْتَبَرٌ

(١) الضوضاء اختلاط الاصوات (٢) الرطاء صوت البعير (٣) الاسراع في السير  
 (٤) وآل حرب وفروع كواحد (٥) الحررة الارض ذات الحجارة السوداء النخرة والرجلاء  
 النليظة الشديدة التي يترجل فيها يريد ان الحركة شاملاً لم يسلم منه العزيز ولا القليل ، وان  
 المحارب منهم لم ينجح تحصنه بالجبل ولا بالحررة النليظة الشديدة  
 (٦) سلاحاً (٧) خيلاً (٨) جبل لبني نعيم (٩) القناع ما تقصر به المرأة رأسها  
 (١٠) سحاب أيضاً لم يتجه جهة (١١) الحق (١٢) حظاً

### (٩) ليلى بن ربيعة

هو أبو عَليّ ليلى بن ربيعة العامريّ، أحد أشراف الشعراء المجيدين، والقواد  
الفرسان المعترّين، والأجواد المريقين، والحكماء المحنّكين، وهو من بني عامر بن  
صَمْعَةَ إحدى بطون هوازن من مضر، وأمه عَبْسِيَّة. نشأ ليلى جواداً شجاعاً  
فاتكاً، أما الجود فورثه عن أبيه الملقب بريقة المعترّين، وأما الشجاعة والفنك  
فهما حصلا قيله اذ كان عمّه ملاعبُ الأُسنة أحد فرسان مضر في الجاهلية، وكان  
بين قيله وبين بني عبس أخواله عداوة شديدة، فاجتمع وفداهما عند النعمان بن  
المنذر، وعلى العباسيين الربيع بن زياد، وعلى العامريين ملاعبُ الأُسنة، وكان  
الربيع مقرّباً عند النعمان يؤاكله ويناديه، فأوغر صدره على العامريين، وعدّد  
معاييمهم وعغازيهم، فلما دخل وقُدّم على النعمان غَضّ منه وأعرض عنه، فَشَقَّ  
سبب قوله الشر ذلك عليهم وخرجوا غضاباً يتذاكرون في أمرهم مع الملك، وليلى يومئذ صغير  
يسرح إليهم ويربّاهم، فسألم عن خطبهم، فاحتقروه لصغره، فألجّ حتى أشركوه  
مهم، فوعدهم أنه سيبتهم لهم منه غداً عند النعمان أسوأ انتقام: بهجاه لا يجالسه  
بعده ولا يؤاكله، فكان ذلك، ومقت النعمان الربيع ولم يقبل له عذراً ولم يجتمع  
به بعد، وأكرم العامريين وقضى حوائجهم، فكان هذا أوّل ما اشتهر به ليلى،  
ثم قال بعد ذلك المقطعات والمطولات، وشهد النابتة له وهو غلام بأنه أشعر هوازن  
حين سمع معقته التي أوّلها:

عَنَتِ الدِّيارُ محلّها فمقامها      يَمْنَى تَأَبَّدَ غَوَّلُها فِرْجاءُها<sup>(١)</sup>

ومن حوادث فتكه ان الحارث الأعرج النسائي أرسل مائة من الفتيان التناك  
على رأسهم ليلى، ليبتالوا المنذر بن ماء السماء ملك الحيرة، فذهبوا اليه وأظهروا انهم

(١) الخيل في الاصل ما نُحِلَّ فيها لابلٌ ممدودة، والمقام ما طالت الاقامة به، ومنى  
موضع يسجد فيه من مكة، تأبّد توحش، القول ما اتيهط من الارض، والرجاء واحدة رجوة  
وهي المضطرب وقيل القول والرجاء موضعان

أتوه داخلين في طاعته ، فأدناهم اليه ، ولما صادفوا منه غيرةً قتلوه وهربوا ، فتبعهم جنود النذر وقتلوا كثيراً منهم وفرَّ الباقي وفيهم لييد ، ولما ظهر الاسلام وأقبلت وفود العرب على النبي صلى الله عليه وسلم جاء لييد في وفد بنى عامر وأسلم وعاد الى بلاده وحسن اسلامه ، وتسلك وحفظ القرآن كله وهجر الشر حتى لم يرو له في الاسلام غير بيت واحد وهو<sup>(١)</sup> :

ما عاتب الحرَّ الكريمَ كتفبه والمرء يصلحه الجليسُ الصالح

وبعد أن فتحت الأمصار ذهب الى الكوفة زمنَ عمر بن الخطاب واختارها دار اقامة . ومن أحاديث جوده أنه نذر في الجاهلية ( ألا تهب الصبا الاطم ) وأنزم ذلك نفسه في الاسلام ، وكانت له جفستان يندو بهما وروح على مسجد قومه بالكوفة فبست الصبا والوليد بن عتبة والى الكوفة على المنبر ، وليد يومئذ قليل المال ، فخرَّض في خطبته الناس أن يعينوه على مروءته قتلوا ، وبث هو اليه مائة بكرة ، فشكرته ابنة لييد عن أيها على ذلك بشعر جميل ، وما زال بالكوفة حتى مات في أوائل خلافة معاوية سنة احدى وأربعين من الهجرة ، ومن ذلك تعلم أنه من كبار المعمرين ، وقد قيل إنه عاش ثلاثين ومائة سنة



شعره - انما جعلنا لييداً في فحول الجاهلية وان عمر في الاسلام أكثر من وصف شعره أربعين سنة : لأنه كما قدّمنا لم يكن شاعراً في الاسلام ، بل لم يصح عنه فيه إلا بيت واحد ، وقال لييد الشعر ونبيغ فيه وهو غلام ، وجرى فيه على سنن الأشراف والفرسان : كمترة وعمر بن كثوم ، فلم يجعله مورد كسب ، ولذلك ترى في شعره ولا سيما معقته نبالة الفخر والتحدث بالقوة والتجدة والكرم والإيواء الجار وعزة القبيل ، ويُشابه علو همته جزالة لفظه ، وخفامة عبارته ، ودقة معانيه ، وشرف مقاصده ، وقلة القفر في قوله ، وكثرة اشتغاله على عقائد الإيمان والحكمة الصادقة ،

(١) وبئيل هو : الحمد لله اذ لم يأتي أجلى حقاً اكتمت من الاسلام سرّاً

والموعظة الحسنة . وقد ثبت في الصحيحين شهادة النبي صلى الله عليه وسلم له بقوله  
أصدق كلمة قالها شاعرُ كلمةُ لبيد ( ألا كل شيء ما خلا الله باطل ) . وهو من يجيد  
الزئاء من الجاهليين ، ويأتى فيه بأبداع الحكم والأمثال التي تذهب الأحزان ، وتسلى  
الهموم وتهوّن على النفس ألم المصيبة ، وعبارته فيه سهلة تخلص الى النفس بلا عائق  
من غرابة في لفظ ، أو تعقيد في معنى

ومن جيد شعره قوله في معلقته مقترناً بقوله وقومه :

- أنا إذا التقت الجماع لم يزل  
ومنهم يعطى الشيرة حنّا  
فضلاً وذو كرم يمين على الندى  
من معشر سنّت لهم آباؤهم  
لا يعطون ولا يور فُألّم  
فائق بما قَسَمَ المليكُ فأنا  
وإذا الأمانة قُسمت في مشرٍ  
فبى لنا يتكا رفيعاً سمكة  
وهم السعاة إذا المشيرة أفضلت  
وهم ربيعٌ للمجاور فيهم  
(١) منا زَارُ عَظيمة جَسَّاءُها  
(٢) وَمُعْذِرٌ لِحَقوقِها هَضَّاءُها  
(٣) سَمَحَ كُؤُوبُ رِغَابِ غَنَاءُها  
(٤) ولكل قوم سنة وإمامها  
(٥) اذ لا عميل مع الهوى أحلامها  
(٦) قسم الخلاق بيننا علمها  
(٧) أوفى بأوفى حظنا قسماها  
(٨) فما اليه كلها وغلامها  
(٩) وهم فوارسها وهم حكامها  
(١٠) والمربلات إذا تطاول عامها

( ١ ) رجل زار الحصوم يصلح لأذي يترجم أى يقرن ليظلمهم ويقرهم ، جثم الامر كسبح  
تكلف على مشقة وجشام مبالغة منه أى لا تغلو الجماع من رجل منا يشغل بقبح الحصوم  
ويكلف الحسام

( ٢ ) الذميرة الغضب ، والحضم الظلم يريد منا ائدى يقسم التنازيم فيوفر على الشائر حقوقها  
ويتغضب عند اضاغة شئ منها ويهضم حقوق عشيرته اذا ظلمت وجارت

( ٣ ) الرغائب جمع رغبة وهى السطاء الكثير ، والأمر المرغوب فيه ، وفضلاً أى يذل  
ذلك تفضلاً ( ٤ ) الطبع تدنس الرض وتلطشه ، والبوار الفساد ، والاحلام القول

( ٥ ) أفضلت أصيبت بأمر فظيع ( ٦ ) ارمل القوم فقد زادهم أى هم لمن جاورهم  
والساء الاتى ثقت ازوادهم بمنزلة الربيع لسوم تقيم واجباتهم ايهم بمجودهم .



ومُ المشية أن يُعطى حاسدٌ أو أن يميل مع العدو لتأملها<sup>(١)</sup>  
وقال يرى أخاه أريد :

بَلِينَا وما تَمَلَّى النجوم الطوالعُ وتبقى الديار بدنا والمصانعُ<sup>(٢)</sup>  
وقد كنتُ في أكناف جارِ مَضِينَةٍ ففارقني جَارٌ بأريدَ نافعُ<sup>(٣)</sup>  
فلا جَزَعُ أن فرَّقَ الدهر بيننا فكل امرئٍ يومًا به الدهر فاجعُ  
وما الناس إلا كالديار وأهلها بها يوم خلَّوها وراحوا بلاقعُ<sup>(٤)</sup>  
وما المرء إلا كالشهاب وضوئه يمحورُ<sup>(٥)</sup> ومادأ بعد اذ هو ساطعُ  
وما المال والأهلون إلا ودائعُ ولا بدَّ يومًا أن تُردَّ الودائعُ  
وما الناس إلا عاملان : فمائل فتهبُّ<sup>(٦)</sup> ما بيني وآخر رافعُ  
فهنهم سعيد آخذ بنصيبه ومنهم شقي بالمعيشة قانعُ  
ومنه قوله في النعمان يرثيه :

ألا تسألان المرء ماذا يحاولُ أتعبُ فيُقضى أم ضلال وباطلُ<sup>(٧)</sup>  
أرى الناس لا يدرون ما قدرُ أمرهم بلى كل ذي لبٍ إلى الله واسلُ<sup>(٨)</sup>  
ألا كل شيء ما خلا الله باطل وكل نعيم لا محالة زائلُ<sup>(٩)</sup>  
وكل أناس سوف تدخل بينهم دُويبةٌ تصفرُّ منها الأناملُ<sup>(١٠)</sup>

(١) هم متضادون كراهية أن يطيء الحساد بعضهم من نصر بعض أو أن يميل لتأميم إلى الاعداء (٢) اللباني من القصور والحصون (٣) اكناف ظلال، جار مضنة يرضن به ويتنافس فيه ، بأريد أي هو لرب (٤) البقع الأرض القفر والجمع بلاقع (٥) يرجع (٦) يهلك ويهدم (٧) السؤال بمعنى الاستطعام ، والمحاولة استعمال الحيلة ، والنعب التندر - اسألوا هذا

الحريس على الله نياحها هو فيه أهو نذر نذره على نفسه فلا بد من ضلالتهم أو ضلال وباطل من أمره (٨) الواسل الطالب والراغب إلى الله - أرى الناس لا يعرفون ما هم فيه من خطر الدنيا وسرعة زوالها فالماثل من يحوصل إلى الله بالطاعة والعمل الصالح (٩) كل شيء غير الله تعالى زائل وقائم ومضمحل ليس له دوام (١٠) التصغير للتظيم والمراد الموت ، والتصود من الأنامل الاطفال لأن صفرتها لا تكون إلا بالموت

وكل امرئ يوماً سيعلم غيبه اذا كُشِفَتْ عند الإله الحصائل<sup>(١)</sup>  
 اذا المرء أسرى ليلة خال أنه قضى علماً والمرء ما دام عامل<sup>(٢)</sup>  
 قولا له ان كان يقسم أمره ألماً يعطك الدهر، أملك هابل<sup>(٣)</sup>  
 فتعلم أن لا أنت مدرك ما مضى ولا أنت مما تحذر النفس وائل<sup>(٤)</sup>  
 فان أنت لم ينفعك علمك فانتسب لملك تهديك القرون الأوائل<sup>(٥)</sup>  
 فان لم تجد من دون عدنان والداً ودون معدٍ فلتزعك المواذل<sup>(٦)</sup>

## الرواية والرواة

قد علمنا مما تقدم أن عامة الروى من كلام العرب شعرها ونثرها وأخبارها  
 معزوة الى أهل البدو الأيمنين ، ولذلك لم يصل إلينا كتابٌ يجمع بين دفتيه الكثير  
 منها ، إلا ما روى عن هشام بن الكلبي من أنه استخرج أخبار ملوك الحيرة من  
 بعض صحفهم ، والأما قيل من حديث الطنوج<sup>(١)</sup> التي عثر عليها المختار الثقي تحت  
 قصر النعمان بالحيرة ؛ وما روى لنا من كلام فصحاء العرب ليس إلا التزوير اليسير  
 بوجوه مختلفة : من قص وزيادة ، وتهديم وتأخير ، ووضع لفظ موضع آخر ، اذ  
 لا يعقل ان الناس كيفما قويت ملكة الحفظ فيهم ( كما هو شأنها في الأمة العربية )  
 يضبطون كل ما يسمعونه طبق أصله بلا تغيير ولا تبديل ، ولو كان هذا الأمر ممكناً  
 لفنيت أمة به عن الكتابة ولن تنق ، وبالطبع لا يحفظ هذه الوديعة إلا أهل الحفظ

( ١ ) جمع حمية والمراد الحسنات والسيئات

( ٢ ) اذا سهر للمرء في محل ظن انه فرغ منه ، وهو ما عاش يرضى له مثل ذلك

( ٣ ) يقسم يدير ، هبة أمه تكله ( ٤ ) تكلم بالنصب جواب التي ، وائل من وألت  
 النفس بمعنى نجت والموتل المتجني

( ٥ ) اذ لم تنفع بملكك فانتسب ومن اين فلاذ بن فلاذ فانك لا ترى احداً بجى ، املك  
 تهديك وترشدك هذه القرون الخالية

( ٦ ) تزعك تكلهك ، الرافض هنا الحوادث ، وعدنان جده الاكبر - يقول لم يبق لك  
 أبى حتى الى عدنان فكف عن الطمع في الحياة ( ٧ ) الكبراريسى ولا واحد لها

عليها والاعتداد بها ، وهم الشعراء والتأديون وأرباب الأحساب والمفاخر ، قد كان  
امروء القيس راوية أبي ذؤاد الإيادي ، وزهير راوية أوس بن حجر ، والأعشى  
راوية المسيب بن علس .

واشتهر من قريش أربعة بأنهم رواة الناس للشعار وعلاؤهم بالأنساب وهم :  
مخزومة بن نوفل ، وأبو الجهم بن حذيفة ، وخويلب بن عبد المزي ، وعقيل بن  
أبي طالب

## العصر الثاني

عصر صدر الإسلام ، ويشمل بنى أمية<sup>(١)</sup>

حالة اللغة وآدابها في ذلك العصر

ملخص  
حالة اللغة  
في الجاهلية

كانت العرب في أخريات جاهليتها بحسب أرضها أمما بدوية ، وقبائل رحالة ،  
ليس لها من وسائل العمران وأسباب الرخاء ما يجعلها على تبخر في علم ، أو تبصر  
في دين ، أو تقنن في تجارة ، أو تأنق في زراعة ، أو تدبر في سياسة ؛ وكانت  
من التدابر والتخاطع والتماول<sup>(٢)</sup> على حال لم تقتصر على سكان القفر والوبر ،  
بل عمت المدن والمدن ، وعلى وفق ذلك كانت اللغة العربية لا تعدو أغراض المعيشة  
البدوية ووصف مراقبتها ، وإثارة المنازعات والمشاحنات ، إلا أن روحاً من الله  
تنفس<sup>(٣)</sup> بين أرجائها فأيقظها من رقدتها ، ونبها لضرورة التماول على الخير في

- |                                     |  |
|-------------------------------------|--|
| (١) خلفاء بنى أمية هم :             | ٧ : سليمان بن عبد الملك ( ٩٦ - ٩٩ )            |
| ١ : معاوية بن أبي سفيان ( ٤١ - ٦٠ ) | ٨ : عمر بن عبد العزيز ( ٩٩ - ١٠١ )             |
| ٢ : يزيد بن معاوية ( ٦٠ - ٦٤ )      | ٩ : يزيد بن عبد الملك ( ١٠١ - ١٠٥ )            |
| ٣ : معاوية بن يزيد ( ٦٤ - ٦٤ )      | ١٠ : هشام بن عبد الملك ( ١٠٥ - ١٣٥ )           |
| ٤ : مروان بن الحكم ( ٦٤ - ٦٥ )      | ١١ : الوليد بن يزيد بن عبد الملك ( ١٢٥ - ١٣٦ ) |
| ٥ : عبد الملك بن مروان ( ٦٥ - ٨٦ )  | ١٢ : يزيد بن الوليد الأول ( ١٣٦ - ١٣٦ )        |
| ٦ : الوليد بن عبد الملك ( ٨٦ - ٩٦ ) | ١٣ : مروان الحدي ( ١٢٧ - ١٣٢ )                 |
- ( ٢ ) التواكب والمهاجرة ( ٣ ) تنفس

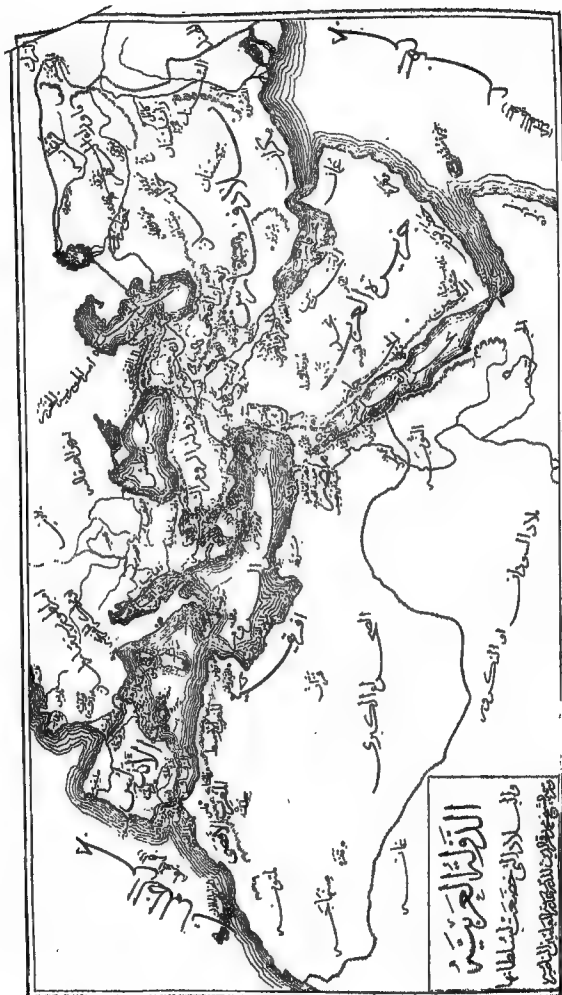
معاشها ولغتها وجامعتها ، فظهر ذلك بَيِّنًا في الأسواق التجارية اللغوية الاجتماعية ، وفي الإذعان فيها الى حكومة الأشراف والفصحاء والنبلاء من قريش وتيمم وغيرها ، مما هيأهم لأن يجتمعوا تحت لواء واحد ، ويتفاهوا بلسان واحد ، فكان ذلك إيذانًا من الله بإظهار الإسلام فيهم ، وما ألفت قلوبهم هذا الخط الجديد إلا وقد جاء النبي الكريم لأداء لشئهم ، موحدًا لكلمتهم ، مهذبًا لطباعهم ، منشئًا لهم تنشئة جديدة ، مبيِّنًا طريق الحق ، وجاذة الصواب ، بشرية عظيمة ، تتمثل في كلام الله وكلام رسوله ، فكان من نتيجة ذلك أن أسست لهم جامعة قومية مليه وملك كبيره وبالتفاف العرب حول صاحب هذه الدعوة وأنصاره ، وقههم شريعة وكلامه ثم خضوعهم بعد لزعة<sup>(١)</sup> قومه وخلفائه وولائهم وأعوانهم وأنصارهم ، وفتحهم تحت أوتيتهم ممالك الأكاسرة والقيصرة وغيرها ، من جبال البرانس<sup>(٢)</sup> الى الهند والصين ومخاطبتهم أهلها بالجوار والمصاهرة ، حدث في حياتهم الفكرية واللسانية ما يمكن إجماله في الأمور الآتية :

أثر الإسلام  
في اللغة

الأول - شيوخ اللغة القرشية ثم تَوَحَّدُ لغات العرب ، وتمثلها جميعها في لغة قريش ، واندماج سائر اللهجات العربية فيها. وبعض أسباب هذا يرجع الى ما قبل الإسلام بتأثير الأسواق والحج وحكومة قريش ، وأكثرها يرجع الى نزول القرآن بلسانهم ، وظهور ذلك الداعي العظيم منهم ، وانتشار دينه وسلطانه على أيديهم ؛ اذ كانوا هم القائمين بأمر الإسلام بعد فتح مكة ، ومنهم كان الخلفاء والأمراء وقادة الجيوش ورجال الدولة وأصحاب الحل والعقد ، الذين تألفت منهم عصبية<sup>(٣)</sup> العرب في الإسلام ، وكان لهم الغلب على كل قبائله وأئمه ؛ وبحكم الضرورة تكون لغتهم هي اللغة الرسمية بين كل القبائل . واذا علمنا ان أكثر رجال الدولة العربية من السلالات المصيرية ، وهم أولاد عم قريش ، علمنا بسهولة وجدة انتحال أكثر

(١) ربيعة (٢) جنوى فرنسا

(٣) العصبية تناصر المشية والتقية بعضها لبعض والمراد هنا القوة



والبلاد التي خصت بغيرها  
 والبلاد التي خصت بغيرها

العرب لغة قريش في زمن قليل . أما ما كان باقياً من لغة حمير فلم يكن متميزاً عن لغة قريش بأمر جوهري في إعراب أو أسلوب أو تصرف ، بل كان باختلاف بعض الألفاظ في دلالتها على المعاني المتحدة ؛ فثلاً الشنائر ، بلغة حمير الأصابع بلغة قريش ؛ والكُتْع عند حمير اللُتْب عند قريش ؛ وأنطى في كلام حمير أعطى في كلام قريش . الى غير ذلك مما له نظائرُ بين لغات بعض قبائل مُصر أنفسها ولغات بعضها الآخر ؛ فثلاً الشدَّة الظلمة عند تميم ، والضوء عند قيس وهكذا . ولذلك لم تختلف لغة حمير عن اللُحاق بأخواتها من لغات العرب واندماجا في لغة قريش الثاني - انتشار اللغة العربية في ممالك الفرس والروم وغيرها بالتفوح والمغازي<sup>(١)</sup> وهجرة قبائل البدو اليها ، واستيطانهم لها ، واختلاطهم بأهلها ، وقرَّب هؤلاء الأصحاب اليهم يتعلم لغتهم والدخول في دينهم المستمد من القرآن العربي المبين الثالث - اتساع أغراض اللغة بسلوكها منهاجاً<sup>(٢)</sup> دينياً ، واتباعها حُطَّة نظامية تقتضيها حالُ الملك وسكنى الحضر وتُضج فيما يأتي :

( ١ ) تَقَهُّمُ العقائد الدينية التي جاء بها الإسلام : من إثبات وجود الخالق ، وتوحيد ذاته ، وتقديس صفاته ؛ ومن الإيمان بالبعث والنشور والثواب والعقاب وغير ذلك ، مما لم يكن يقفه بعضه البعض خاصة الجاهلية ، وأصبح بعد الإسلام الشغل الشاغل لجميعهم بل للأمة الإسلامية جماء

( ٢ ) تَقَهُّمُ الشريعة واستنباط الأحكام الملازمة لأحوال الزمان والمكان ، والكافة لحسن معيشة المرء في منزله ، ومعاملة الناس والسلطان

( ٣ ) استعمالها في ضبط أمور الملك ونظام المُمران ، ونشر الأمان والعدل ، وفيما تستدعيه مرافق أهل الحضر والأمصار

( ٤ ) وضع مبادئ بعض العلوم ، وترجمة اليسير من العلوم الطبيعية والرياضية والطبية

الرابع - ارتقاء المعاني والتصورات ، ويظهر ذلك في الأمور الآتية :

( ١ ) الثروات ( ٢ ) النهج الطرق

- ( ١ ) اتساع مادة المعاني باتساع مادة المشاهدات والمقولات
- ( ٢ ) حسن نظامها ورعاية الوفاق بينها : لارتقاء الفكر وتيقنه بالنظر الصحيح في أمور الدين والملك والاقتباس من حضارة الفرس والروم ، وتنوع صور الخيال وروعة جماله تبعاً لتنوع المراثيات الجميلة التي انتزع منها
- الحلasmus - تغير الألفاظ والأساليب بما يأتي
- ( ١ ) تهذيب ألفاظ اللغة بمحاكاة ألفاظ القرآن الكريم والسنة في مجانبه حوشي الألفاظ التي ينبوعه السمع ويمجه الذوق السليم
- ( ٢ ) التوسع في دلالة الألفاظ : باخراجها من معنى الى معنى بينه وبين الأول مناسبة ، ومن ذلك الألفاظ التي استعملها الشارع في غير معناها الأصلي : كالصلاة والصيام والزكاة ، والمؤمن والكافر والفاسق والمنافق وغير ذلك ، والألفاظ التي استعملت في نظام الملك ومصطلحات العلوم والصناعات التي عرفت في ذلك العصر
- ( ٣ ) موت ألفاظ حظر الشارع استعمال مدلولاتها وأغراض منها غيرها كالإرباع<sup>(١)</sup> والنشيط<sup>(٢)</sup> والفضول<sup>(٣)</sup> وكيم صباحا ، وعيم ظلاما
- ( ٤ ) دخول كثير من الألفاظ الأعجمية في الكلام وخاصة المعاني منه وتسمى الكلمة حينئذ معربة<sup>(٥)</sup>
- ( ٥ ) التأنيق في صوغ الأساليب والتفنن في أنواعها وإحكام نظمها ، ووصولها في البلاغة الى غايتها : لانبعاث روح القرآن الكريم في قلوب المتكلمين بها وسلوكهم

- ( ١ ) المرباع ربح التفتية ، وكان يختص به قائد الفارة وقرسها
- ( ٢ ) ما كانوا يفتنونه عفواً في طريقهم الى فارة مقصودة
- ( ٣ ) الفضول ما فضل من القصة مما لا يمكن نفسه على الفزاة كقرس ونحوه ويسمى لفارس الفارة أيضاً قال الشاعر السري
- لك المرباع فينا والصدايا وحكمك والنشيط والفضول
- ( ٤ ) التهرب من حق الرب الذي يصح منهم الوضع وقد انتفى صهرهم فلاحق لنا فيه ، وإذا احتجنا الى وضع اسماء لمسيات لم نعرها الرب ، وجب أن تأخذها من الفاظ العربية الموجودة القابلة للتصريف والخفية على السمع بشرط أن يكون بين المبتدئين مناسبة ماء ، ويسمى هذا بالوضع السري أو الاصطلاحي وهو قياس عند علماء اللغة لأنه مبني على الجواز الوسيط ( ٦ )

سبيله في البيان وحسن الأداء ، «وثرين الإيجاز على الاسهاب في أكثر المواضع ، الى أن تقاصرت دونه أفهام الناشئين في الحضرة من العرب والمستعربين من العجم آخر هذا العصر ، فأصبح للاسهاب نصيب من عنايتهم لا يقل عن الإيجاز السادس - ظهور الهمز في الكلام بين المستعربين : من الموالي ، وأبناء العرب من الفتيات ، وبعض العرب الكثيرين من معاشر الأعاجم ولا كان معظم هذه التغيرات يرجع الى القرآن الكريم والحديث النبوي ، ناسب أن نذكر قلاً من كثر مما ينبغي أن يقال فيها

## القرآن الكريم وأثره في اللغة

القرآن ( كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ) فيه آيات بينات ، ودلائل واضحة ، وأخبار صادقة ، ومواعظ راقية ، وشرائع راقية ، وآداب عالية ، عبارات تأخذ بالآلبياب ، وأساليب ليس لأحد من البشر بالقائم ما بلغ من الفصاحة والبلاغة أن يأتي بمثلاً ، أو يفكر في محاكاتها . فهو آية الله الدائمة ، وحجته الخالدة ، ( لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ) أنزله الله على رسوله ليبلغه قومه وهم فحول البلاغة ، وأمراء الكلام ، وأبادة الضم ، وأرباب الأنفة والحمية ، فبهزم يائنه ، وأذهلهم افتتانه ، فاهتدى به من صبح نظره واستخصف<sup>(١)</sup> عقله ، ولعلف ذوقه ، وصدعته<sup>(٢)</sup> أهل العناد والمكابرة والأعاجاج<sup>(٣)</sup> فتحذاهم<sup>(٤)</sup> أن يأتوا بمثله فنكصوا<sup>(٥)</sup> ، ثم بشر سور مثله فججزوا ، ثم بسورة من مثله فاقطعوا<sup>(٦)</sup> ، فحق عليهم اعجازه<sup>(٧)</sup> قال تعالى ( قُلْ لِّئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى

(١) استخفهم (٢) أرض عنه (٣) الحصوة (٤) تحدى الرجل خصمه باراءه وتلاوه الغلبة في المعنى (٥) احسبوا (٦) اقطع في الحاجة قلب وسكت بهرا واقطعت حجتة اعجاز القرآن (٧) اجتمع المسلمون على أن القرآن معجز ، وسلكوا الى بيان اعجازه طرقاً شتى ، ونشير هنا الى نقطة من بحر مما قالوه ، فهو معجز

أولاً - من جهة انحرافه ومقاصده - فتجده في كل فرض وموضوع غاية في الالانة والجلاء ، ونهاية في الاسابة واطراد الاحكام : فن تفرغ حله ، وتهدب بلزج ، وتعليم جامع



أَنْ يَأْتُوا بِبَيِّنٍ هَذَا الْقِرْآنَ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً<sup>(١)</sup>

وقد علمت مما تقدم في حالة اللغة ما كان له من الأثر البين في توحيد اللغة ونشرها وترقيتها من حيث أغراضها، ومعانيها، وألفاظها، وأسلوبها، وزيد هنا أنه قد أثر فيها ما لم يؤثره أى كتاب سماوياً كان أو غير سماوى في اللغة التي كان بها، اذ ضمن لها حياة طيبة وعمرًا طويلاً، وصانها من كل ما يُشَوِّه خَلْقَهَا، وَيُنَوِّى<sup>(٢)</sup> غَضَارَتَهَا<sup>(٣)</sup>، فأصبحت وهى اللغة الحية الخالدة من بين اللغات القديمة التي انطمست آثارها، وصارت في عداد اللغات التاريخية الأثرية؛ وأنه قد أحدث فيها علوماً جمة وفنوناً شتى لولاه لم تخطر على قلب، ولم يُحْطَ بِهَا قَلَمٌ؛ منها اللغة، والنحو، والصرف، والاشتقاق، والمعاني، والبديع، والبيان، والأدب، والرسم، والقراءات، والتفسير، والأصول، والتوحيد، والفقه

ونظم القرآن من نوع النثر وان لم يجر على مألوف العرب في نثرها المرسل نظم القرآن

وأدب بالغ، وارشاد شامل، وقصص واضع، ومثل سائر، وحكمة بالغة، ووعد وعيد، وأخبار مفيضة، الى غير ذلك من الاغراض والمقاصد وقد كان لحول البلاغة لا يبرز احدهم الا في فن واحد من انواع القول فن يبرع في الخطابة لا يبلغ في الشعر، ومن يحسن الرجز لا يجيد القصيد، ومن يستعظم منه القصر لا يستمد منه السيب، ولا مر ما شربوا المثل بأمرئ القيس اذا ركب، وزهير اذا رغب، والاغصا اذا طرب، والناطقة اذا رهب

ثانياً — من جهة الفاظه واساليه — فلا نجد منه الا عبودية في اللفظ، ودعائه في الاساليب، وتجاهلاً في التراكيب، ليس فيها وحى متناثر، ولا سوق مبتذل، ولا تعبير عويص، ولا فواصل متصلة، على شيوخ ذلك في كلام المفلكين واهل الحيلة المتروكين، حتى انك ترى الجملة المتبسة منه في كلام اصبح الفصحاء منهم تفرحه جمالاً، وتثمله نوراً، وتكسوه روعة وجلالة، الى اجمال في خطاب الخاصة، وتفصيل في تعليم العامة، وتكنية للعرفي، وتصريح للابحى، وغير هذا مما يقتصر عن احصائه الالمام، ولو ان ما الى الارض من شجرة اعلام

ثالثاً — من جهة معانيه — فانه يجدها من غير معين العرب الذي منه يستقون : لا طراد صدقها وقرب تناوُلها، واطمئنان النفوس اليها، وإشكارها البديع على غير مثال مبهود : من جميع بامرة، وبرهانات قاطمة، وأحكام مسلمة، وقشيبات رائحة، على تمازج وتواصل، وبرامة من التقاطع والتدابرة، وهوى جلته زهرة النفوس وشفاء الصدور، وهو الكتاب الخالد الذي لا يتبدل لكلامه، ولا تانسخ لاسكاته ولا تافس، انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون

(١) مساعداً ومينياً (٢) يذبل (٣) غصارة النبات والبش نخارته

وجمها الملتزم ، بل هو آيات وفواصل يشهد الذوق السليم باتهاء الكلام عندها ،  
فتارة تكون صجبا ، وطورا تكون موازنة وازدواجاً ، وأحياناً لا تكون هذا ولا ذاك  
وفي القرآن الكريم من الحكم والأمثال وجوامع الكلم ما كان به هداية الحكيم ،  
وارشاد الأديب - فمنها

أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ - وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ  
لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ - وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا  
بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ - كَمْ مِنْ فِئَةٍ  
قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ - قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ  
خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى - لَا يَكْلَفُ اللَّهُ فُسًا الْأَوْسَمَاءُ - لَنْ تَأْلَوْا الْبِرَّ حَتَّى  
تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ - وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ - إِنْ يَنْصَرِكُمْ  
اللَّهُ فَلَا غَلَبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذَلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصَرِكُمْ مِنْ بَعْدِهِ - وَلِيخْشَ الَّذِينَ  
لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا -  
مَنْ يَمْسَسْ سُوءًا يَجْزِ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا - مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا  
الْبَلَاغُ - قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ - لِكُلِّ نَبَأٍ مَسْتَقَرٌّ - مَا عَلَى الْحَسَنَيْنِ  
مِنْ سَبِيلٍ - إِنْ اللَّهُ لَا يَغَيِّرُ مَا يَقُومُ حَتَّى يَغْيُرُوا مَا بَأْسُهُمْ - لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ  
وَلَا تَحْمِلْ يَدُكَ مَغَولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْ كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا - قُلْ  
كُلٌّ يَسْعَى عَلَى شَاكِلَتِهِ - اللَّهُ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدٍ - مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ  
قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ - وَجِلَّ يَنْهَمُ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ - وَلَا يَحْقِيقُ الْمَكْرَ السَّيِّئَ إِلَّا بِأَهْلِهِ -  
قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ - هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ -  
فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ - تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى

## جمع القرآن وكتابته

قد نزل القرآن الكريم على رسول الله صلى الله عليه وسلم متجماً على حسب  
الوقائع ومقتضيات الأحوال في بضع وعشرين سنة ، وكان عليه الصلاة والسلام يأمر

كُتِبَ وحيه بكتابة ما يَنْزَلُ، فكانوا يكتبونه بين يديه في عُسْبٍ <sup>(١)</sup> أو لِحَافٍ <sup>(٢)</sup> أو أكتافٍ <sup>(٣)</sup>، وهو يرشد الموضع كل آية من السورة التي ينبغي أن تكون فيها؛ وفي صحيح البخاري أن خبيرة بن خالد كان يمارض <sup>(٤)</sup> النبي صلى الله عليه وسلم بالقرآن كل عام مرة، وأنه عارضه به مرتين في العام الذي توفي فيه؛ وفي الإتيان <sup>(٥)</sup> للسيوطي أن زيد بن ثابت أكبر كتاب الوحي، شهد المرأة الأخيرة التي بين فيها ما نسخ وما بقي، وكتبها للرسول صلى الله عليه وسلم وقراها عليه؛ ولذلك اعتمده أبو بكر وعمر في جمع القرآن، وولاه عثمان كتابة المصاحف.

وتوفي رسول الله والقرآن كله مكتوب، وفي صدور الصحابة محفوظ، وإن لم يتفقوا في حفظه وترتيبه لأسباب شتى. ولا رأى عمر رضي الله عنه أن القتل قد استحر <sup>(٦)</sup> بالحفاظ في وقعة اليمامة <sup>(٧)</sup> حتى قُتل منهم سبعة، أشفق من ضياع القرآن، فذهب إلى أبي بكر وأخبره الخبر، وبعد أخذ وردّ اتفقا على جمع القرآن وكتابته، وعهدا بذلك إلى زيد بن ثابت، فجعله من العُسْبِ واللحاف والأكتاف والصدور وكتبه صُحُفاً، فكانت تلك الصحف عند أبي بكر حياته، ثم عند عمر حتى توفاه الله، ثم عند أم المؤمنين حفصة بنت عمر.

وفي مدة عثمان كثرت الفروع وانتشر القراء في الأمصار وقرءوا القرآن بلغاتهم على تعددٍ، وأدّى ذلك إلى تخطئة بعضهم بعضاً، فحشي عثمان قِطَافاً <sup>(٨)</sup> الأمر، فأمر زيد بن ثابت، وعبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث ابن هشام، فسخوا تلك الصحف في مصحف واحد مرتب السور، واقتصر فيه من جميع اللغات على لغة قريش لئلا يزلوا بلغتهم.

(١) السف الذي لم يلبث عليه الخوص من الجريد (٢) حجارة يرض رقيق  
(٣) مفردها كتف وهو عظم الفرج من الحيوان (٤) يقابله ويصنع معه مثل ما يصنع  
في القراءة (٥) كتاب للسيوطي خاص بعلوم القرآن (٦) اشتد  
(٧) وهي الواقعة التي قتل فيها خالد بن الوليد مسيلة المتلي الكلاب (٨) تحاطم

## الحديث النبوي

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أفصح الناس وأبينهم وأحكمهم، وكانت حياته كلها هداية ونوراً، وأفعاله وأقواله جميعها مدداً يستمد منه الخلق سدادهم وارشادهم في معاشهم ومعادهم؛ ولهذا حرص المسلمون على حفظ ذلك الأثر العظيم حرصاً لم يوفق إلى مثله أمة في حفظ آثار رسولها؛ فجمعوا من كلامه ووصف أفعاله وأحواله الأسفار الضخام، ووعوا منها في صدورهم ما لا يدخل تحت حصر. وكلامه صلى الله عليه وسلم منزّه عن القفو والباطل، وإنما كان في توضيح قرآن، أو تقرير حكم، أو إرشاد إلى خير، أو تنفير من شر؛ أو في حكمة ينفع الناس بها في دينهم ودنياهم - بعبارة هي في الفصاحة والبلاغة والإيجاز والبيان بالدرجة الثانية بعد القرآن، ولذلك كان تأثيرها في اللغة والأدب بالمرتبة التالية لكلام الله تعالى، ولا سيما حكمه وجوامع كله التي هي القدوة الحسنة للأديب، والحلية التي يزدان بها كلام الكاتب والخطيب

فمن جوامع كله صلى الله عليه وسلم

إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى - المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً - اليد العليا خير من اليد السفلى وأبدأ بمن تعول <sup>(١)</sup> - يد الله مع الجماعة . كل ميسرلاً خلق له - دَعَ ما يريكَ <sup>(٢)</sup> إلى ما لا يريكَ - الناس كلهم سواسية كأسنان المشط - وقوله يخاطب الأنصار أنكم لتتولون عند الطعم، وتكثرون عند الفزع - أن أحبكم إلى وأقربكم مني مجالس يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً الموحثون <sup>(٣)</sup> اكتافا الذين يأتون ويؤتون، وإن أبغضكم إلى وأبعدكم مني مجالس يوم القيامة الثرثارون <sup>(٤)</sup> التشديرون <sup>(٥)</sup> المنفيقون <sup>(٦)</sup> . ومن عجائب تمثيله وروائع كله قوله صلى الله عليه وسلم

طائفة من  
الأحاديث  
الشريفة

( ١ ) تكلل ( ٢ ) يملك شاكا فيه لست على بينة من أمره

( ٣ ) للجنة جرائهم أي السمة أخلاقهم

( ٤ ) التثارت الملهار والسياح

( ٥ ) التشديق الذي يلوي خدقه لتفصح

( ٦ ) المتطع في كلامه للتوسع فيه كأنه يملأ به فـ

إن قوماً ركبوها في سفينة فافقسوا، فصار لكل رجل منهم موضع، ففقر رجل منهم موضعه بنأس فقالوا له ما تصنع؟ قال هو مكاني اصنع فيه ما شئت، فان أخذوا على يده نجاً ونجوا، وان تركوه هلك وهلكوا

## النثر

لغة التخاطب — الخطابة — الكتابة

## لغة التخاطب

كانت لغة التخاطب في مبدأ الاسلام بين العرب الخُص والموالي النابتين فيهم هي العربية الفصيحة المُرَبَّة، وكانت لغة الموالى الطائنين عليهم فُرب من الفصيحة أو تبتمد عنها على حَسَب طول بُشهم فيهم أو قصر مقامهم عندهم؛ ولذلك اُتِر عن دخل في الاسلام حينئذٍ من غير العرب ( وكانت إقامته بينهم غير كافية لنسخ عجمته جُملةً ) أنهم كانوا يميلون في كلامهم العربي الى أسلوب لغتهم الأولى وغارج حروفها وإن لم يقع منهم اللحن، أو وقع قليلاً، قد رُوى أن بلالاً<sup>(١)</sup> كان يرتضخ<sup>(٢)</sup> لكنة حبشية، وسمان<sup>(٣)</sup> لكنة فارسية، وصُهيباً<sup>(٤)</sup> لكنة رومية؛ وأن رجلاً لحن أمام النبي صلى الله عليه وسلم فقال: أرشدوا أخاكم قد ضلَّ

ولما فتح المسلمون الأمصار، وكثر عندهم سبي الأعاجم وأسرى الحروب، ودخل في الاسلام منهم ألوف الألوف، وأصبحوا لم اخواناً وشركاء في الدين، وتم بينهم التزاوج والتناسل، نشأ لعرب ذرية من الفتيات الأعجيبات اختلطت عليهم ملكة العربية، لتفهم عن آبائهم عربية فصيحة، وعن أمهاتهم خليطاً منها ومن الأعجبية، وكذلك كان الشأن في المتربِّين من الأعاجم، اذ أصبحت لهم لغة تخاطب عربية

( ١ ) هو بلال بن رباح الحبشي مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم

( ٢ ) ينزع الى السجع في الفاظ من الفاظهم ( ٣ ) هو سمان بن الاسلام فارسي أسلم وصحب رسول الله وعرض المسلمين النصيح ( ٤ ) صهيب بن سنان عربي الأصل سباه الروم وهو صغير ثم طرد الى العرب وأسلم وصحب رسول الله وبقيت في لسانه لكنة رومية

مشوية بشيء من اللحن والكلمات الدخيلة وغير ذلك من أنواع التنوير والتبديل والتصحيح والتعريف . أما العرب أنفسهم بعد الفتوح فكانت لغتهم في جزيرتهم مثل ما كانت عليه في جاهليتهم . أما سكان الأمصار منهم وأولادهم من الحواريين ، فالسماة منهم المخالطون للأعاجم كثيراً بالمعاملة والتسوق<sup>(١)</sup> لم تخل لغتهم من لحن أو هجعة . والخاصة منهم تشددوا في المحافظة على سلاتهم وتحاموا التزويج بالأعجبيات وبالتوا في تربية أبنائهم على ألف الملكة العربية ، فكانوا يرسلونهم الى البادية ليرتاضوا على الفصاحة ، وينشأوا نشأة الأعراب الفصحاء ، أو يحضرون لهم المؤثرين والمعلمين من أفصح الناس وأعلمهم : ليخرجهم في الإعراب واللسان ، كذلك كان يفعل خلفاء بني أمية وأمراؤهم بكمبرم معاوية بن أبي سفيان في تربية ابنه يزيد ، ومن لحن من خلفاء بني أمية وأمرائهم وأشرف العرب في زمانهم ولو مرة عدوا ذلك عليه طاراً لا يمتحى ، وسبب لا تزول ، ومن هؤلاء اللطائف عبيد الله<sup>(٢)</sup> بن زياد والوليد<sup>(٣)</sup> بن عبد الملك وخالد القسري<sup>(٤)</sup> مع أن بعضهم كان من أبلغ الناس وأبينهم ومن هنا تعلم السر في تسرع القوم الى وضع النحو وتدوينه والشكل والاعجام

## الخطابة في هذا العصر

لما كان مبدأ كل انقلاب عظيم في أي أمة : إما دعوة دينية وإما دعوة سياسية ؛ وكانت تلك الدعوة تستدعي ألسنة قوالة من أهلها لتأييدها ونشرها ، وألسنة من أعدائها وخصومها لادحاضها والصدع عنها ، وذلك لا يكون إلا بمخاطبة الجماعات وأصحاب التجديدات في الحفل والمنتديات ، والحج والمواسم والأسواق ، ومواطن

( ١ ) تسوق القوم اذا باعوا واشتروا في السوق

( ٢ ) كان والياً على الرقاق في مدة معاوية ويزيد ابنه وكانت أمه فارسية

( ٣ ) هو الخليفة الأموي أخلق عليه أبوه أن يرسله الى البادية لتربي في الحضر وتعلم العربية بالصناعة فعرض لسلامه بشئ اللحن ( ٤ ) هو خالد بن عبد الله القسري والى الرقاق من قبل الخليفة هشام وكانت أمه نصرانية وكان من أبلغ الناس وأخطبهم وعنه عليه بشئ اللحن

الزحف ومقدم الوفود ونحو ذلك - كان ظهور الإسلام بالأمر الجَلال والشأن الخطير، والدعوة العظمى التي لم يُعهد لها من قبل في العالم مثل، من أهم الحوادث التي أنشطت الألسن من عقلياً، وأثارت الخطابة من مكنيتها، وأغرقت العقول بأحكامها والافتتان فيها، واختلاب النفوس بسحر يانها، فوق ما كانت عليه في جاهليتها. فكان العمل الأكبر لصاحب الدعوة العظمى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بادی أمره غير تبليغ القرآن وإرداً من طريق الخطابة، ولأمر ما جعلها الشارع شعاراً كل إمام في حقل ديني أو سياسي كالجمعة والعیدین وموسم الحج الأكبر، ويوم الصفة، بكل أمر جامع لنشر فضيلة، أو نهى عن رذيلة، أو إعلان نصر، أو تأكيد وصية، إلى غير ذلك من الأمور ذوات البال؛ ولذلك كان دُعاة النبي صلى الله عليه وسلم يرسله إلى الملوك وأمرائه جيوشه وسراياه، ثم خلفاؤه من بعده وعما لهم كلهم خطباء مصارع<sup>(١)</sup>، ولُسنا<sup>(٢)</sup> مقال<sup>(٣)</sup>، أعطهم على ذلك أنهم كانوا يخطبون عرباً مثلهم، لفصاحة عندهم هزة<sup>(٤)</sup> في النفس وروعة في الفؤاد؛ وأن الشرع صرفهم عن اللغو بالشعر الذي لا ينهض بأعباء الخطابة، ولا سيما الدينية، لشرحها الحقائق وقرعها الأسماع بالحجج العقلية والوجدانية، وترغيبها في الثواب وترهيبها من العقاب؛ ولخلوها عن قيود الوزن والقافية؛ ولأنها قال ببارات تفهمها الخاصة والعامة: من الجندي الصغير إلى القائد الكبير؛ وكان لهم من القرآن وأدله وحججه والاعتباس منه مدد أينما مدد، ولما حدثت الفتنة بين المسلمين (أو الحرب الأهلية كما يقولون) بعد مقتل عثمان، وافترقوا إلى عراقيين بزعماء علي، وشاميين بزعماء معاوية، ولكل منهم دعوة يؤيدونها ورغبة يُناضل عنها في تلك الحرب الشَّواء، التي لم يُنكب الإسلام بمثلا، ظهر من كلتا الطائفتين خطباء لا يحصى عددهم، ولا يُشَقَّ غبارهم؛ وعلى رأس المراقبين شيخ الخطباء

أسباب  
وق الخطابة

(١) جمع مصقع كثير البليغ أو المال الصوت أو من لا يخرج عليه في كلام ولا يتشنع

(٢) جمع لسان البليغ المتكلم من القوم

(٣) جمع مقول كثير مثل سابقه

(٤) الهزة اللشاش والارتياح

وخلُ البلاء على بن أبي طالب ، وعلى رأس الشاميين معاوية بن أبي سفيان ؛ وما انتهت هذه الحرب حتى تشعبت الفتن والآراء والمذاهب والنحل ، وتفرق المسلمون الى شيعة <sup>(١)</sup> وخوارج <sup>(٢)</sup> وجماعية <sup>(٣)</sup> وتفرع من هؤلاء الطوائف فروع شتى ، كل يذلل وُسعه في نشر مذهبه ، ويدفع عنه بقائم سيفه ، ولم يدم كل طائفة منها خطباء يؤيدون دعوتها بما أوتوا من البلاغة في الخطابة والفصاحة والبيان

مميزات الخطابة

وتمتاز الخطابة في صدر الاسلام عنها في الجاهلية بأشياء :

الأول - سلوكها طريقاً دينياً في مثل خطب الجمع والعيدين والحبس والارشاد والتعليم ونحو ذلك مما يستدعيه نشر الدعوة الدينية

الثاني - اتباعها خطة سياسية في مثل تأليف الجماعات والأحزاب وتأثيل الملوك والسلاطين ، وما وقع للعرب في الجاهلية من هذا القبيل في بعض منازعاتهم فليس بذي شأن كبير ، اذا قيس بنظيره في الاسلام

الثالث - قوة تأثيرها ووصولها الى قرارة النفوس ، وامتلاكها للوجدان والشعور بما رقى القلوب القاسية ، وأسأل الأعيان الجامدة

الرابع - صفاء ألفاظها ، ومسهولة عباراتها ، ومثانة أساليبها ، وتجنبها جميع الكتمان ، وقلة القصد فيها الى سرد الحكيم القصيرة الدقيقة بمناسبة وغير مناسبة ، كما كانت تفعل خطباء الجاهلية

الخامس - بداعتها بحمد الله والثناء عليه

السادس - محاكمتها أسلوب القرآن في الاقتناع ، واستمدادها من آياته ، حتى اشترط بعض أئمة المسلمين وجوب اشجال خطبة الجمعة على شيء منه

السابع - تنوعها بين الإيجاز والاسهاب حتى حكى أن منها ما استغرق نصف

( ١ ) الشيعة هم شيعة علي رضي الله عناه وانشاء أهل بيته ، وتقال بينهم في حبه وتفضيله الى حد محموت ديناً ( ٢ ) هم قوم خرجوا في اول أمرهم على أمير المؤمنين علي واستحلوا قتله لرضاه بأمر التحكيم في الخلافة بينه وبين معاوية ثم خرجوا بعده على بني أمية وبني العباس ( ٣ ) هم الجمهور الاعظم المستجيبون لدعوة بني أمية والحلفاء المحقودون لهم البيعة العامة من أكثر المسلمين



نهار<sup>(١)</sup>، ومنها ما لم يزد على قُرَّات معدودات<sup>(٢)</sup>. وقصارى الكلام أن الخطابة وصلت في هذا العصر إلى أرقى ما وصلت إليه في اللسان العربي حتى من يُمدُّ عليهم اللحن، ولم تُسمع العربية بكثرة خطباء ووفرة خُطَب مثل ما سجدت به في هذا الصدر الأول، إذ كان القوم وروساؤهم عرباً خُلصاً، يسمعون القول فيقيمون أحسنه ولم يخرج الخطباء عن مألوهم من اعتجار<sup>(٣)</sup> المِامة والاشتال<sup>(٤)</sup> بالرداء واختصار المحصرة<sup>(٥)</sup> والخطبة من قيام، ألا ما روى عن الوليد بن عبد الملك: من أنه كان يجلب جالساً، وربما كان له عذر في طبيعته، أو أنه كان يرى أن الغرض من الوقوف هو الاشراف على السامعين، وذلك قد حصل بتعليق بنى أمية درجات المنابر

مادات العرب  
في الخطابة

## الخطباء

ليس في عصور أدب اللغة عصرٌ أحفل بالخطباء المعروفين نسباً وقولاً وعملاً من هذا العصر: إذ كانت الخطابة فيه سُلْسةً التّياد على خلفائه وزُعمائه: لغزتهم العربية ومحلهم من النصيحة والبيان، وانطباعهم على أساليب القرآن، واتساع مداركهم. ولهذا نكتفى بذكر الخطباء من الخلفاء الراشدين وبعض ولاة المسلمين وفصحاء الناس: لأن الخطابة إذ ذاك كانت من أعظم أعمال الإمامة والولاية

(١) خطبة سبحان وأهل التي خطبها بمحضرة معاوية يوم ان جفر ولد خراسان

(٢) مثل خطبة خطيب الأزود حين بثت الحجاج خطباء من الاحاس الى عبد الملك وهي — قد طمت العرب أنا حتى ضال، ولستأجي مقاتل، وأنا تجزى بطننا، عند احسن قولهم، ان السيوف لتشرق اكفنا، وان الموت ليستمنب ارواحنا، وقد طمت الحرب الزبون انا ترقع جاجا، ونحلب صراها

(٣) لف السامة دون التلعي

(٤) اشتل بالثوب اداره على جسده كله

(٥) ككسكة ما يتحرك عليها وما يأخذه الملك يشير به اذا خاطب، والخطيب اذا خاطب، واختصر المحصرة اختصا

## أبو بكر الصديق - رضى الله عنه

هو أبو بكر عبد الله عتيق<sup>(١)</sup> بن أبي قحافة عثمان صاحب رسول الله ، وأول خليفة له في الاسلام ، وخطيب يوم السقيفة

ويجتمع نسيبه مع نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرة بن كعب . ولد بعد مولد رسول الله لستين وبضعة أشهر ، ونشأ من أكرم قريش خلقاً ، وأرجحهم حلقاً ، وأسماء يداً وأشدهم عفة . وكان أعلمهم بالانساب وأيام العرب ومفاخرها . صحب رسول الله قبل النبوة . وكان أول من آمن به من الرجال وصدقته في كل ما جاء به : ولذلك سمي الصديق ، وأفق أمواله في تأييد دعوته ، وهاجر معه الى المدينة مؤبراً صحت على كل أهله وولده ، وشهد معه أكثر الغزوات ؛ وما زال ينفق ماله وقوته في مُعاضدة رسول الله حتى انتقل صلى الله عليه وسلم الى الرفيق الأعلى ، واختلفت العرب وارتدت عن الاسلام ومنعت الزكاة الا أهل المدينة ومكة وثقف بالطائف ، فجرد عليهم الجيوش حتى قمعهم ، وجمع العرب على الاسلام وساقهم ترواً الى فتح بمالك كسرى وقيصر ، وما مات الا وجيوشه تهزم جيوش الفرس والروم ، وتستولى على مدائنهم وحصونهم . وكانت وفاته سنة ١٣ هـ ومدة خلافته سنتين وثلاثة أشهر وعشر ليال

وكان رحمه الله فصيحاً بليغاً ، خطيباً مفوهاً ، حاضراً البديهة ، قوى الحججة ، شديد التأثير ، يشهد بذلك خطبته يوم السقيفة : وذلك انه لما مات رسول الله اختلفت الصحابة فيمن يبايعونه خليفة له عليهم : فأبى الأنصار أن يكون الخليفة منهم ، وأبى المهاجرون من قريش الا أن يكون منهم ، واشتد النزاع حتى كادت تقع الفتنة ، فخطبهم خطبة<sup>(٢)</sup> لم يلبث الجميع بعدها أن يبايعوه خليفة

(١) هو لقب لأبي بكر لقب به لجلاله أو لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال له أنت عتيق من النار  
(٢) ويظهر انها خطبة طويلة لم يبق في حفظ الرواة منها الا اليسير ، ومن وصفها ما قاله عمر رضى الله عنه وقد كنت زوّرت في نفسى مقالة أقدمها بين يدي أبي بكر ، وقد كنت ادأرى منه بشي الخد وكان هو اوفر مني واحلم ، فلما اردت ان اتكلم قال على رسك فكرهت ان اعصيه فقام لعبد الله واتنى عليه لما ترك شيئاً كنت زوّرت في نفسى ان اتكلم به لو تكلمت الا انه جاء به او باحسن منه

### خطبته يوم السقيفة

حَدَّثَنَا اللهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ نَحْنُ الْمُهَاجِرُونَ ، وَأَوَّلُ النَّاسِ إِسْلَامًا ،  
وَأَكْرَمُهُمْ أَخْبَانِيًا ، وَأَوْسَطُهُمْ دَارًا ، وَأَحْسَنُهُمْ وَجْهًا ، وَكَثُرَ النَّاسُ وَلَادَةً فِي الْعَرَبِ  
وَأَمْسَهُمْ رَجْمًا بِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أَسْلَمْنَا قَبْلَكُمْ ، وَقَدَرْنَا فِي الْقُرْآنِ  
عَلَيْكُمْ فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ( وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ  
اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ ) فَنَحْنُ الْمُهَاجِرُونَ وَأَنْتُمْ الْأَنْصَارُ : إِخْوَانُنَا فِي الدِّينِ ، وَشُرَكَائُنَا  
فِي النَّفْسِ <sup>(١)</sup> ، وَإِنْصَارُنَا عَلَى الْعَدُوِّ ، آوَيْتُمْ وَوَأَسَيْتُمْ لِحُجْرَاكُمُ اللهُ خَيْرًا ، فَنَحْنُ الْأُمَرَاءُ  
وَأَنْتُمْ الْوُزَرَاءُ ، لَا تَذِينَ الْعَرَبَ إِلَّا لِهَذَا الْحَيِّ مِنْ قُرَيْشٍ ، فَلَا تَنْفَسُوا <sup>(٢)</sup> عَلَى إِخْوَانِكُمُ  
الْمُهَاجِرِينَ مَا مَنَحَهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ

وخطب حين يابح الناس البيعة العامة

حَدَّثَنَا اللهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ ! إِنِّي قَدْ وَلَّيْتُ عَلَيْكُمْ وَلَسْتُ بِمُجْرِمٍ ،  
فَإِنْ رَأَيْتُمُونِي عَلَى حَقٍّ فَأَعِينُونِي ، وَإِنْ رَأَيْتُمُونِي عَلَى بَاطِلٍ فَسَدِّدُونِي ، أَطِيعُونِي مَا أَمَلْتُ  
اللهُ فِيكُمْ ، فَإِذَا عَصَيْتَهُ فَلَا طَاعَةَ لِي عَلَيْكُمْ ، إِلَّا إِنْ أَقْوَاكُمْ عِنْدِي الضَّعِيفُ حَتَّى  
أَتَّخِذَ الْحَقَّ لَهُ ، وَأَضْعَفَكُمْ عِنْدِي الْقَوَى حَتَّى آخِذَ الْحَقَّ مِنْهُ ، أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ  
اللهُ لِي وَلَكُمْ

### عمر بن الخطاب - رضى الله عنه

هو أمير المؤمنين أبو حفص عمر بن الخطاب القرشي ، ثاني خليفة لرسول الله  
وأول من تسمى من الخلفاء بأمر المؤمنين ، وأول من أُرِخَ بالتاريخ الهجري ، ومصر  
الأمن ، ودون الدواوين

ولد رضى الله عنه بعد مولد النبي صلى الله عليه وسلم بثلاث عشرة سنة . وكان  
في الجاهلية من كبار قريش وزعمائها ، فكان يسفر بينها وبين قبائل العرب في

( ٢ ) الغنية والحراج ( ٣ ) نفس عليه خيراً حسده عليه ، ولم يره له اهلاً ( اساس )

الحروب والمفازات ونحوها ، وكان شجاعاً صديداً ، وحازماً أيداً ، وكان في مبدأ الدعوة إلى الإسلام من أكبر أعداء الرسول ، ثم هداه الله فأسلم ، وأعر الله به دينه وحضر مع رسول الله النزوات كلها ، ثم لما قبض أمان أبا بكر على تولية الخلافة ، ولما أحس أبو بكر بالموت عهد بها إليه ، فقام بإعقابها خير قيام ، وأتم بحزمه وعزمه وسياسته وكياسته وزهده وعفته وحرصه على مصلحة المسلمين جميع ما شرع فيه أبو بكر : من فتح ممالك كسرى وقصر

وقله غيلة غلام مجوسى هو الشقى أبو لؤلؤة عبد المنيرة بن شعبة : لأنه لم ينصفه على زعمه في تخفيض ما بدفنه لسيده من أجره عمله . وكان قتله سنة ٢٣ هـ ومدة خلافته عشر سنين وستة أشهر وعثمانية أيام وكان رحمه الله من أبين الناس منطقاً ، وأبلغهم عبارة ، وأكثرهم صواباً وحكمة وأرواهم للشعر ، وأقدمهم له ،

وبن خطبه خطبته إذ ولي الخلافة<sup>(١)</sup>

صعد المنبر فخمد الله وأثنى عليه ثم قال : يا أيها الناس ! انى دلغتماءنوا ، اللهم انى غليظ ظليق لأهل طاعتك بموافقة الحق ، ابتغاء وجهك والدار الآخرة ، وارزقنى النغلة والشدة على أعدائك وأهل الدعة<sup>(٢)</sup> والتفاق من غير ظلم منى لهم ولا اعتداء عليهم اللهم انى شحيح فسحقى فى نواب المروف ، قصداً من غير سرف ولا تبذير ولا رياء ولا سمة ، واجعلنى أبنى بذلك وجهك والدار الآخرة ، اللهم ارزقنى خفص الجناح ولين الجانب للمؤمنين ، اللهم انى كثير النغلة والتسيان فألهمنى ذكرك على كل حال وذكر الموت فى كل حين ، اللهم انى ضعيف عن العمل بطاعتك فارزقنى التشاط فيها ، والقوة عليها بالنية الحسنة التى لا تكون الا بمزتك وتوفيقك ، اللهم ثبتنى باليقين والبر والتقوى وذكر المقام بين يديك ، وألحيا منك ، وارزقنى الخشوع فيما يرزقك عنى ، والمحاسبة لنفسى ، واصلاح الساعلة ، والحذر من الشبهات ، اللهم ارزقنى

التفكر والتدبر لما يتلوه لساني من كتابك ، والفهم له ، والمعرفة بمعانيه ، والنظر في عجائبه والعمل بذلك ما بقيت ، إنك على كل شيء قدير ومن خطبه في ذم الدنيا :

إنما الدنيا أمل مُحْتَرَمٌ <sup>(١)</sup> وأجل مُنْتَقِضٌ <sup>(٢)</sup> ، وبلاغ إلى دارٍ غيرها ، وسيرٌ إلى الموت ليس فيه ترجيحٌ <sup>(٣)</sup> فرحم الله امرأً فكرٌ في أمره ، ونصح لنفسه ، وراقب ربه واستقال ذنبه ، بش الجارُ الغني يأخذك بما لا يعطيك من نفسه فإن آيت لم يعذرَكَ ، إياك والبطنة فاتها مكسلة عن الصلاة ، ومفسدة للجسم ، ومؤدية إلى الشتم ، وعليكم بالقصد في قوتكم ، فهو أبعد من السرف ، وأصح للبدن ، وأقوى على العبادة ، وإن العبد لن يهلك حتى يوتر <sup>(٤)</sup> شهوته على دينه

### عثمان بن عفان - رضى الله عنه

هو أمير المؤمنين عثمان بن عفان القرشي الأموي ، ثالث الخلفاء الراشدين ، وموجد نسخ القرآن المبين . ولد في السنة السادسة من مولد النبي صلى الله عليه وسلم ، وآمن في السابقين الأولين ، وبذل ما له الكثير في تأييد الاسلام ومعونة المجاهدين ، وشهد مغازي رسول الله كلها الأبدراً . وقد كان عمر قبل وفاته عهد بالخلافة إلى ستة هو منهم تنتخب الأمة أحدهم خليفة ، فانتخبوا عثمان ، فأكل مغازي عمر . ومضت على خلافته ست سنين لم يحدث عليه فيها شغب ، ثم ثار عليه بعض الأعراب النازلين بمصر وال عراق ، بحجة أنه يوتر أقرباءه بولاية الأقاليم ، غير ناظرين إلى كفاءتهم ، ولإلى وثوق الخليفة بهم ، ونصحهم له . فحاصروه في داره بالمدينة وتسوؤوها عليه وقتلوه وهو يتلو القرآن في المصحف سنة ٣٣ هـ فكان قتله سبب الفرقة بين المسلمين واجترائهم على مقام الخلافة وقتل الخلفاء والخروج عليهم . ومدة خلافته اثنا عشرة سنة الأثني عشر يوماً

وكان رحمه الله من بلاء الخلفاء وأوجزم لفظاً وأجزل معنى ، وأسهلهم عبارة .

(١) منقطع غير محقق . (٢) غير مهم . (٣) اكلمة (٤) يقدم

ومن خطبه خطبته بعد أن بوجع وهي بعد الحمد والثناء  
أما بعد فاني قد حُملت وقد قُلت ، ألا وإني مُتبع ولستُ بمُبتدع ، ألا وإن لكم  
على بعد كتاب الله عز وجل وسُنَّة نبيِّه صلى الله عليه وسلم ثلاثاً : اتباع من كان  
قبلي فيا اجتمعوا عليه وسكنتم ، ومن سُنَّة أهل الخير فيا لم تسنوا عن ملا ،  
والكف الآ فيا استوجبتم ، ألا وإن الدنيا خضرة قد شُيبت الى الناس ومال اليها  
كثير منهم ، فلا تركنوا الى الدنيا ولا تقوا بها فانها ليست بثقة ، واعلموا انها غير  
تاركة الا من تركها

ومن خطبه أيضاً وهي آخر خطبة خطبها  
أما بعد فان الله عز وجل انما أعطاكم الدنيا لتطلبوا بها الآخرة ولم يعطكموها  
لتركنوا اليها ، ان الدنيا قنقن والآخرة ثقي ، فلا تُبطركم الفانية ، ولا تُشغلنكم  
عن الباقية ، فآثروا ما يبقى على ما يَفنى ، فان الدنيا مُنقطعة ، وإن المصير الى الله ،  
اقتوا الله عز وجل فان قهواء جنة من بأسيه ووسيلة عنده ، واحذروا من الله العزيز ،  
والزموا جماعتكم لا تصيروا أحزاباً ( واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء  
فآلف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً )

## على بن أبي طالب - كرم الله وجهه

هو أمير المؤمنين أبو الحسن على بن أبي طالب ، وابن عم رسول الله ، وزوج ابنته  
ورابع الخلفاء الراشدين ، وامام الخطباء من المسلمين

ولد رحمه الله بعد مولد النبي صلى الله عليه وسلم باثنتين وثلاثين سنة ، وهو أوّل  
من آمن من الصبيان . وكان شجاعاً لا يُشَق له غبار ، أيّداً جليداً . شهد الفزوات  
كلها مع النبي الأغرزة تبوك ، وأبلى في نصرة رسول الله ما لم يبله أحد . ولما قتل  
عثمان بأمره الناس بالحجاز وامتنع من بيعته معاوية وأهل الشام شيعة بنى أمية غضباً  
منهم لقتل عثمان وقلة عناية على بالبحث عن معرفة القتل على حسب اعتقادهم . فحدث

من جرّاء ذلك الفتنة العظمى بين المسلمين وافتراقهم الى طائفتين . فحاربوا مدّة من غير أن يستتب الأمر لمليّ أو معاوية حتى قُتل أحد الخوارج عليّاً غيلةً بمسجد الكوفة سنة ٤٠ هـ . وكانت مدّة خلافته خمس سنين إلا ثلاثة أشهر

وكان رحمه الله أفصح الناس بعد رسول الله ، وأكبرهم علماً وزهداً وشدةً في الحق ، وهو امام الخطباء من العرب على الاطلاق بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وخطبه كثيرة - منها خطبته كرم الله وجهه بعد التحكيم وهي :

الحمد لله وان أتى الدهر بالخطب الفادح<sup>(١)</sup> ، والحدّث الجلل<sup>(٢)</sup> ، وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له ليس معه اله غيره ، وان محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله . أما بعد فان معصية الناصح الشفيق العالم المجرب تُورث الخيرة وتُعقب الندامة ، وقد كنت أمرتكم في هذه الحكومة<sup>(٣)</sup> أمرى ، ونُحلت لكم خزونَ رأيي ، لو كان يطاع لقصير أمر<sup>(٤)</sup> ، فأيتيم على إباء المخالفين الجناة ، والمنايذين المصاة حتى ارتاب الناصح بنصحه ، وضنّ الزند بقبحه ، فكنت وإياكم كما قال أخوه أوزن<sup>(٥)</sup> أمرتهم أمرى بمنعرج اللوى فلم يستينوا التصح الا ضحى الند

ومن خطبة له حين خاطبه العباس وأبو سفيان في أن ييايما له بالخلافة  
أيها الناس شقوا أمواج الفتن يسفن النجاة ، وعرجوا<sup>(٦)</sup> عن طريق المنافرة ، وضعوا عن تيجان المفاخره ، أفلح من نهض بجناح<sup>(٧)</sup> ، أو استسلم فأراح ، هذا ما آجن<sup>(٨)</sup> ولقمة بغص بها أكلها ، وبحق الثمرة لغير وقت لبناعها كالزراع بغير أرضه ، فان اقل يقولوا حرّص على الملك ، وان أسكت يقولوا جرّع من الموت ، هيهات بعد اللئيم<sup>(٩)</sup> ، والى ، والله لأبئن أبى طالب أنس بالموت من الطفل بئدى أمه ، بل اندمجت

(١) من فدحه الذين ألقاه (٢) العظيم (٣) أى حكومة الحكّامين مرور بن الناس وأبى موسى الاشعري (٤) هو مولى جذيمة الابرش ، وكان حافظاً ، وكان قد أشار على سيده جذيمة أن لا يأمن لواء ملكة الجورة فظلفه وقصدها اجابة لدعوتها الى زواجه فقتلته فقال قصير ( لا يطاع لقصير أمر ) فظلمت مثلاً (٥) هو دريد بن الصمة

(٦) ميلاو (٧) أى بمساعدة ومعين (٨) متغير الطعم واللون

(٩) يضرب مثلاً لمن خاض الشدائد والمصائب صغیرها وكبیرها

على مكنون علم لو بُحِثْ به لاضطربتم اضطراب الأَرَشِيَّة<sup>(١)</sup> في الطُّوَرِ<sup>(٢)</sup> البعيدة

## سحبان وائل

هو سحبان بن زُفر بن إِيَاد الوائلي، الخطيب المصنِّع، المضروب به المثل في البلاغة والبيان. نشأ في الجاهلية بين قبيلة وائل إحدى قبائل ربيعة. ولما ظهر الإسلام أسلم وتقلب به الأحوال حتى التحق ب معاوية رضي الله عنه، فكان يُعِدُّه الملمات، ويتوكلأ عليه عند المفاخرة: لقوة عارضته وسُرعة خاطره.

قدم على معاوية وقد من خُراسان وفيهم سعيد بن عثمان بن عفان، فطلب سحبان فلم يجده في منزله، فاقْتَضَب من ناحية اقتضاباً وأدخل عليه. فقال له معاوية تكلم فقال: أحضروا لي عصاً - قالوا وما تصنع بها وأنت بحضرة أمير المؤمنين؟ - قال: ما كان يصنع بها موسى وهو يخاطب ربه - فضحك معاوية وأمر له بإحضارها؛ فلما وصلت إليه رَكَّلَهَا<sup>(٣)</sup> فلم تَرَقْ في نظره فطلب عصاه فأخذها، ثم خطب من صلاة الظهر إلى أن حانت صلاة العصر، ما تمنح، ولا سَمَل، ولا توقف، ولا تَلَكُّأ، ولا ابتدأ في معنى وخرج منه وقد بقي منه شيء، فما زالت تلك حاله حتى دَهِش منه الحاضرون، فأشار إليه معاوية بيده، فأشار إليه سحبانُ لا تَقْطَعْ على كَلَامِي - فقال معاوية: الصلاة قال هي أمامك، نحن في صلاة وتحميد، ووعد ووعد - فقال معاوية: أنت أخطبُ العرب - قال سحبان والعجم والجن والانس

وكان سحبانُ إذا خطب يسيل عرقاً، ومات في خلافة معاوية سنة ٤٥ هـ  
ومما يؤثر من خطبه قوله<sup>(٤)</sup>

إِنَّ الدُّنْيَا دَارُ بَلَاغٍ، وَالْآخِرَةُ دَارُ قَرَارٍ، أَيُّهَا النَّاسُ خُذُوا مِنْ دَارِ مَرَمِكُمْ لِدَارِ

(١) جمع رشاء وهو الجبل (٢) البثر المطوية بالمجاعة أي الملية بها

(٣) رَكَّلَ الشيء: برَّكه ورفه والمراد هنا خبرها ليُعرف صلابتها

(٤) ونسبها التالي في الامثل لبعض الامراب في صدر بنى العباس. ولعل السر في هدم تدوين خطبه انه كان يميل الى الاطالة التي يسجز الرواة منها عن الحفظ، على انها لم تكن سياسية والقوم في هذا العصر مفرمون بالسياسة



مَرَّكُمْ ، ولا تهتكوا أَسْأَارَكُمْ عند من لا تخفى عليه أَسْرَارُكُمْ ، وَأَخْرِجُوا مِنَ الدُّنْيَا قُلُوبَكُمْ قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ مِنْهَا أَبْدَانُكُمْ ، فَبِهَا حَيِّتُمْ ، وَلَقَدْ بَايَعْتُمْ ، أَنْ الرَّجُلَ إِذَا هَلَكَ ، قَالَ النَّاسُ مَا تَرَكَ ؟ وَقَالَ الْمَلَائِكَةُ مَا قَدَّمَ ؟ ، قَدَّمُوا بِمَعْصَا يُكَوِّنُ لَكُمْ وَلَا تُخْفُوا كُلَّ مَا يَكُونُ عَلَيْكُمْ

### زياد بن أبيه

هو أحد دهاة العرب وساستها ، وخطبائها وقادتها

نسبه وحياته

المأثور أنه قلما وقع البغاء في الجاهلية من غير الإمام ، ومنهم سمية أمة الحارث بن كَلْدَةَ الثَّقَفِي طييب العرب ، وقد قَرَّبَهَا بِعَدْلٍ لَهُ رَوَى يَدْعَى عَيْدًا ، فولدت سمية زيادًا على فراش عيسد هذا في السنة الأولى من الهجرة ، قنشا غلامًا فصيحًا ، شجاعًا داهيًا ، قارئًا كاتبًا ، فما اقتحت العرب الممالك والأمصار حتى عرف منه ذلك فاستكتبته أبو موسى الأشعري وإلى البصرة من قبل عمر ، ( رضى الله عنه ) فأظهر من الخلق وحدة الذكاء وبهاء النور ما جعل أمير المؤمنين يقول عند ما عرّاه عن عمله ( انه لم يمرّ له لعجز ولا خيانة ، وإنما كره أن يحمل على الناس فضل عقله ) غير أن ذلك لم يكن ليصنّعه عن استكفائه بعض مهامّ أموره ، فكان في جميعها مرضى المقام ، محمود الأثر ، حتى قال فيه عمرو بن العاص ( لله هذا الغلام لو كان أبوه من قريش لساق الناس بمصاه ! )

ولما رأى أبو سفيان بن حرب بعد إسلامه حصافة عقل زياد ، وحسن بلائه وفصاحة لسانه ، أسرّ إلى بعض قريش ومنهم على ( كرم الله وجهه ) بأن زيادًا ابنه اشتملت عليه سمية منه وهو مشرك ، ولكنه لم يستلجّه علانية أففة من العار ، وخشية من عمر

ولما ولي أمير المؤمنين على الخلافة اضطربت عليه فارس ، فاستشار الناس فيمن

يكفيه أمرها ، فأشار بعضهم بزياد ، فسار الى فارس بجمع كثير ، فتمكن بخداعه ودهائه من إقناع النور والشقاق بين رؤساء المشائخين ، وما زال يضرب بعضهم ببعض حتى مكنت آثارهم ، ولم يلق منهم حرباً ولا كيداً ، وبقي يتولى لمسلّ الأعمال حتى قتل على ، فخافه معاوية واهتم له كثيراً ، فأرسل اليه المغيرة بن شعبة يُلطف له ويستقدمه ، فقدم عليه فادّعاه أخاه ، واستلحه بنسب أبيه أبي سفيان بشهادة شهود في محضر من الناس ، وصار يسمى زياد بن أبي سفيان بدل زياد ابن عبيد ، والمتورعون يسمونه ( ابن سمية أو ابن أبيه )

ولاء معاوية البصرة وخراسان وسجستان ثم جمع له الهند والبحرين وعمان ، ثم ضم اليه الكوفة ، فأصبح بذلك والياً على المراقين ، وهو أول من جمع له بينهما ؛ فسار في الناس سيرة لم بها الشعث ، وأقام الموعج ، وكبح الفتنة ، واشتط في العقوبة ، وأخذ بالغلّة ، وعاقب على الشبهة ، حتى أكّد الملك لمعاوية ، وحتى شمل خوفه جميع الناس ، فأمن بعضهم بعضاً

وكان الشيء يسقط من يد الرجل أو المرأة فلا يمرض له أحد ، حتى يأتي صاحبه فيأخذه ، بل كان لا يفلق أحد بابه ، وكان زياد يقول : ( لو ضاع جبل بيني وبين خراسان لعرفت أخذه ) . وكان مكتوباً في مجلده عنوان سياسته وهي ( الشدة في غير عنف ، واللين في غير ضعف ، المحسن يجازي بإحسانه ، والمسيء يعاقب بإساءته ) أما فصاحتها فيكيفك في وصفها ما رواه الجاحظ عن الشعبي قال : ( ما سمعت متكلماً على منبر قط تكلم فأحسن إلا أحببت أن يسكت خوفاً من أن يسمى الأ زياداً ، فانه كلما أكثر كان أجود كلاماً ) وتوفي بالكوفة في رمضان سنة ٥٣ هـ

ومن خطبه البليغة خطبته حين قدم الى البصرة وهي <sup>(١)</sup> :

أما بعد فإن الجمالة الجهلاء والضلالة العمياء ، والتي الموفى بأهله على النار ما فيه سفاؤكم ، ويشتمل عليه خطاؤكم : من الأمور التي ثبتت فيها الصغير ، ولا يتحاشى عنها

(١) كما في مصبح الأعمى وتروى في البيان والتبيين والطبري والمقد الفريد بروايات مختلفة

الكبير؛ كأنكم لم تقرأوا كتاب الله ولم تسمعوا ما أَعَدَّ الله من الثواب الكريم لأهل طاعته، والعذاب الأليم لأهل مصيئته، في الزن السرمدي الذي لا يزول . إنه ليس منكم إلا مَنْ طرقت عينه الدنيا ، وسدَّت مسامعهُ الشهوات ، وآختر الغاية على الباقية ، ولاتذكرون أنكم أحدثتم في الإسلام الحدّث الذي لم تُسبقوا إليه : من تَرْكِكُم الضميفَ يُقهر ، والضعيفة المسلوبة في النهار لا تُنصر ، والعدد غير قليل ، والجمع غير مفترق . ألم يكن منكم نهضة يمنعون النفوة عن دَلَج الليل وغارة النهار ! قرَّبتم القرابة ! وبعادتم الدين ! تعتذرون بغير العذر ، وتُفَضُّون على النُكْر . كل آمرئ منكم يرد عن سفينه ، صُنْع من لا يخاف عقاباً ولا يرجو معاداً . فلم يَزَل بهم ما تَرَوْنَ من قيامكم دونهم حتى أتتهوا جُرم الإسلام ثم أطرقوا وراءكم كُنُوساً في مكائس الرِّيب ، حرام على الطعام والشراب حتى أضغ هذه المواخير بالأرض هدماً وإحراقاً انى رأيت آخر هذا الأمر لا يصلح إلا بما صلح به أوّله : لئِنْ في غير ضَعْف ، وشدة في غير عَفْ ، وإني لأقسم بالله لأخذنَّ الوليَّ بالمولى ، والمقيمَ بالطاعن ، والمطيعَ بالمعصية ، حتى يلقى الرجل أخاه فيقول « انجُ سُنْدُ قد هلكَ سَعيد » أو تستقيم لي قناتكم . إن كِذْبة الأمير بَلقاء مشهورة ، فاذا تعلقم على بكذبة قد حلت لكم معصيتي ؛ وقد كان بيني وبين قوم إحْنٌ فحلتُ ذلك دَبر أذني ونحت قَدَمي . إني لو علمت أن أحدكم قد قتل السِّلَّ من بَغْضى لم اكشف له قناعاً ، ولم أهتِك له سترًا ، حتى يُبْدِي لي صَفْحَه ، فاذا فعل ذلك لم أناظره ، فاستأنفوا أموركم وأعينوا على أنفسكم ، فربَّ مَبْتَسٍ بقدمونا سَيسر ، ومسرور بقدمونا سَيتيس . أيها الناس إنا قد أصبحنا لكم ساسةً ، وعنكم ذادةً ، نُسوسكم بسلطان الله الذي أعطانا ، ونذود عنكم بِنِي . الله الذي خولنا ، فلنا عليكم السمعُ والطاعة فيما أحيينا ، ولكم علينا المدلُّ فيما ولينا ، فاستوجبوا عدلنا وقيمتنا بمنصحتكم لنا

## الحجاج

هو أبو محمد الحجاج بن يوسف الثقفي، رجلٌ ثقيف، وأحد جبابرة العرب وساستها وقادتها وحكامها، وموطدٌ ملك بني أمية، وأحد البلغاء والخطباء المصاقع ولد سنة ٤١ هـ وكان هو وأبوه يعلنان الصبيان بالطائف موطن ثقيف، ثم لحق بروح بن زنياع الجندى أحد أعوان عبد الملك بن مروان فكان في شرطته ثم صار رئيسها<sup>(١)</sup>

وأول ما اشتهر من أمره قيادته الجيش الذي وُجه لقتال عبد الله بن الزبير فسار إليه وحاصره بمكة ثم قتله وأزال ملكه، فولاه عبد الملك العراق، وكان كله نارا ملتهبة بفتنة الشيعة والخوارج، فاستعمل من الشدة والقسوة وسفك الدماء وارهاب الأئمة ما لم يُسمع بمثله، وجدد الملك لبني أمية، وكان عاقبة أمره أمرين عظيمين: أولهما يُمدح عليه: وهو جمع أشتات المسلمين تحت راية واحدة هي راية الخليفة العربي الأموي، وثانيهما يذم به: وهو إذلال الأمة العربية إذلالاً لم تمهده

(١) وأول ما عرف من كفايته أن عبد الملك بن مروان شك ما رأى من انحلال السكر وأن الناس لا يرحلون برجله ولا ينزلون بنزوله حين توجه إلى الخزيرة لقتال زفر بن الحارث عند ما عصى عليه - فقال له روح بن زنياع يا أمير المؤمنين إن في شرطتي رجلاً لو قتله أمير المؤمنين أمر مسكوك لأرسلهم برجله وأنزلهم بنزوله يقال له الحجاج بن يوسف - قال فأنفذاه ذلك فكان لا يقدر أحد أن يشتغل عن الرجل ولا أول الأعران روح بن زنياع فوقف عليهم يوماً وقد رحل الناس وهم على طعام يأكلون - قتال لهم متسكك أن ترحلوا برجل أمير المؤمنين - فقاتلوا له أنزل يا ابن - فكل منا - قتال مبهات ذهب ما هناك ثم أمر بهم لجلدوا بالسباط وطوفهم في السكر وأمر بساطيط روح بن زنياع فأحرقت بالنار فدخل روح بن زنياع على عبد الملك ابن مروان باكياً فقال له ما لك - فقال يا أمير المؤمنين الحجاج بن يوسف الذي كان في عهدي شرطتي ضرب ميدي وأحرق فساطيطي - قال عليّ به فلما دخل عليه قال ما حركك علي ما فعلت قال ما أنا ففك يا أمير المؤمنين - قال ومن فعله قال أنت وافقه ففك إنما يدعي يدك وسوطي سوطك وما على أمير المؤمنين أن يخلف علي روح بن زنياع لفساطيط فسقاططين ولغلام غلامين ولا يكسرى فيها قدمي له فأغلف لروح بن زنياع ما ذهب له وحشم الحجاج في منزلته وكان ذلك أول ما أعجب عبد الملك منه

منذ خُفِّت بما قُتل من نَفَوتها ، و سلب من حريتها ، وأُخْرِس من ألسنتها فدخلت بعده في طَوْر خُسُوعٍ وامثال للحكام المستبدين أكل بقيته نصراء الدولة العباسية من الأعاجم

وخدم الحجاج بولايته عبد الملك بن مروان ، وإنيبه الوليد وسليمان ، حتى كان ملكه ما بين الشام والصين ، ومات سنة ٩٥ هـ في عهد سليمان في مدينة واسط<sup>(١)</sup> التي بناها بالعراق

وكان الحجاج آية في البلاغة وفصاحة اللسان وقوة الحججة . قال الأصمعي : أربعة لم يَلْحُظُوا في جِدِّ ولا هزل : الشَّعْبِي ، وعبد الملك بن مروان ، والحجاج<sup>(٢)</sup> ابن يوسف ، وابن القُرَيْبِ<sup>(٣)</sup> ، والحجاج أفصحهم ، وقال مالك بن دينار : ما رأيت أحداً أبين من الحجاج ، إنه كان ليرق المنبر فيذكر إحسانه إلى أهل العراق ، وصفحه عنهم وإساءتهم إليه ، اتى لأحسبه صادقاً وأظنهم كاذبين

ومن مآثره ما يأتي لك من اهتمامه بوضع النقط والشكل للمصحف وغيره ، ونسخه عدة مصاحف من مصاحف عثمان ، وأرسالها إلى بقية الأمصار

ومن خطبه المشهورة خطبته لما قدم أميراً على العراق فإنه دخل المسجد مُعْتَمِلاً بعمامة قد غطى بها أكثر وجهه مُتَعَلِّداً سيفاً مُتَنَكِّباً<sup>(٤)</sup> قوماً يؤم المنبر ، فقام الناس نحوه حتى صعد المنبر فكث ساعة لا يتكلم ، فقال الناس بعضهم لبعض قَبِّحَ اللهُ

( ١ ) بلد بالعراق ( ٢ ) زعم بعضهم أن الحجاج قد أخطأ ونسب له ما يأتي : قال الحجاج لشعبيكم مطاع في السنة قال الذين قالوا بملككم مطاع قال الثنا - قال وكيف لحنت أولا - قال لمن الأمير فلننت فلما أربأ أربيت ، ولم أكن ليمن الأمير فأعرب أنا علي فأثور كالفرع له والمستطيل عليه بفضل القول . وروى أيضاً أن الحجاج قال ليعبي بن يسر أسمعني الحن قال في حرف واحد قال في أي قال في القرآن قال ذلك اشنع ثم قال له ما هو قال تقول ( قل إن كان آبؤكم وبنائكم وأخواتكم وأزواجكم ومشرككم وأموال اقترضوها وتجاره تخشعون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله ) فقرأ أحب بالرفع قال الحجاج لا جرم أنك لا تسع لي لحنا بعد هذا ثم الحلف بغير إصا

( ٣ ) هو أيوب بن يزيد والقرية أمه ( ٤ ) تنكبك القوس التيها على منكبي

بنى أمية حيث تستعمل مثل هذا على العراق ، حتى قال عُمَيْرُ بْنُ ضُبَيْحٍ الْبُرْجُمِيُّ :  
أَلَا أَحْصِيَهُ لَكُمْ - قَالُوا : أَمْهَلُ حَتَّى نَنْظُرَ ، فَلَمَّا رَأَى عِيُونَ النَّاسِ إِلَيْهِ ، حَسَرَ الْإِنَامَ  
عَنْ فِيهِ وَنَهَضَ ثُمَّ قَالَ :

أَنَا ابْنُ جَلَا وَطَلَّاحُ الثَّنَائِيَا      مَتَى أَضَعُ الْعِمَامَةَ تَعْرِفُونِي  
ثُمَّ قَالَ : يَا هَلْ الْكُوفَةُ إِنِّي لِأَرَى رَمُوسًا قَدْ ابْتَنَتْ وَحَانَ قِطَافُهَا ، وَإِنِّي لَصَاحِبُهَا ،  
وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى السَّمَاءِ بَيْنَ الْمَاءِ وَالْغَيْ ، ثُمَّ قَالَ :

هَذَا أَوَّانُ الشَّدْرِ فَاشْتَدَّى زَيْمٌ <sup>(١)</sup>      قَدْ لَهَّأَ <sup>(٢)</sup> اللَّيْلُ بِسَوَاقِي حُطَمٌ <sup>(٣)</sup>  
لَيْسَ بِرَأْيِ إِبِلٍ وَلَا غَنَمٍ      وَلَا يَجْزُرُ عَلَى ظَهْرٍ وَصَمٌ <sup>(٤)</sup>  
قَدْ لَهَّأَ اللَّيْلُ بِمَصْنَفِي <sup>(٥)</sup>      أَرْوَعَ <sup>(٦)</sup> خَرَّاجٍ مِنَ الدَّوَى <sup>(٧)</sup>  
مُهَاجِرٍ لَيْسَ بِأَعْرَافِي

قَدْ شَمَرَتْ عَنْ سَاقِهَا فَشَدَّوْا      وَجَلَّتْ الْحَرْبُ بِكُمْ فَجَدَّوْا  
وَالْقَوْمُ فِيهَا وَتَرَّ عُرْدٌ <sup>(٨)</sup>      مِثْلُ ذِرَاعِ الْبَكْرِ <sup>(٩)</sup> أَوْ أَشَدُّ  
لَا بُدَّ مِمَّا لَيْسَ مِنْهُ بُدٌّ

إِنِّي وَاقِعٌ بِأَهْلِ الْعِرَاقِ مَا يَقْطَعُ لِي بِالشَّيْثَانِ <sup>(١٠)</sup> ، وَلَا يُغْمِزُ جَانِبِي كَتَاخِزِ الثَّيْنِ  
وَلَقَدْ فُرِدَتْ <sup>(١١)</sup> عَنْ ذِكَاہِ ، وَقُلِّبَتْ عَنْ شَجَرَةٍ ، وَإِنْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَطَالَ اللَّهُ بِقَادِهِ  
نَثَرَ كَنَانَتَهُ <sup>(١٢)</sup> بَيْنَ يَدَيْهِ فَمَجَمَ <sup>(١٣)</sup> عِيدَانَهَا فَوَجَدَنِي أَمْرُهَا <sup>(١٤)</sup> عُدُودًا وَأَصْلَبَهَا مَكْسَرًا  
فَرَمَاكُم بِى لَأَنْتُمْ طَالَمَا أَوْضَعْتُمْ <sup>(١٥)</sup> فِي الْفِتْنَةِ وَاضْطَجَعْتُمْ فِي مَرَاقِدِ الضَّلَالِ ، وَاللَّهُ

( ١ ) اسم فرس أو ناقة ( ٢ ) جمها

( ٣ ) لا يبق من السير شيئاً ( ٤ ) كل ما قطع عليه اللحم ( ٥ ) شديد

( ٦ ) ذكر ( ٧ ) الدواب الصغرى أى خراج من كل نماء شديد ، والدوابية الصغرى للثمة

التي تسع لها دويلاً جليل ( ٨ ) شديد ( ٩ ) القيق من الإبل

( ١٠ ) الشال جمع شن وهو الحلة اليابس فإذا قطع به أى ضرب نفرت الإبل منه ، يضرب

ذلك مثلاً لنفسه ( ١١ ) فر الحاجة كشف عن أسنانها لينظر ما سنه ، ومن الأمر بحث منه

( ١٢ ) الكداة جبة السهام من جلد ( ١٣ ) عضها لينظر إليها أصلب ( ١٤ ) اقواها

( ١٥ ) الاضجاع ضرب من السير

لَاخِرَ مَسْكَمِ حَزْمِ السَّلَامَةِ<sup>(١)</sup> ، وَلَا ضَرْبَتِكُمْ ضَرْبَ غَرَابِ<sup>(٢)</sup> الْإِبِلِ ، فَانْكُمْ لَكُمْ هَلِ  
قَرْيَةً كَانَتْ أَسَنَةً مَطْمَئِنَةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرْتُمْ بِأَنَّمْ اللَّهُ فَاذَاقَهَا  
اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ . وَإِنِّي وَاللَّهِ مَا أَقُولُ إِلَّا وَتَيْتُ ، وَلَا  
أَهْمَ إِلَّا أَمْنُيْتُ ، وَلَا أَخْلُقُ<sup>(٣)</sup> إِلَّا فَرَيْتُ<sup>(٤)</sup> . وَإِنْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَمَرْنِي بِاعْطَاكُمْ  
أَعْطَايَاكُمْ وَأَنْ أَوْجَحَكُمْ لِحَارِبَةِ عَدُوِّكُمْ مَعَ الْمُهْلَبِ<sup>(٥)</sup> ، بَنِي أَبِي صَفْرَةَ ، وَإِنِّي أَقْسَمُ بِاللَّهِ  
لَا أَجِدُ رَجُلًا تَخْلَفُ بَعْدَ أَخْذِ عَطَايِهِ بِثَلَاثَةِ أَيَّامٍ إِلَّا ضَرَبْتُ عَنْقَهُ

- 
- ( ١ ) نوع من الشجر ، وذلك لأن الاشجار تصيب أخصانها ثم تحتبط بالصبي لقوط  
الورق وهشيم الديدان
- ( ٢ ) وهي تضرب عند الحرب وعند الخلاط وعند الخوض أشد الضرب
- ( ٣ ) أقدر
- ( ٤ ) قطعت
- ( ٥ ) هو أبو سعيد المهلب بن أبي صفرة الأزدي البصري قائد قواد الأمويين ومريد  
الخوارج ومبتدع الزك المديد
- ولد بالبصرة ونشأ بها وظهر أمره في مقاومة الخوارج مدة الحجاج وقد أبلى في مقاتلتهم هو  
وأولاده أعظم بلاء حتى طهر البصرة منهم فقتلت اليه قتيل بصرة للمهلب
- وولاه الحجاج خراسان فأقام بها حتى مات سنة ٨٨٢ هـ على ما رواه الطبري
- وله كلمات مأثورة منها : الحياء خير من اللوث ، والثناء الحسن خير من الحياء — لو أعطيت  
ما لم يسله أحد لأحببت أن تكون لي أذن أسمع بها ما يقال في "عنداً إذا مت — يا بني أحسن  
ثيابكم ما كان على غيركم

## الكتابة

للكتابة كما أسلفنا معنيان : خطية وانشائية

### الكتابة الخطية

كان الخط الذى يكتب به العرب فى مبداء ظهور الاسلام هو الخط الأنبارى الحيرى ، المسمى بعد انتقاله الى الحجاز بالحجازى ، وهو أصل النسخ ، وكان يكتب به التزود اليسير من العرب عامة وبضعة عشر من قريش خاصة ، وبعض أفراد من أهل المدينة ومجاورهم من اليهود ، فلما انتصر النبي صلى الله عليه وسلم على قريش فى يوم بدر وأسر منهم جماعة كان فيهم بعض الكتاب ، قبل القداء من أميهم وفادى الكاتب منهم بتعليم عشرة من صبيان المدينة ، فانتشرت الكتابة بين المسلمين ، وحض النبي على تعلمها ، وتمكن أمرها بعد فتح مكة واجتماع شمل المهاجرين منها والانصار ، فاستمر نزول القرآن حتى كان رسول الله اكثر من أربعين كاتباً

ومن أشهر كتّاب الصحابة نفر الأربعة الذين كتبوا المصاحف لعثمان وهم زيد بن ثابت ، وعبد الله بن الزبير ، وسعيد بن العاص ، وعبد الرحمن بن الحارث ابن هشام ، ولما فتح المسلمون الممالك وهزموا الانصار ونزلت جُمهرة الكتّاب منهم الكوفة ، غنوا بتجويد الخط العربى وهندسة أشكاله وتخطيط عرقاته ( كساته ) ، حتى صار خط أهل الكوفة ممتازاً بشكله عن الخط الحجازى ، واستحق أن يسمى باسم خاص وهو ( الكوفى ) ، وبه كانت تُكتب المصاحف المجردة الخط ، ويحلى القصور والمساجد ، وسبك النقود ، وبقي الحجازى مستعملاً فى المكاتبات العادية ، ثم حدث فى الكوفى أنواع بعد هذا المصير نذكرها بعد





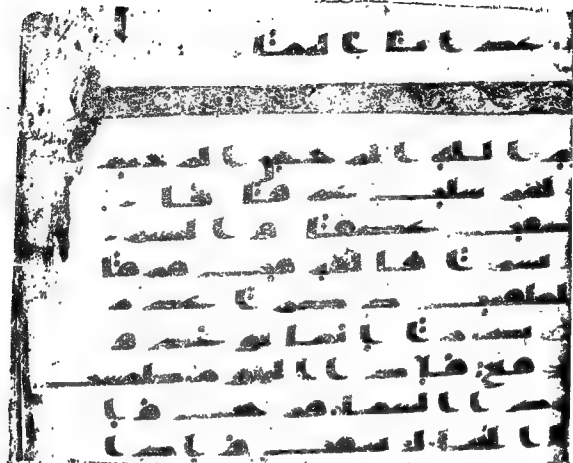


وتوضيح ما يقرأ منها

.....  
أما بعد فإن هشام بن عمر  
كتب الى يذكر  
جالية له بأرضك  
وقد تقدمت الى  
العمال وكتبت اليهم  
ألا يؤثروا جاليا  
فاذا جاءك كتابي هذا  
فادفع اليه ما كان  
له بأرضك من جاليته  
ولا أعرفن ما رددت  
رسله أو كتب الى  
يشتكيك والسلام  
على من اتبع الهدى وكتب  
يزيد في جمادى الآخرة  
سنة احدى وتسعين

وهذا النموذج منحرف عن الهيئة الكوفية الى الهيئة التي نحن عليها الآن

وخال من النقط



( نموذج مضبوط بالنقط على طريقة أبي الأسود )

عَلَّاهُ أَلِيمًا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
وَالْمُرْسَلَتْ عُرْفًا قَا  
لَصِفَتْ عَصْفًا فَالْنَشْرَتِ  
نَشْرًا فَالْفَرْقَتِ فَرْقًا  
فَالْمُلْقِيَتْ ذِكْرًا عُدْرًا  
أَوْ نُذْرًا أَمَّا تُوعِدُونَ  
لَوْ كَفَّ فَأَذَا التَّجِيمُ طُبِيتْ  
وَأَذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ وَإِ  
ذَا الْجِبَالُ نُيْفَتْ وَإِذَا

## الكتابة الانشائية

وهي قسمان : كتابة رسائل ودواوين <sup>(١)</sup> وكتابة تدوين وتصنيف

### كتابة الرسائل والدواوين

كان زعماء العرب وفصحائهم كلهم كتاباً يُنشئون بملكتهم ولو لم يخطوا بينهم ، فكان النبي وأصحابه وخلفاؤه يعملون كتبهم على كتابهم ببارتهم ، وبعضهم يكتبها يده ، وكان من ذلك أيام ظهور الاسلام وأزمان الفتوح والمغازي مئات الرسائل والعهود ولما اتسعت موارد الخلافة ووفرت الفنائم وأعطيت الجنود منها أصبحت الخلافة الاسلامية في حاجة الى انشاء الدواوين لضبط ذلك ، فكان عمر أول من دوّن الدواوين في الاسلام وكانت قاصرة على الضرورى منها لمكان البداوة من الأمة

وكان كتاب الرسائل للخلفاء وعالمهم إما عربياً أو موالياً يُجيدون العربية أما كتاب الخراج ونحوه فكانوا في كل اقليم من أهله يكتبون بلغتهم فيكتبون في فارس والعراق بالفارسية ، وفي الشام بالرومية ، وفي مصر بالقبطية ؛ ولما نبغ من العرب من يحسن عملهم حوّلت هذه الدواوين الى العربية زمن عبد الملك بن مروان والوليد ابنه ، وجرى خلفاء بنى أمية في كتابة الرسائل على ما كان عليه الأمر زمن الخلفاء الراشدين

ثم لما اتسعت رقعة المملكة وقرت أمور الدولة ازدادت الأعمال وشغل الخلفاء عن أن يكلوا الكتابة بأنفسهم أو بخاصة عشيرتهم ، عهدوا بها الى كبار كتابهم فتفرقوا عليها حتى أوشكت في أواخر دولتهم أن تصير صناعة عتيقة ، متحدة الأصول

( ١ ) الديوان الكتاب يكتب فيه أهل البطية ، وأول من وضعه عمر رضي الله عنه ، ثم صار يطلق على المكان الذي يجتمع فيه الكتاب

متشعبة الفروع بما أدخله فيها الناشئون من أبناء الكتاب والموالى بعد قتل الدواوين إلى العربية

وكان كثير منهم يعرف اللغة الرومية أو الفارسية أو اليونانية أو السريانية وهي لغات أمم ذات حضارة وعلوم ، ونظام ورسوم ، ومن هؤلاء سالم مولى هشام بن عبد الملك أحد الواضعين لنظام الرسائل ، وأستاذ عبد الحميد الكاتب الذي آلت إليه رِعاية الكتابة آخر الدولة الأموية ، ومع كل ذلك لم تصل درجة الكاتب العظيم في هذا العصر إلى ما وصلت إليه بعد من ارتقاء مرتبة الوزارة

### مميزات الكتابة الانشائية

ونمتاز الكتابة في هذا العصر بالمميزات الآتية

( ١ ) الاقتصادُ في أغراضها على القدر الضروري لدولة عربية ، لقلة نمجزة الأعمال وضبط الأمور الصغائر ولشمول العدالة والثقة أكثر عمال الأمة وانصاف الناس بعضهم بعضاً

( ٢ ) الاقتصادُ في معناها على اللام بالحقائق وتوضيحها بلا مبالغة ولا تهويل

( ٣ ) استعمال الألفاظ الفحلة ، والمبارات الجرئة . والأساليب البليغة . إذ كان الكاتب والمكتوب إليه عرباً فصحاء ؛ وكان البيان غاية التبيل منهم لقلة العلوم والفنون والصنائع التي تشغلهم عن ذلك كما شغلت خَلْفهم فقد كانوا يتوخَّون ملاءمتها . لحال المكتوب إليه : فتارة تكون موجزةً سهلة وذلك إذا كانت لغیر العرب ليسهل على من له اللام بالقبلة ترجمتها كما ترى ذلك في كتبه صلى الله عليه وسلم إلى كسرى ابرويز ملك فارس أو هرقل قيصر الروم ، وتارة تكون عالية العبارة متينة الأسلوب إذا كان المخاطب عربياً فصيحاً كما كان ذلك في كتبه صلى الله عليه وسلم إلى بني

نهدي<sup>(١)</sup> وإلى وائل بن حُجْر، وإلى أهل خَضْرَيَوْت

( ٤ ) مراعاة الإيجاز غالباً إلا حيث يستدعي الحال الإسهاب، وبقى الأمر على ذلك حتى جاء عبد الحميد الكاتب آخر الدولة الأموية، فأسهب في الرسائل، وأطال التحميدات في أولها، وسلك طريقه من أتى بعده

( ٥ ) قلّة الثمن في أنواع البدء والختام، فقد كانت الجاهلية تكتب في أول كتبها باسمك اللهم ويبدأ يكتب من فلان إلى فلان ويختمون في الغرض، وكان صلى الله عليه وسلم يفتتح كتبه بالبسملة، ويبدأ من محمد رسول الله إلى فلان، ويتدنى غالباً صدورهما بالسلام عليكم أو السلام على من أتبع الهدى، ويختم بالتحميد بعد السلام فيقول: إني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، ويتخلص من صدر الكتاب إلى المقصود تارة بأمأ بعد وأخرى بغيرها، وكان يختمها في الأكثر بالسلام عليكم ورحمة الله، أو السلام على من أتبع الهدى

( ٦ ) التعبير عن النفس بلفظ الأفراد مثل (أنا وإلى وجاءني ووفد علي)، ومخاطبة المكتوب إليه بكاف الخطاب وتاءه، وعند الثنية بلفظها مثل (أنما ولكم) وعند الجمع بلفظه أيضاً مثل (أتم ولكم) - وبقى الأمر متبهماً في خلفائه وخلفاء بني أمية إلى أن ولي الوليد بن عبد الملك فجود القراميس، وجلل الخطوط، وفخم المكاتبات، وتبعه من بعده من الخلفاء على ذلك إلا ما كان من عمر بن عبد العزيز ويزيد بن الوليد فانهما جريا في ذلك على طريقة السلف. ثم رجع الأمر إلى ما سنّه الوليد بن عبد الملك إلى أن صار الأمر إلى مروان بن محمد آخر خلفائهم وكتب له عبد الحميد بن يحيى، وكان من الحسن والبلاغة على ما اشتهر ذكره فأطال الكتب وأطنب فيها حيث اقتضى الحال تطويلها والإطناب فيها كما تقدم

## الكتاب

كتاب هذا العصر كثير ، قد كانت الخطباء والأمرء والقواد كلهم كتاباً بلغاء وانك لتري كثيراً من رسائلهم وعهودهم في تاريخ الطبري وغيره من كتب المغازي والفتوح . ولما صارت الكتابة صناعة ، تداولها كثير من الأتاجم وغيرهم ، واشتهر من بين هؤلاء عبد الحميد الكاتب ، وهما ترجمته :

### عبد الحميد بن يحيى الكاتب

هو عبد الحميد بن يحيى بن سعيد العامريّ ولّاه الشاميّ داراً شيخ الكتاب الأوائل ، وأوّل من أطال الرسائل

كان عبد الحميد من أهل الشام من موالى بني عامر ، وتخرّج في البلاغة والكتابة على ختنه<sup>(١)</sup> أبي العلاء سالم مولى هشام بن عبد الملك ، وكاتب دولته وأحد بلغاء العالم والنقّلة من اليونانية . وكان عبد الحميد في أوّل أمره معلّم صبيان يتنقل في البلدان حتى فطن له مروان بن محمد أيام توليته أرمينية وانتدابه لتسكين فتنها فكاتب له مدة ولايته حتى إذا بلغه مبايعة أهل الشام له بالخلافة ، سجد مروان لله شكرًا وسجد أصحابه الأ عبد الحميد فقال له مروان لم لا تسجد ؟ فقال ولم أسجد ؟ أعلّى أن كنت معنا فطرت عنا ؟ - قال إذا تطير مي - قال الآن طاب لي السجود وسجد ، فاختذه مروان كاتب دولته ، فصدر عنه من الرسائل ما صار نموذجاً يُحاكىه من بعده من البلغاء وكما دهمت مروان جيوش خراسان أنصار الدعوة العباسية وتوالت عليه الهزائم كان عبد الحميد يلازمه في كل هذه الشدة ، فقال له مروان : قد اختجّت أن تصير مع عدوّي وتظهر الغدر بي ، فان أعجبهم بأدبك وحاجتهم الى كتابتك تخوّلهم الى حسن الظن بك ، فان استطعت أن تنفني في حياتي والألم لم تعجز عن حفظ

( ١ ) المخت هنا كل من كان من قبل المرأة كالأب والأخ



حُرِّمَ بعد وفاتي - فقال له : ان الذي أَشْرَتْ به عليّ أَفْعُ الأُمَرِينَ لك وَأَقْبَحُهما  
بي ، وما عندى إلا الصبر حتى يفتح الله عليك أو أُقْتَلَ معك وَأَشْدُ :  
أُسِرَ وفاء ثم أَظْهَرُ غَدْرَهُ ؟ فَنَ لي بعذر يُوسِعُ الناسَ ظاهِرُهُ ؟  
ويبقى معه حتى قتل مروان سنة ١٣٢ هـ فَرَّ واختبأ عند صديقه ابن المقفع فاجأه  
الطلب وهو في بيته ، فقال الذين دخلوا عليهما : أَيْكَا عبد الحميد ؟ فقال كل منهما :  
أنا خوفاً على صاحبه . وخاف عبد الحميد أن يُسَرَّعوا الى ابن المقفع فقال : تَرَقَّوْنا بنا  
فان كلاً منا له علامات ، فوكِّلوا بنا بمضكم ويمضى بعض آخر ويذكر تلك  
العلامات لمن وجهكم ففعلوا ، وأخذ عبد الحميد الى السَّقَّاح فقتله سنة ١٣٢ هـ

### منزله في الكتابة

اتفقت كلمة البلغاء وأهل الأدب على أن عبد الحميد هو الأستاذ الأول لأهل  
صناعة كتابة الرسائل ، وذلك أنه أول من مهَّد سبيلها ، وميَّزَ فصولها ، وأطالها في بعض آثاره في الكتابة  
الشئون ، وقصرها في بعضها الآخر ، وأطال التحييدات في صدرها ، وجعل لها صوراً  
خاصةً يبدئها وختمها ، على حسب الأغراض التي تكتب فيها ، بل هو الذي رقى  
هذه الصناعة التي كانت من مَهِنِ الموالى ، حتى صارت بعده سُلْماً يَرْجِعُ فيه الكاتب  
الى مرتبة ليس فوقها إلا الخلافة وهي مرتبة الوزارة ؛ نعم ان ابن المقفع لم يكن دون  
عبد الحميد في البلاغة إلا أنه لم يَنْجُ له ما أُنِيجَ لعبد الحميد من رياسة الكتابة في دواوين  
الخلافة ، حتى يَنسَئَ له وضع الأنظمة وتنسيق الصور وإنما كتب لبعض الولاة وغلبت  
عليه الترجمة والتصنيف ؛ وكان لبلاغة عبد الحميد عمل يعجز عنه السحر في خلب  
الأفئدة وجذب النفوس ، فيقال إنه لما ظهر أبو مسلم الخراساني بدعوة بني العباس ،  
كتب اليه عن مروان كتاباً يستجلبه به وضمَّنه ما لو قرئ لأدَّى الى وقوع الخلاف  
والفشل ، وقال لمروان : قد كتبت كتاباً متى قرأه بطل تدييره ، فان يك ذلك والآن  
فاهلاك . وكان الكتابُ لكبر حجمه يحمل على جمل ، فلما وصل الكتاب الى داهية

عبد الحميد  
وابن المقفع

خراسان أبي مسلم، أمر بإحراقه قبل أن يقرأه وكتب على جذاذة<sup>(١)</sup> منه الى مروان:  
عما السيف أسطار البلاغة واتسعى عليك ليوث الناب من كل جانب  
ومما كتبه عبد الحميد موصياً لشخص :  
لثمة من ثمة  
حقن موصلي كتابي عليك، كحقه على : اذ جعلك موضعاً لأمله ، ورأى أهلاً لحاجته ،  
وقد اتجزت حاجته . فصدق أماله  
وكتب الى أهله وهو منهزم مع مروان :

أما بعد فإن الله تعالى جعل الدنيا محفوفةً بالمكاره والشرور ، فمن ساعده الحظ  
فيها ، سكن إليها ، ومن عصته بنائها ، ذمها سخطاً عليها ، وشكاها مستزيداً لها ، وقد  
كانت أذاقتنا أفاريق<sup>(٢)</sup> استحليناها ، ثم جمعت<sup>(٣)</sup> بنا نافرة ، وزممتنا<sup>(٤)</sup> مؤلّية ،  
فملّح عذبها ، وتخشّن لينها ، فأبعدتنا عن الأوطان ، وفرقتنا عن الإخوان ، فالدار  
نازحة<sup>(٥)</sup> ، والطير بارحة<sup>(٦)</sup> ، وقد كتبْتُ والأيام تزيدنا منك بعداً ، واليكم وجُداً ،  
فإن تمّ البلية الى أقصى مدتها يكن آخر المهد بكم وبنا ، وإن يُلحَنا غُفْر جارج  
من أنظار من يليكم ، نرجع اليكم بذل الإِسار ، والقل شرّ جار ، نسال الله تعالى  
الذي يُعزّ من يشاء ويذل من يشاء أن يهب لنا ولكم ألفةً جامعة ، في دار أمانة ،  
تجميع سلامة الأبدان والأديان ، فانه رب العالمين ، وأرحم الراحمين

### التدوين والتصنيف

انقضى زمن الخلفاء الراشدين ولم يُدَوّن فيه كتاب إلا ما كان من أمر كتابة  
المصحف ، وكان مرجع الناس في أمر دينهم وديانهم كتاب الله تعالى وسنة رسوله  
فاذا اشبه عليهم أمر من أمور الدين رجعوا الى الخلفاء وقهّاء الصحابة أو استخاروا

(١) قطعة (٢) الفيلة بالكسر اسم الفيل يجتمع في الفرع بين الحبطين والجمع ثيق  
وفيق ويطاف وأنواع وجمع الجمع أفاريق (٣) جمعت الفرس خلّبت وراكبها  
(٤) رجع الفرس كنع رفته (٥) بيعة (٦) البلرح من الطير ما مر من مياهك  
الى ميسرك وهو يتشام منه

الله فيه واستظهروا باجتهادهم رأياً عملوا به . وقد كانوا لا يكتبون أقوال النبي صلى الله عليه وسلم وفتاوى الصحابة خشية أن يجرّم ذلك الى الاعتقاد على الكتب وإهمال حفظ القرآن الكريم والسنة ، ولأن الكتاب عرضة للضياع والتصنيف والتحريف ، ولو عرض للكتاب عارض فات معه علم الدين

سبب عدم التدوين  
ثم لما انتشر الاسلام زمن بنى أمية في مشارق الأرض ومغاربها ، واختلطت العرب بالأمة المختلفة من الأعاجم ، ففسدت فيهم ملكة اللسان العربي ، وفشا اللحن واشفقوا على القرآن من التحريف وعلى اللغة من الفساد - دونوا النحو بعد احجام واقدام وأخذ ورد ، وكان أول من كتب فيه أبو الاسود الدؤلي ، وقد تلقى مبادئه عن الامام علي ، وأخذ عنه فتیان البصرة وخصوصاً الموالى ، اذ كانوا أحوج الناس الى النحو ، واشتغل أهل الكوفة به بعد أن فشا بالبصرة ، ولم ينتصر هذا المصير حتى اشتغل به طبقتان من البصريين وطبقة من الكوفيين

تدوين الحديث  
ثم لما حدثت الفتن وتعددت المذاهب والتحل وكثرت الأقوال والفتاوى والرجوع فيها الى الرجال والرؤساء ومات أكثر الصحابة ، خافوا أن يعتمد الناس على رؤسائهم ويتركوا سنة رسول الله ، فأذن أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز لأبي بكر محمد<sup>(١)</sup> ابن عمرو بن حزم في تدوين الحديث بعد أن استخار الله أربعين يوماً ، فدوّن ما يحفظ من حديث رسول الله في كتاب بحث به عمر الى الامصار ولم يعرف له بعد ذلك خبر

وبقى كثير من التابعين محتججاً عن التدوين والتصنيف تورعاً منهم ، وبعضهم كتب أو سمع لمن يكتب عنه في الحديث ورواية أقوال الصحابة في التفسير ، واقضى هذا المصير ولم يدوّن فيه من علوم اللغة والدين غير النحو وبعض الحديث وبعض التفسير . أما العلوم الأخرى فبرز أن خالد بن يزيد بن معاوية حبّب اليه مطالعة كتب الأوائل من اليونان فترجمت له ونبغ فيها ووضع كتباً في الطب

( ١ ) هو نائب عمر بن عبد العزيز في القضاء والولاية على المدينة وتوفي سنة ١٢٠ هـ

تدوين التاريخ والكيمياء . وأن معاوية استقدم عبيد<sup>(١)</sup> بن شَرِيَّة من صنعاء ، فكتب له كتاب ( الملوك وأخبار الماضين ) . وأن وهب<sup>(٢)</sup> بن شَيْبَةَ الزُّهْرِي وموسى بن عُقْبَةَ كَتَبَا في ذلك أيضاً كتباً . وأن زياد بن أبيه وضع لابنه كتاباً في مثالب قبائل العرب . وأن ماسرجويه<sup>(٣)</sup> مَطَّيَّبُ البصرة تولى في الدولة المروانية ترجمة كتاب أهرُونَ<sup>(٤)</sup> الترجمة الى العربية ابن أعين من السريانية الى العربية ، وأن يُونُس<sup>(٥)</sup> الكاتب ابن ساجان ألف كتاباً وتدوين الاغاني في الأغاني ونسبتها الى من عُقِيَ فيها

ولكن ذلك لم يُنْقِ الباحثين في تاريخ العلوم وتصنيفها أن يعتبروا هذا العصر عصرَ تصنيف وتدوين اذ لم تتم فيه كتب جامعة حافلة ، وانما كان كل ذلك مجموعات تُلوَّن على حسب ورودها واتفاق روايتها

## الشعر والشعراء في هذا العصر

### الشعر

جاء النبي الكريم ، والشعر ديوان العرب ، ومَجْمَعُ مكارمهم ، ومَنْبَعُ مفاخرهم ، ومَعْرِضُ فصاحتهم ، ومُظْهِرُ نبالتهم ، ومَوْضِعُ الرغبة من فؤوسهم ، فَأَتَاهُم بِالْأَمْرِ الْعَظِيمِ والحادث الخطير ، حاملاً باحدى يديه القرآن يدعو الناس الى توحيد الله والتمسك بالقرآن في الشعر بالفضيلة ، وشاهراً بالآخرى سيف الحق لحماية هذه الدعوة ، وما كان أشدَّ ذهولهم لخطبهما وانزعاجهم من وقعهما فهبوا يَتَحَسَّسُونَ الأوَّلَ وَيَتَمَرَّسُونَ أساليه ومعانيه ، وَيَقَرَّسُونَ ألفاظه ومغازيه ، ما بين معاندي بتلس مطعناً فيه ، ومؤمن يستبينه ويستهديه ، وتأهبوا لثاني : ما بين ضال يتأوَّنه ، ومبتد يُعاضده ، فصار ذلك صارفاً

( ١ ) أدرك النبي ولم يسع منه وكان يروى عن الكيس النخعي وعاش الى أيام عبد الملك ابن مروان ( ٢ ) هو أبو عبد الله صاحب القصص والاخبار وسير الملوك واحوال الانبياء وتوفى بصنعاء سنة ١١٦ هـ ( ٣ ) يهودي عاش الى صدر بني العباس وزاد على كتاب اهرود مقالين منه ترجمته ( ٤ ) هو قس متطبب تبلغ كفايته في الطب ٣٠ مقالة عاش في مبدأ الاسلام ( ٥ ) نشأ بالمدينة وكان من الكتاب وأخذ الفناء عن مبد وابن سريج وابن عمرز والغريش واستقدمه الوليد بن يزيد فلأزمه حتى قتل

لم عن التشاغل بالشعر والتألق به والتنافس فيه ، محوًلاً مَجْرَى أفكار المؤمنين منهم عن أكثر فنونه وأغراضه المنحرفة عن سَنَنِ الشرف والحق : كالتشبيب ، والمغازلة ، والمدح الباطل ، والاستجداء ، والهجاء . وبَقْض اليهم تلك الفنون المردودة إِرْزاه القرآن على الشعر الذي يقال فيها وَفُصِّرَ عليها بقوله ( وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ أَلَمْ تَرَأَهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَجِئُونَ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ ) ولهذا لم يَكُفَّ شعراء المسلمين عن قوله فيما يُطابق رُوحَ القرآن : كالحث على العمل الصالح ، والموعظة الحسنة ، ومدح الرسول وأنصاره ، والاتصاف للإسلام ممن ظلمه واعتدى عليه بهجاء أهله وذم نبيهم ، مقابلاً هَجْوَهُم بهجواً كان أشدَّ عليهم من وقع السِّهَام في غَبَشِ الظلام

وليث الحال على ذلك مدة حياة النبي الكريم ، حتى إذا ما ثاروا لاسكان قُتُن أهل الرِّدة وفتح الممالك والأمصار ، أضافوا الى ما ألفوه من أغراض الشعر ، الإكثار من التباهي بالنصر ، ووصف الممارك وأحوال الحصار وآلات القتال ، وما استعمل فيها من الأدوات العجيبة ، وما شاهدوه من الحيوانات الفرية ، وغنم الغنائم ، ومقاساة أحوال الحر والبرد ، مما امتلأت به كتب الفتوح والمغازي وأخبار على ومعاوية

ولآل الأمر الى بنى أمية وشَغَبَ<sup>(١)</sup> عليهم كثير من فِرَق المسلمين : كالشيعية الشعر والسياسة والخوارج وأتباع عبد الله بن الزبير<sup>(٢)</sup> ، والمختار<sup>(٣)</sup> وغيرهم ، أصبح الشعر لساناً يعبر عن مقاصد كل حزب ، والقومُ عرب ، الشعرُ أسيرُ الأقوالِ عندهم ، وأيسرُ الوسائل لإغلاء شأنهم ، وإعلان أمرهم

( ١ ) شغبهم وبهم وعظيم كُتِبَ وفتح هجج الشعر عليهم  
( ٢ ) أول من ولد من المهاجرين بعد الهجرة ، وروج له بالخلافة بمكة سنة ٦٤ بعد وفاة يزيد بن معاوية واستمر تسع سنين واجتمعت له العراق واليمن والحجاز ومصر وكاد يتم له الامر ثم قتله الحجاج في مكة سنة ٧٣ هـ ( ٣ ) أحد الخوارج الذين خرجوا بالكوفة طالبيين بدم الحسين ونبه خلق كثير قاتل كثيراً من قتلته ثم قتله مصعب بن الزبير بالكوفة سنة ٩٧ هـ

وكان خلفاء بني أمية في اجتذاب الشعراء اليهم وتخييمهم فيهم همه لا تأتي ،  
وعزيمته لا تقل فأغدقوا عليهم جزيل المطايا ، وفرصوا لهم الأرزاق في بيوت  
الأموال ، وأكرموا وفادتهم ، وقبلوا شفاعتهم ، وبثوا فيهم روح التسابق الى أبوابهم  
والتنافس في جلب مرضاتهم ، وقصر أشعارهم عليهم دون غيرهم ، بل دون ولاتهم  
ورؤسائهم ، وتبعهم في ذلك عمالهم وولاتهم

ولم يقف خلفاء بني أمية عند هذا الحد ، بل بالتوا في أكرام بعض الشعراء دون  
بعض ، ليعم الشقاق بينهم ، وتبعهم في ذلك قبائلهم ، فليهرم بذلك عن مناوئتهم  
ومراقبة أعمالهم ، ويستتبع ذلك اشتغال طبقة المتعلمين والمتأدبين بالأخذ عنهم ،  
والبحث في أقوالهم ، والتعصب لشاعر دون شاعر ، ونحو ذلك مما يُعدهم عن  
الحوض في السياسة وأمر الملك ، وبذلك عاد الشعر الى ما كان عليه ، ونبيغ فيه الشعراء  
من كل القبائل حتى قريش التي لم يكن لها شأن فيه من قبل

واستعمل في كل أغراضه السابقة اللهم إلا ما كان من وصف الخمر والترغيب فيها  
فان جمهور شعراء المسلمين نزهوا شعرهم عنها . وانما أول من وصفها منهم وجعلها  
كده وقصده هو أبو الهندي من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية كما صرح بذلك  
صاحب الأغاني ، والأما ما كان من العصبية القديمة ، فان الشيعة ودعاة بني العباس  
أثاروا عجاجها<sup>(١)</sup> وأتملوا نيرانها أواخر الدولة الأموية على يد الكميث واتباعه

الشعراء والخمر  
والعصبية

وقصارى القول ان الشعر أصبح حرفة عديدة ، وصناعة جديدة ، ومورد ثروة لكثير  
من البيوت والعشائر ، وأصبحت دراسته وقده وروايته دأب العلماء والأدباء حتى  
الخلفاء وأولياء عهودهم ، إذ لم يكونوا أقل من هؤلاء عناية وحرصا على تعلمه  
ويمكن وصف ما كان عليه الشعر في هذا العصر من حيث أغراضه ومعانيه وتصوراتاته  
وعباراته بما يأتي :

### أغراضه وقنونه

(١) نشر عقائد الدين وحكمه ووصاياه والحث على اتباعه وخاصة زمن النبي وخلفائه الراشدين

(٢) التحريض على القتال والترغيب في نيل الشهادة رفقا لكلمة الله وذلك في أزمان غزوات النبي وفتح الأمصار

(٣) الهجاء - وكان أولاً في سبيل الدفاع عن الاسلام بهجو مشركي العرب بما لا يخرج عن حد المروءة ، وبما رضىه النبي من حسان شاعره في هجاء قريش وعشيرة النبي من بني عبد مناف . وكان يتحرج عنه المسلمون ولو بالترغيب زمن النبي وخلفائه ؛ ولذلك عاقب عمر أمير المؤمنين الخطيبه وهدد بقطع لسانه لنيله من بعض المسلمين ، ثم صار يتساهل في خطبه حتى أصبح الشعراء يهجون أنفسهم<sup>(١)</sup> ويسب بعضهم قبائل بعض أمام خلفاء بني أمية بل يرضاهم وبغرائهم للأسباب السياسية التي ذكرناها قبل ، حتى كان الهجاء غاية براعة الشاعر<sup>(٢)</sup> وإن لم يصل في الإقناع<sup>(٣)</sup> والفحش الى الحد الذي وصل اليه في العصر الآتي - ومن ذلك التهاجي المشهور بين جرير والفوزدق والأخطل

(٤) وصف القتال وحصار المدن وفتحها وغير ذلك مما سبق ذكره آنفاً

(٥) المدح - وقلما كان مبدأ الاسلام في غير النبي من حيث الاعتداء بهديه ونشر الحق على يديه . وكان خلفاؤه يأفون مدحهم بما تزهى به قوسهم ورثعاً ونواضعاً ثم استرسل الشعراء فيه وقيل ذلك منهم الخلفاء الى أن كان المدح من أهم المعتمدين لتوطيد أركان الدولة ، وتضخيم مقام الخلفاء ، والولاء والإشادة<sup>(٤)</sup> بهنظمتهم ، فكان إذ ذاك بمثابة الصحف المعطى المشايبة للحكومات أو لأحد زعماء الأحزاب في زماننا

(١) من هجا نفسه الخطيب بقوله

(أرى لي وجهاً شوه الله خلقه قبيح من وجه وقبح حاله )

(٢) قال الأصمعي إنما وضع من ذى الرنة أنه لا يحسن أن يهجو ولا أن يمدح

(٣) قلده كتمه رماه بالفحش وسوء القول كأقلده (٤) أشاد بذكره شهره ومدحه

(٦) استعماله في التسيب والفرل العفيف بما يخالف مسلك أهل الجاهلية فيه ،  
وأكثر ما كان ذلك في أهل البدو وبين العشاق منهم

### معانيه وأخيلته

لم يخرج شعراء هذا العصر في جملة تصورهم وتخييلهم عما ألفوه زمن الجاهلية ، وإن  
فاقوهم كثيراً في ترتيب الفكر وتقريب المعنى إلى الأذهان والوجدان ، بما هذب  
نفوسهم ورقق طباعهم من دراسة كتاب الله وحديث رسول الله ، وهما من المعاني  
والحكمة ماها ، وبما نوع خيالهم وأنسى ما رُفهم : من مشاهد الحضارة وبدائع الصناعات  
غير أننا لا نجد في شعرهم من المبالغة والتمويل والتعقيد في المعاني العقلية المسرة  
الادراك ما نجد لأهل العصر التالي ، لاشتغال القوم بالفتوح والمغازي وتأسيس  
الحضارة والمُمران

### ألفاظه وأساليبه

وكذلك لم يخرجوا جملة في هيئة تأليف اللفظ ونسجه وبنائه أسلوبه عن نظائرها  
في الجاهلية ، وإنما آثروا جَزالة اللفظ وفخامته وحسن جَرسه ونغمته ، ووالفته لسايقه  
ولاحقه دون غرابته وحوشيته وتوافره مع قرينه ، كما آثروا جودة الأسلوب وبنائه  
وروعة تأثيره ، ولا سيما أهل التسيب <sup>(٧)</sup>

وربما انطبق كل هذا الوصف على القصيد دون الرجز إذ كانت الغرابة كأنها من  
ألزم طبائعه . ولا شك أن جل التأثير في تزيين حاشية عبارة الشعر العربي يرجع إلى  
حفظ القرآن والحديث ودراستهما كما قدمنا

### أوزانه وقوافيه

لم يطرأ على أوزان الشعر العربي حَدَثٌ غيرُ ما عُرِفَ عنه في الجاهلية ، وإنما شاع

(١) مثل عمر بن أبي ربيعة وجبل بئنة وكثير مرة



في هذا العصر نظم الأراجيز والتطويل فيها ، واستعملها في جميع أغراض القصيد ، حتى في افتتاحها بالنسب والتخلص منه الى المدح والذم ونحو ذلك

### الشعراء

شعراء هذا العصر من خلّصت عربيتهم ، واستقامت ألسنتهم ، ولم يمتد إليهم الالحن ولقد زادتهم مدارس القرآن الكريم فصاحةً وبلاغةً ، وإحكاماً واثقاً ، حتى فضاهم بعض الرواة على سابقهم من الجاهليين ، ولذلك لم ير العلماء بداً من الاحتجاج بشعرهم ، بل بشعر المخضرمين من أدرك الدولتين الأموية والعباسية كابن هرمة<sup>(١)</sup> وبشار ومن أشهر شعراء هذا العصر كعب بن زهير ، والحنساء ، والحطيئة ، وحسان ابن ثابت ، والناطقة الجملية ، وعمر بن أبي ربيعة ، والأخطل ، والفرزدق ، وجبرير ، والكُميت ، وجميل ، وكثير ، ونصيب ، والراعي ، وذو الرمة

### ١ - كعب بن زهير

هو كعب بن زهير بن أبي سلمى أحد فحول المخضرمين ، ومادح النبي الأمين ، وصاحب « بانت سعاد »

وهو ابن زهير صاحب المعلقة ، قال الشعر في حداثة فكان والده ينهيه مخافة أن يقول ما لا خير فيه فيروى عنه فلم ينته ، فأداه فلم يرتدع ، فامتنع امتحاناً شديداً فكان يقول على البديهة ما يجب زهير ، فأجازه له فضى ونفع فيه حتى كان من فحول عصره

ولما ظهر الاسلام ذهب أخوه بجبّر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأسلم ، ففضب كعب لاسلامه ، ونهاه عن الاسلام وهجاء رسول الله وأصحابه ، فتوعده النبي صلى الله عليه وسلم وأهدر دمه فحذره أخوه العاقبة إلا أن يجيء الى النبي مسلماً

(١) هو أبو أسحق ابراهيم آخر الشعراء الذين يمتنع بشعرهم وكان مولداً بالفراب منقطعا لطلاليتين ، تولى في خلافة الرشيد حوالي سنة ١٥٠

ثانياً. فها م كعب يترامى على التبانل أن تُجبره فلم يُجره أحد، وأرجف الناس أنه مقتول لا محالة. فلما ضاقت الأرض في وجهه جاء أبا بكر رضى الله عنه بالمدينة وتوسل به الى الرسول فأقبل به عليه فمأذ به وآمن، وأنشده قصيدته المشهورة يمدحه بها وهي من جيد شعره، ومطلها :

بانت<sup>(١)</sup> سعاد قلبي اليوم متبول<sup>(٢)</sup> مقيم<sup>(٣)</sup> إثرها لم يقد مكبول<sup>(٤)</sup>  
فلمع عليه النبي برده فبقيت في أهل يته حتى باعوها لمعاوية بسترين ألف درهم، ثم بيعت للنصور العباسي بأربعين ألفاً، ومات سنة ٢٤ هـ



وصف شعره - كان كعب من الشعراء المجيدين المشهورين بالسبق وعلو الكعب في الشعر، وكان خلف الأحر أحد علماء الشعر يقول لولا قصائد زهير ما فضلت على ابنه كعب، وكفاه فضلاً أن الخطيئة مع ذائع شهرته رجاء أن يتوه به في شعره فقال :

فن للقوافي شأنها من يحوكمها<sup>(٥)</sup> اذا ما مضى كعب وفوز جرول<sup>(٦)</sup>

ومن شعره قوله في قصيدته بانت سعاد :

وقال كل خليل كنت أمأه لا ألينك انى عنك مشغول  
قلت خلوا سبيلي لا أبا لكم فكل ما قدر الرحمن مفعول  
كل ابن أنثى وان طالت سلامته يوماً على آله حذباء<sup>(٧)</sup> محمول  
أنبتت ان رسول الله أوعدنى والعمو عند رسول الله مأمول  
مهلاً هداك الذى أعطاك نافلة<sup>(٨)</sup> قرآن فيها مواعظ وقصيل  
لا تأخذنى بأقوال الوتاة ولم أذنب وقد كثرت فى الأفاويل

(١) فرقت (٢) تله الحب اسقيه وأمناه (٣) مُميد ومذل (٤) مقيد  
(٥) غال ضد زان، وحك الثوب نسجه والقصيدة نظمها (٦) فوز مات وجرول اسم  
الخطيئة الشاعر (٧) يريد النفس، وقيل الآفة الحاة، والحذاء الصبة الشديدة  
(٨) كل عطية تبرع بها مطلقاً

ومن قوله :

لو كنتُ أعجبُ من شيءٍ لأعجبني سعى الفتي وهو مخبوء له القدر  
يسعى الفتي لأمرٍ ليس يُذكرها والنفسُ واجدة والهمُّ منتشر  
قلزم ما عاش ممدود له أملٌ لا ينتهي العمر<sup>(١)</sup> حتى ينتهي الأثر<sup>(٢)</sup>

ومن قوله أيضاً :

ان كنتَ لا ترهبَ ذنبي لما تعرف من صفحي عن الجاهل  
فاخشَ سكوتي اذ أنا منصتٌ فيك لستموع خا<sup>(٣)</sup> القاتل  
فالسامع النمر شريكٌ له ومطعمُ المأكول كالأكل  
مقالة الشؤء الى أهلبا أسرع من منحدر سائل  
ومن دعا الناس الى ذمِّه ذمُّه بالحق وبالباطل

## الخنساء

هي السيدة ثُمَايِرُ الخنساء بنت عمرو بن الشريد السُلَيْمِيَّة ، أرقى شواعر العرب وأحزن من بكى وندب .

كان أبوها عمرو وأخوها : معاوية وصخر سادات بني سُلَيْم من مضر ، وكانت هي من أجل نساء زمانها ، فخطبها دُرَيْد بن الصِّمَّة فارس جُشَم ، فوعدت عنه ، وآثرت التزويج في قومها فتزوجت منهم

وكانت تقول المقطعات من الشعر ، فلما قُتل شقيقها معاوية ثم أخوها لأبيها صخر ، جزعت عليهما جزعاً شديداً ، وبكتهما بكاءً مرّاً ، وكان أشدَّ وجدها على صخر : لأنه شاطرهما هي وزوجها أمواله ، راراً ، فهاج حزنها الشعر في نفسها ، فقالت المراثي المطوّلات ، وفاقت النساء والرجال فيها ، وأطالت عليهما البكاء والعويل حتى تقرّحت مآقيها ، وحتى ضرب بها المثل في الحزن والبكاء وكثرة الرثاء ، وجاء

( ١ ) الحياة ( ٢ ) الأثر الأجل وسمي به لأنه يآثر المر ويبيته ( ٣ ) الخش

الإسلام فوفدت مع قومها على النبي صلى الله عليه وسلم وأسلمت، وكان يُعجبه شعرها ويستشدها، ويقول هيو يا خُناسُ، ويؤوي يده وما فُتتْ تبكي صخراً قبل الإسلام وبهده حتى عميت، وقيتْ إلى أن شهدت حرب القادسية<sup>(١)</sup> مع أولادها الأربعة، فأوصتهم وصيتها المشهورة، وحضتهم على الصبر عند الزحف فقتلوا جميعاً، فقالت: الحمد لله الذي شرفني بقتلهم! ولم تحزن عليهم حزناً على أخويها. وتوفيت سنة ٢٤ هـ

شعرها - أغلب علماء الشعر على أنه لم تكن امرأة قبل الخنساء ولا بعدها أشعر منها، ومن فضل لي الأخيلية عليها لم ينكر أنها أرثى النساء، وكان بشار يقول لم تقل امرأة شعراً الاظهر الضعف فيه، قليل له وكذلك الخنساء، فقال تلك غلبت الفحول ولم يكن شأنها عند شعراء الجاهلية أقل منه عند شعراء الإسلام، فذلك النابغة الذبياني يقول لها وقد أنشدته بسوق عكاظ قصيدتها التي مطلعها:

قَدَى بَيْنِيكَ أُمُّ بِالْعَيْنِ عَوَّارٌ<sup>(٢)</sup> أُمُّ دُرَّةٍ<sup>(٣)</sup> أَذْخَلَتْ مِنْ أَهْلِهَا النَّارَ  
لَوْلَا أَنَّ أَبَا بَصِيرٍ (يَعْنِي الْأَعْنَى) أَنْشَدَنِي قَبْلَكَ لَقَلْتُ إِنَّكَ أَشْعَرُ مِنَ السُّوقِ .

وصف شعرها ولشعر الخنساء رنين في السمع، وهزة في القلب، ووقع في النفس؛ لأنه صادر عن فؤاد محزون، وما خرج من القلب حل في القلب. وكان فوق ذلك لِينُ اللفظ، سهل الأسلوب، حسن الديباجة

وسئل جرير من أشعر الناس قال أنا ولولا الخنساء، قيل فيمَ فضلتك قال بقولها  
إِنَّ الزَّمَانَ ( وَمَا يَفْنَى لَهُ عَجَبٌ ) أَبْقَى لَنَا ذُبَابًا وَاسْتَوْصِلَ الرَّاسُ  
لِإِنِّ الْجَدِيدِينَ<sup>(٤)</sup> فِي طَوْلِ اخْتِلَافِهِمَا لَا يَسُدُّانَ وَلَكِنْ يَسُدُّ النَّاسُ  
ومن جيد شعرها ترى أخاها صخراً:

أَعْيَى جُودًا وَلَا تَجْمَدَا أَلَا تَبْكِيَانِ لَصَخْرِ النَّدَى

بلدة من شعرها

( ١ ) واقعة عظيمة كانت بين العرب والفرس في السنة الخامسة عشرة من الهجرة، انتصر فيها المسلمون تحت قيادة سعد بن أبي وقاص انتصاراً باهرًا  
( ٢ ) مرض ( ٣ ) قطرت ( ٤ ) الليل والتهار

أَلَا تَبْكِيَانِ الْجُرَى الْجِيلِ      أَلَا تَبْكِيَانِ الْفَتَى السَّيْدَا  
 رَفِيعٌ <sup>(١)</sup> الْعَادِ طَوِيلَ النَّجَا <sup>(٢)</sup>      د سَادَ عَشِيرَتَهُ أَمْرَدَا  
 إِذَا الْقَوْمُ مَدَّوْا بِأَيْدِيهِمْ      إِلَى الْمَجْدِ مَدَّ إِلَيْهِ يَدَا  
 فَتَالِ الْفَتَى فَوْقَ أَيْدِيهِمْ      مِنَ الْمَجْدِ ثُمَّ انْتَهَى <sup>(٣)</sup> مُصْعِدَا <sup>(٤)</sup>  
 يُحْمَلُهُ الْقَوْمُ مَا عَلِمَ <sup>(٥)</sup>      وَإِنْ كَانَ أَصْفَرَهُمْ مَوْلَدَا  
 وَإِنْ ذُكِرَ الْمَجْدُ أَلْفَيْتَهُ      تَأَزَّرَ بِالْمَجْدِ ثُمَّ ارْتَدَى

وَمِنْ قَصِيدَتِهَا الَّتِي قَدَّمَ مَطْلَعُهَا :

وَلَمَّا صَخْرَا لَكَافِنَا وَسَيْدُنَا      وَإِنْ صَخْرَا إِذَا نَشْتُو لِنَحَارِ  
 أَعْرُ <sup>(٦)</sup> أَبْلُجُ <sup>(٧)</sup> تَأْتِمُ الْهَدَاةُ بِهِ      كَأَنَّهُ عَلَّمَ <sup>(٨)</sup> فِي رَأْسِهِ نَارِ  
 حِمَالُ الْأَوِيَّةِ ، هَبَاطُ أَوْدِيَةِ      شَهَادُ أَنْدِيَةِ ، لِلْجَيْشِ جَرَّارِ

وَمِنْ قَوْلِهَا تَرْثِيهِ أَيْضًا :

أَلَا يَا صَخْرُ إِنْ أَبْكَيْتَ عَيْنِي      قَدْ أَضْحَكْتَنِي زَمَنًا طَوِيلَا  
 دَفَعْتُ بِكَ الْخَطُوبَ وَأَنْتَ حَيٌّ      فَمَنْ ذَا يَدْفَعُ الْخَطْبُ <sup>(٩)</sup> الْجَلِيلَا  
 إِذَا قُبِحَ الْبَكَاءُ عَلَى قَبِيلِ      رَأَيْتُ بِكَاءِكَ الْحَسَنَ الْجَلِيلَا

وَمِنْ يَدِيعِ قَوْلِهَا :

يَذْكُرُنِي طُلُوعُ الشَّمْسِ صَخْرَا      وَأَذْكُرُهُ الْكُلَّ غُرُوبِ شَمْسِ <sup>(١٠)</sup>  
 فَلَوْلَا كَثْرَةُ الْبَاكِينَ حَوْلِي      عَلَى إِخْوَانِهِمْ لَقَتَلْتُ قَفْسِي  
 وَلَكِنْ لَا أَزَالُ أَرَى عَجُولا <sup>(١١)</sup>      وَنَائِمَةً تَنُوحُ لِيَوْمِ نَفْسِي  
 هِيَ كَلَامُهَا تَبْكِي أَخْلَاهَا      عَشِيَّةَ رُزْنِهِ أَوْ غَيْبِ أَمْسِي

(١) مَنْزِلُهُ مَعْلَمُ زُرَّارِهِ (٢) حَمَامَةُ السَّيْفِ تَرِيدُ طُولَ قَامَتِهِ (٣) أَجْدَا

(٤) عَلِيًّا ، أَيْ قَاتِلَهُمْ وَأَرْبَى عَلَيْهِمْ (٥) أَحْوَزَهُمْ وَدَقَّ عَلَيْهِمْ

(٦) مَشْهُورٌ (٧) وَاضِحٌ (٨) جَيْلٌ (٩) الْأَمْرُ الشَّدِيدُ يَنْزِلُ

(١٠) يَعْنِي أَنَّهَا تَذْكُرُهُ أَوَّلَ الْتَهَارُ لِلنَّارَةِ وَآخِرَهُ لِلْأَضْيَافِ (١١) السَّجُودُ لِلْمَرْأَةِ الشَّكْلِي

وما يَكِينُ مثل أخى ولكن أُسَلِّى النفس عنه - بالناسى<sup>(١)</sup>  
 قد ودَّعت يوم فراق صخر أبى حسان<sup>(٢)</sup> لذَّاتى وأنسى  
 فإلهنى عليه ولَهْفَ أُمى أبيضُبح فى الضريح وفيه يُمسى

### ٣ - الخطيئة

هو أبو مليكة جَزَوَلُ الخطيئة العيسى الشاعر المشهور ، أحد كبار المهجائين  
 والمذَّاحين المجيدين ، وكانت أمه فى بيت رجل من عبس فجاءت منه بالخطيئة ،  
 ولكن نسبهُ لم يثبت صريحاً منه ، ولذلك نشأ معلول النسب ، وضع الشرف ، حاقداً  
 على أمه وأبيه متبرماً بالناس<sup>(٣)</sup> فلم يشف غلته من الجميع الا بتعلمه الشعر وهجائهم جميعاً  
 فهجأ أمه وأباه وذوى قرابته وقومه ، بل هجأ نفسه ؛ ونشأ كما قال الأصمى جَسِماً ،  
 سوولاً ، ملحقاً ، دنى النفس ، كثير الشر ، قليل الخير ، بخيلاً ، قبيح المنظر ،  
 رث الهيئة ، مغموز النسب ، فاسد الدين . وعاش الخطيئة مدة فى الجاهلية وجاء  
 الاسلام فأسلم ، ولم يكن له صحبة برسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم عاش متنفلاً فى  
 القبائل يمدح هذه تارة ويذم تلك أخرى ، وينسب الى عبس طوراً وطوراً الى  
 ذهل ، ويهجو اليوم من يمدحه بالأمس ، وكل قبيلة تخطب وُدَّه وتثقى شر لسانه

وقد هجأ الزبرقان بن بدر صاحب رسول الله وطامل عمر بن الخطاب على  
 الصدقات ، وكان قد أنزل الخطيئة بجواره وأحسن اليه فاستماله ببيض أحد بنى أنف  
 الناقة وأنزله عنده ، فمدحه وقومه بالشعر الكثير ، ورفع عنهم عار اسمهم ببيت المشهور وهو  
 قوم همُ الأنف والأذنان غيرهمُ ومن يسوى بأنف الناقة الذنبا  
 وحمله ببيض على ذم الزبرقان فذمه ، فاستمدى عليه الزبرقان أمير المؤمنين عمر  
 ابن الخطاب فحبس الخطيئة ، فما زال يستشفع اليه بالناس وقول الشعر حتى أطلقه

( ١ ) الاقتداء ( ٢ ) كنية صخر

( ٣ ) أى لتعديدهم الشرف بمحدود وضموها

وهذه قطع لسانه إن هجا أحداً ، واشترى منه أعراض المسلمين بثلاثة آلاف درهم ولكنه نكث وأوغل في الهجاء بعد موت عمر ، وبقي كذلك حتى مات وأثّل خلافة معاوية

شعره - لولا ما وصم به الخطيئة من خسة النفس ودناءة الخلق وجهالة النسب ورقة الدين والفدر والبخل الشديد والاساءة الى من أحسن اليه وسؤاله الرّاع والسوقة طمعاً في جمع المال من أى سبيل ، لكان باجاده في كل ضرب من ضروب الشعر شاعر الخضرمين على الاطلاق ، الا أنه لم يقف ببراعته وفصاحته موقفاً لله ولا للشرف ، ولا للفتوة والمروءة - ومن الغريب أنه تخرج على زُهير في النصيحة والإجادة في المدح وتعلم الشعر والمبالغة في تمجيده وإحكامه بملازمته إياه وروايته عنه ، ولم يقتبس عنه حكيمته وعفته وحسن خلقه ، وقلما يُوجد في كلام الخطيئة مَظنة ضعف أو وصف شعره مَنزَعٌ لغامز : من ركافة لفظ ، أو غصاضة معنى ، أو اضطراب قافية

ومن مدحه الذي لا يلحق له فيه غبار قوله :

يسوسون أحلاماً<sup>(١)</sup> بعيداً أناؤها<sup>(٢)</sup> وإن غصبيوا جاء الخفيضة<sup>(٣)</sup> والجبد  
أقلوا عليهم ( لا أبا لأبيكم ) من اللوم أو سلوا المكان الذي سدلوا  
أولئك قوم ان بنوا أحسنوا النبا وان عاهدوا أوفوا وان عقدوا شدوا<sup>(٤)</sup>  
وان كانت النماء فيهم جزوا بها وان أنصوا لا كدروها ولا كدوا<sup>(٥)</sup>  
مطاعين في الهيجا مكاشيف للثغرى بنى لهم آباؤهم وبني الجبد  
ويعدلنى أبنائه سعد عليهم وما قلت إلا بالذى علمت سعد

ومن آياته التي استعطف بها أمير المؤمنين عمر ، وهو في سجنه قوله :

ماذا تقول لأفراخ بنى مَرخ<sup>(٦)</sup> زُغيب<sup>(٧)</sup> الخواصل لآماء ولا شجر  
ألقيت كاسهم في قمر مظلمة فاعفر عليك سلام الله يا عمر  
أنت الأمين الذي من يمد صاحبه ألقى اليك مقاليد النّهى البشر  
لم يؤثروك بها إذ قدّموك لها لكن لأفهمهم كانت بك الخير

(١) عقولا (٢) حلها أى بعيدة الغضب (٣) الغضب (٤) ونهوا  
(٥) انصوا من اعطوهم بالإن والاذى (٦) واد بالهजार (٧) الزغيب اول  
ما يبدو من الشعر والريش

ومن قوله يمدح بَيْضَ بْنِ لَأَى :

تَزُودُ (١) امراً يُؤْتِي عَلَى الْحَمْدِ مَالَهُ      ومن يُوْتِ أَمَانَ الْمُحَامِدِ يُحْمَدُ  
يَرَى الْبِخْلَ لَا يُقْبَى عَلَى الْمَرْءِ مَالَهُ      وَيَعْلَمُ أَنَّ الْبِخْلَ غَيْرُ مُخْلَدٍ  
كَسُوبٍ وَمِثْلَافٍ إِذَا مَا سَأَلْتَهُ      تَهَلَّلَ فَاهْتَزَّ اهْتَزَّازَ الْمُهَنْدُ  
مَتَى تَأْتِيهِ تَعْشُو (٢) إِلَى ضَوْءِ نَارِهِ      تَجِدُ خَيْرَ نَارٍ عِنْدَهَا خَيْرُ مُوقِدٍ

ومن آياته التي يَرْضَى فيها بهجو الزبير بن عوف :

دَعِ الْمَكَارِمَ لَا تَرْحَلْ لِبَيْتِنَا      وَاقْعُدْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الطَّاعِمُ الْكَاسِي  
ومنها :

من يفعل الخير لا يعدم جَوازِيَهُ (٣)      لَا يَذْهَبُ الْعُرْفُ بَيْنَ اللَّهِ وَالنَّاسِ  
ويستغرب منه قوله :

وَقَوَى اللَّهُ خَيْرُ الزَّادِ دُخْرًا      وَعِنْدَ اللَّهِ لِلْأُنْقَى مَزِيدُ  
وما لا بدَّ أن يأتي قريب      وَلَكِنَّ الَّذِي يَمْضَى بَعِيدُ

#### ٤ - حسان بن ثابت

هو أبو الوليد حسان بن ثابت الانصاري شاعرُ رسول الله وأشعر أهل المَدَن،  
وغُل شعراء المخضرمين . وهو من بني النجار من أهل المدينة  
نشأ في الجاهلية ونَبِهَ شأنه فيها إذ أدرك من فحولها فلم يُقَصِّرْ عن اللحاق بهم .  
بل بَدَأَ (٤) الكثير منهم . وكان يمدح الملوك والمناذرة والغساسنة في الجاهلية ، ويرحل  
اليهم فينال منهم جزيل العطايا ، وأكثر من كان يمدحهم ويكثر انتجاعهم آلُ  
جَنَّةٍ من ملوك غسان لما بين أهل يثرب (٥) والغساسنة من صلة النسب وقرب الجوار ،  
فكان له من جوائزهم مدد لا ينقطع ، حتى ناله منهم شيء بعد أن أسلم وتنصروا  
ولا هاجر النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة وأسلم الانصار ، أسلم همهم ودافع

( ١ ) الغدير يود على الناقة ( ٢ ) قصد ( ٣ ) جمع جازية أو جزا

( ٤ ) فاق وظف ( ٥ ) المدينة المنورة



عنه بلسانه كما دافع عنه قومه الأنصارُ بسيوخهم، فكان لقوله من التَّكَايَةِ في فريش  
وأعداء النبي أحسنُ بلاء. وأحد أثر  
وعاش حسان بعد رسول الله مُحبِّباً الى خلفائه مرضياً عنه، يفرض له العلماء  
الكافي من بيت المال. وعُمرَ قريباً من ١٢٠ سنة. وبقي أكثر حياته ممتعاً بمجواسه  
وعقله، ووهن في أواخر عمره وكفَّ بصره، ومات في خلافة معاوية سنة ٥٤ هـ.

\*\*\*

شعره - كان حسان شاعر أهل المدر في الجاهلية، وشاعر الجيانية في الاسلام، ولم  
يكن في أصحاب رسول الله ولا في أعدائه عند دعوته الى الله أشعر منه، ولذلك روى  
مشرقي فريش من لسانه بالجاهلية التي لم يكن لهم قبلُ بها، فأوجهم وأخرسهم من  
غير فحش ولا هُجر، ولما أذن له النبي في هجائهم، قال له كيف تهجوم وأنا منهم قال:  
أسلكتُ منهم كما تُسل الشعر من العجين. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينصب  
له منبراً بالمسجد ويسمعُ هجاءه في أعدائه ويقول (أجب عني اللهم أيده بروح  
القدس) وكان في شعر حسان زمن الجاهلية شدةً وغرابةً لفظ ووعورةً مسلكاً،  
فلما أسلم وسمع القرآن ووطئه وكثر ارتجاله الشعر كثرة الحوادث التي تستدعي ذلك،  
لأن شعره وسهل أسلوبه، ودُمَّت معانيه، حتى ظن بعض أئمة الشعر أن شعره في  
الإسلام أضعف منه في الجاهلية، محتجاً بأن الشعر لا يقوى إلا في باب الشر الذي  
يحظره الاسلام، وربما كان لتعليله هذا وكبر من حسان وارتجاله أثر في بعض شعره  
ويغلب على شعره بعد المدح والهجاء الفخر بنفسه وقومه

ومن شعره في الجاهلية:

نموذج  
من شعره

ولقد قُلِدْنَا العشيَّ أمرها	ونسود يومَ التائباتِ ونَمَلُ
ونسود سيدنا ججاج <sup>(١)</sup> سادة	ويُصيب قائلنا سواء المَفْصِل <sup>(٢)</sup>
ونُكَاوِل الأمر الموم خطابة	فيهم وفصل كل أمر مَفْصِل
وترود أبواب الملوكة ركابنا	ومتى نُحكِّم في البرية تَمَلِيل

(١) سيد ججاج مسارح في المكارم  
عقبت من الجسد، أي يصيب شاكلة السواب

(٢) سواء وسطاً، والمفصل كسجد كل ملتقى

ومن شعره في الاسلام ياخر وفد تميم بقوم رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 إن الثواب<sup>(١)</sup> من غير<sup>(٢)</sup> وإخوتهم قد يتنوا سنكاً للناس تلتج  
 يرضى بها كل من كانت سريره قوى الإله وبالأمير الذي شرعوا  
 قوم إذا حاربوا ضرّوا عدوهم أو حاولوا النفع في أشياهم<sup>(٣)</sup> ففعوا  
 محبة تلك فيهم غير محدثة ان الخلاق<sup>(٤)</sup> (فاعلم) شرها البدع<sup>(٥)</sup>  
 لا يرفع<sup>(٦)</sup> الناس ما أوهت<sup>(٧)</sup> أكفهم عند الدفاع ولا يوهون ما رفقوا  
 ان كان في الناس سباقون بعدهم فكل سبق لأدنى سبقهم تبع  
 أفعّة ذكرت في الوسخ عفتهم لا يطمعون ولا يزري بهم طمع  
 لا يفرّون إذا نالوا<sup>(٨)</sup> عدوهم وان أصيبوا فلا خور<sup>(٩)</sup> ولا جزع  
 ومن آياته السائرة قوله :

ولإن امرأ يئس ويصيح سالماً من الناس إلا ما جنى لسعيد<sup>(١٠)</sup>  
 وقوله :

رُبَّ حلم أضعه عدم المال وجهل غطى عليه النعم  
 وقوله :

قلو كان محمد يُخلد الدهر واحداً من الناس أتى مجده الدهر طليعاً<sup>(١١)</sup>

## ٥ - النابغة الجعدي

هو أبو ليلى حسان بن قيس بن عبد الله الجعدي العامري، أحد القدماء المعمرين  
 والشعراء المخضرمين، ووصّاف الخيل المشهورين

- (١) السادة (٢) قبيلة من قريش  
 (٣) ابتاعهم وأضارهم (٤) جمع خليفة وهي الطيبة (٥) المتحدث من الاخلاق  
 لا ما هو متأصل في النفوس (٦) يصلح (٧) أفسدت وأضعت  
 (٨) غلبوا (٩) ضحك، أي عندهم  
 (١٠) السيد من الناس من سلم من السنتهم وتولاهم ولم يذكره إلا بما فيه  
 (١١) مطعم بن عدى أحد من قام في قرض الصحيفة، مات ولم يسلم وكان قد أجاز النبي حين  
 ختم من الطائف إلى مكة بعد أن دعا تقيلاً إلى الاسلام

منشؤه وحياته :

هو أحد بنى جعدة بن كعب بن ربيعة ، وهو يطن من بنى عامر بن صعصعة من مضر ، عاش زمناً في الجاهلية ، وحضر كثيراً من أيامها ووقاتها ، وقال الشعر في الجاهلية ثم أجبل<sup>(١)</sup> دهرًا ، ثم نبغ في الشعر عند ظهور الاسلام وبعده ، ولذلك سقى النابغة ، وهو ممن فكر في الجاهلية ، وأنكر الحُر وما تفعل بالعقل ، وهجر الأَلام والأوثان ، وذكر دين ابراهيم ، وصام واستغفر ، ووفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنشده قصيدته المشهورة التي يمدح بها ويقول في أولها :

خَلِيلِي عَوْجًا سَاعَةً وَتَهَجَّرَا      وَنُوحًا عَلَى مَا أَحْدَثَ الدَّهْرُ أَوْدَرَا  
فَأَعْجَبَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ ودعاه ، وعاش طويلاً في الاسلام ، فأقام زناً مهاجراً حتى أيام عثمان رضى الله عنه فأحس بضعف في نفسه ، فاستأذن عثمان في الرجوع الى البادية فأذن له ، ثم لما كانت خلافة علي ( رضى الله عنه ) شهد معه وقائع صِمْيْن ، وظاهره بيده ولسانه ، وقال من معاوية وبنى أمية  
وعند ما آلت الخلافة الى معاوية كتب الى مروان أن يأخذ أهل النابغة وماله ، فدخل النابغة على معاوية وعنده مروان فأنشدهما أبيتاً منها :

فَإِنْ تَأْخُذُوا أَهْلِي وَمَالِي بِظَنَّةٍ      فَانِّي لَخَرَّابُ الرِّجَالِ مُخَرَّبُ  
صَبُورٍ عَلَى مَا يَكْرَهُ الْمَرْءُ كُلَّهُ      سِوَى الظُّلْمِ إِنْ أَنْ ظَلَمْتُ سَأَغْضَبُ  
فالتفت معاوية الى مروان ، فقال ما ترى ؟ - قال أرى ألا ترد عليه شيئاً - قال ما أهون والله عليك أن يتججر هذا في غار ثم يقطع عرضي على ثم تأخذه العرب فترويه ، أما والله إن كنت ليمين برويه ، أردد عليه كل شيء أخذته ، ثم كان في شيعة عبد الله بن الزبير حين خروجه على يزيد وروان وعبد الملك ، وجاء ابن الزبير ومدحه فأجزل له العطاء على بجل فيه ، وبعد سنكون الفتن خرج مهاجراً الى الأمصار المفتوحة فمات بأصبهان سنة ٥٨ هـ ، بعد أن عمر على ما قيل مائة وثمانين سنة

شعره - كان النابغة الجعدي شاعراً مطبوعاً في الجاهلية والاسلام ، وهو أول من

( ١ ) اجيل الشاعر صب عليه القول

سبق إلى الكناية في الشعر عن اسم من يقع إلى غيرها ، وتبعه الناس بعد ، قال

أَكْنَفِي بِمِيرَاسِمَا وَقَدْ عَلِمَ اللَّهُ خَفِيَّاتِ كُلِّ مُكْتَمٍ

وكان من يصفون الخيل فلا يلحق لهم في ذلك غبار ، حتى ضرب به المثل ، قال الأصمعي : ثلاثة يصفون الخيل فلا يقارهم أحد : طُفَيْلُ الْغَنَوِيِّ ، وأبو دُوَادِ الْإِيَادِي ، والنابغة الجعدي . وما كان ينتج طريقة زهير والحطيئة واشباههما ممن يبالغون في تهذيب الألفاظ وتفتيح المعاني ، بل كان يلقي القول على عواهنه وكما تهديه إليه بديته ، فتارة يأتي جيداً متيناً ، وتارة يجيء ضعيفاً رديكاً ، وأحياناً يسلك بين ذلك سبيلاً ، حتى قال عنه الأصمعي : عنده مُطَرَفٌ <sup>(١)</sup> بآلاف ، وخِيارٌ <sup>(٢)</sup> يواف <sup>(٣)</sup>

ومع ذلك كله كان مغلباً ، ما هاجى أحداً إلا غلبه : هاجى أوس بن مَرْءَاةٍ ولم يكن أوس مثله ولا قريباً منه في الشعر فغلبه ، وهاجى كعب بن جُمَيْلٍ فغلبه أيضاً ، وهاجى ليلى الأخيلية فغلبته ، وله في الفخر والمجاء والمدح والثناء شعر كثير ، ومن أشرفه ثَمَرٌ من شعره قصيدته التي مدح بها الرسول الكريم وهي :

خَلَيْتُ عَوْجًا <sup>(١)</sup> سَاعَةً وَهَمَجْرًا <sup>(٢)</sup> وَنَوْحًا عَلَى مَا أَحْدَثَ الدَّهْرُ أَوْ ذَرَا  
وَلَا تَجْزَعَا إِنِّ الْحَيَاةَ ذَمِيمَةٌ خَفِيفًا لِرُحُوتِ الْحَوَادِثِ أَوْ قَرَا <sup>(٣)</sup>  
وإِنْ جَاءَ أَمْرٌ لَا تَطْلِقَانِ دَفْعَهُ فَلَا تَجْزَعَا مِمَّا قَضَى اللَّهُ وَأَصْبَرَا  
أَلَمْ تَرَيَا أَنْ الْمَلَامَةَ فَعْمَا قَلِيلٌ إِذَا مَا الشَّيْءُ وَلَّى وَأَدْبَرَا  
تَمِيجَ الْبُكَاءِ وَالنَّدَامَةُ ثُمَّ لَا تَغْيِرُ شَيْئًا غَيْرَ مَا كَانَ قُدِّرَا  
أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ إِذْ جَاءَ بِالْهَدَى وَيَتْلُو كِتَابًا كَالْمَجْرَةِ <sup>(٤)</sup> نِيرَا  
أُقِيمُ عَلَى التَّقْوَى وَأَرْضَى بِفَعْلَهَا وَكُنْتُ مِنَ النَّارِ الْخَوْفَةِ أَحْذَرَا  
ومنها في الفخر :

وَإِنَّا لَقَوْمٌ مَا تَعَوَّدَ خَيْلَانَا إِذَا مَا التَّقِينَا أَنْ نَحْمِدَ وَتَنْفِرَا

( ١ ) رداء من غز مريج ذو اعلام ( ٢ ) ثوب تنطى به المرأة رأسها

( ٣ ) الواقى درهم وأربعة دوايق

( ٤ ) قفا ( ٥ ) سيرا في المجاعة ( شدة الشمس ) ( ٦ ) وفر كوعه وزن أو جلس بوقار

( ٧ ) نجوم كثيرة لا تترك مجرود البصر وإنما ينقشر ضوءها فيرى كأنه بقعة بيضاء

وتنكر يوم الروع<sup>(١)</sup> ألوان خيلنا من الطمن حتى نَحْسَبَ الجَوْنَ أَشْقَرًا<sup>(٢)</sup>  
 بلفظ السماء مجدنا وجدودنا وإنما لترجو فوق ذلك مظهرها  
 ولا خير في حلم إذا لم تكن له بواد<sup>(٣)</sup> تحصى صفوه أن يكدرًا  
 ولا خير في جمل إذا لم يكن له حلیم إذا ما أورد الأمر أصدرًا  
 ولما سمع رسول الله ( بلفظ السماء البيت ) قال له فأين المظهر يا أبا ليلى قال الجنة  
 قال له إن شاء الله ، ولما أتم قصيدته ، قال له الرسول أجدت لا يفضض الله فاك  
 فأتت عليه مائة سنة أو نحوها وما انقضت من فيه سنٌ  
 ومن قوله يرى ابنه محاربًا وأخاه وخوفاً

بدت فعل ذى ود فلما تبعتها تولت وأبقت حاجتي في فؤادها  
 وحلت سواد القلب لا أنا باغيا سواها ولا عن حبها متغايا  
 أتيحت له والهم يختصر<sup>(٤)</sup> الفتى ومن حاجة الإنسان ما ليس لاقيا  
 ومنها :

ألم تلعن أتي رزئت محاربا فالك منه اليوم شيء ولا ليا  
 ومن قبله ما قد رزئت بوجوح وكان ابن أمي والخليل المصافيا  
 فتى كان فيه ما يسر صديقه على أن فيه ما يسوء الأعدايا  
 فتى كلك خيراته غير أنه جواد فما يبقى من المال باقيا

## ٦ - عمر بن أبي ربيعة

هو أبو الخطاب عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة القرشي المخزومي ، أشعر قريش  
 وأرق أصحاب النزل ، وأوصف الشعراء لأحوال النساء  
 ولد بالمدينة ليلة مات عمر بن الخطاب رضوان الله عليه . وكانت أمه نصرانية ،  
 وكان أبوه تاجراً موسراً وعاملاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللخلفاء الثلاثة من

( ١ ) الفزع والمراد الحرب ( ٢ ) الجون من الخيل الأدهم ، والأشقر منها الأحمر

( ٣ ) البادرة ما يندر من حديثك في الغضب من قول أو فعل والجمع بواذر

( ٤ ) اختصر الثبات اخذ طريقاً قصراً ، والشاب مات فتيا

بعله ، فشب في نعيم وترف وقال الشعر صغيراً ، وسلك فيه طريق الغزل ، وَوَصَفَ أحوال النساء وَتَزَاوَرَهُنَّ وَدَاعِبَةً بَعْضُهُنَّ لِبَعْضٍ ، وما يَتَذَنُّ قوله من الكلام ، مما يتوفر الشعر الفحول عن الخوض فيه ، ولذلك لم يحفلوا بشعره وعدوه من هذيان خُلعا المدينة ، فما زال يبالغ الشعر والشعر ينقاد له حتى ملك ناصيته وقبض على زمامه وبز الشعر ، وقال رائيته المشهورة على طريقته المبتكرة ، التي أولها :

أَمِنْ أَكْلِ نَعْمٍ أَنْتَ غَاذٍ فَبُكِرَ غَدَاةً غَدِيٍّ أَمْ رَائِحٌ فَمُحْجِرٌ

والتي قال فيها جرير حين سمعها : ما زال يهذى هذا القرشي حتى قال الشعر

ثم استطار شعره في التشبيب بالنساء : من يعرفها ومن لا يعرفها ، وتعرض للمحصنات المتفتحات من نساء قومه ومن غيرهن ، فوقعن منه في بلاء عظيم ، وصرن يحقن الخروج الى الحج لأنه كان يتقاهن بمكة ويتربح خروجهن للطواف والسعي ويصفهن وهن محرمات . وحلّت عليه رجالات قريش لمكانة نسبه منهم ولتربح توبته وإقلاعه فلما تبادى في أمره وشبه بينات السادات والحلفاء ، غضب عمر بن عبد العزيز ونفاه الى ذهلّك ، وهي جزيرة أمام مدينة مصوّع ، ثم رأى أن يكفر عن سيئاته بالتوبة والجهاد فنزا في البحر فاحترقت السفينة التي كان فيها واحترق هو أيضاً سنة ٩٣ هـ



صورة شعره - كانت العرب تُقرّ لتربش بالتقدم عليها في كل شيء إلا في الشعر حتى كان عمر بن أبي ربيعة فأقرت لها الشعراء به أيضاً ، وكان أكثر الشعراء الاسلاميين يُحجِمُونَ عن التشبيب بالنساء امثالاً لأمر الدين ومحافظةً على الآداب العربية الاسلامية ، وكان أكثر تشبيهم في بكاء الاطلال ومنازل الأحباب ، فلما ظهر عمر سلك في الغزل طريقاً لم يسلكوه : فوصف أحوال النساء في منازلهن وتزاورهن ومحادثتهن ومداعبة بعضهن لبعض وتلاوهم وما يَتَذَنُّ قوله من الكلام والمبارات في أسلوب يفلب عليه القصص ، وحكاية ما شاهده في شعر رقيق ، ولفظ رشيق ، ومعنى أنيق ، وجر الشعر بهذه الطريقة حتى قال فيه جرير وهو من شعراء الغزل : هذا والله الذي ارادته الشعراء فأخطأته وتعلت بوصف الديار ، وكذلك قال الفرزدق . ولسهولة شعره

عمر وقرب فهمه من جميع الطبقات وشدة تأثيره في قلوب الخلق وأهل اللهو أولع به  
المغنون والمغنيات من القيان والموالى انشاداً وتلحيناً ، ولذلك قال فيه بعض متورعي  
الأنصار ما عصى الله بشئ كما عصى بشعر ابن أبي ربيعة . ومن قوله البيتان المشهوران

ليت هنداً أنجزتنا ما تعدد      وشفقت أنفسنا مما نجد  
واستبدت مرة واحدة      انما العاجز من لا يستبد

ومن قوله وقد كتب به الى الثريا

كتبْتُ اليكَ من بلدى      كتابَ مولٍ ككمد  
كثيب وأكيف المينين      بالحسرات منفرد  
يؤرقه <sup>(١)</sup> لميب الشوق      بين السحر والكبد  
فيُبك قلبه يد يد      ويسح عنه يد

## ٧ - الاخطل

هو أبو مالك غياث الأخطل بن غوث التتلي النصراني ، شاعر الأمويين ، وأمدح  
ثلاثة شعرائهم المقدمين ، والمتفرد بوصف الخردون الاسلاميين

نشأ بين قومه بني تغلب النازلين ببقى الفرات من أرض الجزيرة ، وقال الشعر  
وهو صبي ، وما لبث أن زاحم شاعر تغلب وقتل كعب بن جعيل ، وهاجاه وظهر عليه  
وأخمله . ولما طلب يزيد بن معاوية قبل أن يولي الخلافة من كتب هجاء الأنصار  
ليترضى عبد الرحمن بن حسان بن ثابت الأنصارى لأخته في شعره ، أتى عليه ذلك  
كعب ، وقال أراقت أنت في الشرك ؟ أمهجو قوماً نصرُوا رسول الله صلى الله عليه  
وسلم وآووه ؟ ولكني أدلك على غلام منا نصراني كأن لسانه لسان قور ، لا يبالي  
أن يهجوهم ، فله على الأخطل ، وكأنه كان يريد به الشر لتوقفه أن يفتك به  
الأنصار ، فكان ذلك سبب جدّه ، وظهور شأنه ، فان يزيد بعث اليه وأمره  
بهجائهم ، فهجاهم بقصيدة منها : -

( ١ ) أرقه أسهره والسحر الرقة

ذهبت قريش بالسماحة والتدنى واللؤم تحت عمامة الانتصار  
فدعوا المكارم لسم من أهلها وخذوا مساجيحكم<sup>(١)</sup> بنى التجار  
وبلغ الشعر كبار الانتصار ففضبوا وشكوه الى معاوية فوعدهم بقطع لسانه ،  
فاستجار يزيد ، فما زال بأبيه حتى عفا عنه . ولما ولي يزيد الخلافة قرّبه اليه ، وتابعه  
في ذلك خلفاء بنى أمية ، وبخاصة عبد الملك اذ كان يستعين به على مضر وشمرائها  
لانحيازهم الى أعدائه في السياسة من آل الزبير وغيرهم ، فدحه بمدائح جليلة قلما قال  
نظيرها فيه شاعر من شعراء زمانه ، فقرّبه اليه وأدناه وسمح له بالدخول عليه بلا إذن  
وأجرل له العطايا ، وسماه شاعر الخليفة

سب دخوله  
ل المهاجرة  
بن جرير  
والفرزدق  
ولا حدثت المهاجرة بين جرير والفرزدق وحكم فيهما أيهما أشعر ، عرض  
بتفضيل الفرزدق ، فهجاه جرير ، فردّ عليه الأخطل وكانت الشيوخوخة قد بلغت  
منه فلم يلحق جريراً . وكان الأخطل يقيم أزماناً بدشق ، وأحياناً ببلاد من أرض  
الجزيرة ومات سنة ٩٥ هـ وقد نيف على السبعين

شعره - كان الأخطل أحد الشعراء الثلاثة السابقين سوام من فحول الاسلاميين  
وكان مطبوعاً على الشعر ، بعيداً عن التكاف والتعشّ في ، وامتاز بأجاده المدح  
والإبداع في معانيه والتوزيع في ضروبه ، والتريث فيه ، حتى ربما لبث في بعض  
مدحائه سنة كاملة ، وربما نظمها تسعين ثم يكرّ عليها بالتمحيص والاختيار حتى  
يحذف منها ستين ويقي الثلاثين . كما امتاز لنصرانتيته بوصف الخمر والترغيب فيها  
في حين لم يجرؤ على ذلك شاعر مسلم ، ولم يقصر في الهجاء عن صاحبيه كثيراً .  
وفضلها بقلة التعرض للنعش والبذاءة ، ولكنه كان دونهما في بقية فنون الشعر ،  
فكان بكيتاً<sup>(٢)</sup> في الرثاء : مات يزيد وهو سبب نعمته ، فلم يستطع رثاءه بأكثر  
من أربعة أبيات

وليس للأخطل سوى سبع طولات فاقهما بها . ولذلك لم ير قدماء أهل العلم

(١) سطا الطين نضره والمساءة اداة السعي  
(٢) ناقة بكى . وبكيت قلة الابن والمراد قليل الرثاء



والرواية تسويته بهما لتقصيره عنهما في سائر أبواب الشعر

ومن جيد مدحه في بنى أمية :

خُشد<sup>(١)</sup> على الحق عياف الخنا تُف<sup>(٢)</sup> اذا ألت بهم مكروهه صبروا

شُمس<sup>(٣)</sup> المداوة حتى يستقاد<sup>(٤)</sup> لهم وأعظم الناس أحلامًا اذا قدروا

وقال يلدح بنى أمية ويخص بشر بن مروان :

ان يحملوا عنك فالأحلام<sup>(٥)</sup> شيتهم والموت ساعة يحصى منهم الغضب

كانهم عند ذاك ليس بينهم وبين من حاربوا قرنى ولا نسب

كانوا موالى حق يطلبون به فأدركوه وما ملوا ولا لقبوا<sup>(٦)</sup>

ان يك للحق أسباب<sup>(٧)</sup> يمد بها ففي أكفهم الأرسان<sup>(٨)</sup> والسبب

هم سوا بابين عفان الأمام وهم بدال السماس مروها نبت أحلبوا<sup>(٩)</sup>

ومنها :

اذا أنيت أبا مروان نسائه وجده حاضره الجود والحسب

ترى اليه رفاق<sup>(١٠)</sup> الناس سائقة من كل أوب<sup>(١١)</sup> على أبوابه غضب

يحتضرون سجالا<sup>(١٢)</sup> من فواضله والخير محتضر الأبواب منتهب<sup>(١٣)</sup>

والطعيم الكوم<sup>(١٤)</sup> لا ينفك يفرها اذا تلاقى رواق البيت واللهب<sup>(١٥)</sup>

كان جيرانها في كل منزلة قتلى مجردة الأوصال تستلب<sup>(١٦)</sup>

( ١ ) اذا دعوا الجايوا سرحت ( ٢ ) جمع اتوف مبالغة من اتف بمعنى استنكف

( ٣ ) جمع شمس وهو الرجل الصب الحقيق وشمس الفرس منع ظهره ( ٤ ) استندت

الامير من القاتل فكادنى منه أى كته ( ٥ ) جمع حلم وهو الاناة ( ٦ ) القلب احد الاءاء

( ٧ ) حبال ( ٨ ) جمع وسن وهو الجبل وما كان من زمام على اتف

( ٩ ) القماس الحران — مرى النافة مسح على ضربها لتدر اى هم سوا القفلة بسبب

الاخذ بشار شبلان وبعد أن امتنت عليهم اتقادت لهم وذلك

( ١٠ ) جمع رقة ( ١١ ) نفع ( ١٢ ) السجل الدلو المنظمة الملوذة والجمع سجل

( ١٣ ) بهافت الناس على أبواب الكرام ليعمروا من كرمهم وعطاياهم

( ١٤ ) جمع كوما، وهى النافة الضخمة السنام ( ١٥ ) أى طك نيران القرى حق اتصلت

بالرواق وهو ما بين يدى البيت وذلك كناية عن كرمهم فى وقت الشتاء وقت اشتداد الجل والأزل

( ١٦ ) الجيران جمع حواري والأوصال المفاسل والمعنى ان مفاسلها وعظامها خالية من اللحم

كانها حتى قد سلب ما عليها

ومن أفضل شعره قوله :

والناس همهمُ الحياة ولا أرى طولَ الحياة يزيد غير خيال<sup>(١)</sup>  
وإذا افترت الى الفخار<sup>(٢)</sup> لم تجد ذخراً يكون كصالح الأعمال  
ومن أمثله السائرة قوله :

وان امرأ لا يثنني عن غواية<sup>(٣)</sup> اذا ما اشتتها نفسه للجول

## ٨ - الفرزدق

هو أبو فراس همام بن غالب التميمي الدارمي آخرُ ثلاثة الشعراء الأمويين، وأجزل  
المقدمين في الفخر والمدح والهجاء

ولد سنة ١٩ هـ ونشأ بالبصرة بين فصحاء آبائه وقومه منذُ أوّلِ تصغيرها ، وهي  
يومئذٍ حاضرةُ العرب فلم تُشب لهجته عجمة ولا لحن ، فأخذهُ أبوه برواية الشعر  
ونظمه ففرواه ونظمه ونبغ فيه ، وأتى به أبوه يوماً الى أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب  
كرم الله وجهه فسأله عنه - فقال هذا ابني يُوشِك أن يكون شاعراً مُجيداً - فقال  
أقرئه القرآن فهو خيرٌ له ، فما زالت كلته في فم الفرزدق حتى قيّد نفسه بقيد وآلى  
أن لا يمسكه حتى يحفظ القرآن ، فما فكّه حتى حفظه بالرغم من كونه أمياً لا يقرأ ولا  
يكتب ، ولنشأة الفرزدق بالمصر والبوادي القريبة منه كان قريب التّعرّف بولاية  
البصرة والكوفة وعالمهم ، يمدّحهم تارةً ويهجوهم أخرى ، ويمجسه هذا حيناً ، ويهر من  
وجه ذلك طوراً ، وفي أثناء ذلك يرّحل الى خلفاء بني أمية بالشام يمدّحهم وينال  
جوائزهم ، وأخص من كان يمدحه منهم عبدُ الملك بن مروان ثم أولاده من بعده ،  
وامتنع بمناقة جرير له في الشعر ومهاجاته

والسبب في مهاجتهما أن جريراً كان يهاجي شاعراً اسمه البيث لأنه ظاهر عليه  
شاعر آخر يسمى غسان فنصر الفرزدق البيث على جرير لمنافته له في الصناعة  
تلك المنافة التي أقضت بهما الى التّهاجي والتّساب طول عمرهما ، وسمل على الفرزدق

التهاجي  
بين جرير  
والفرزدق

( ١ ) التّقصان والملاك والنّاء ( ٢ ) جمع ذخيرة وهو ما يدخر ويحفظ لوقت الحاجة  
( ٣ ) النّواية الضلالة والافساد

ههجا جرير الترفع عليه في شرف حسبه وكرم مَحْتَدِه ، وسيادة آبائه في الجاهلية والاسلام وَضَعَة آباء جرير وَخُمُولِ ذِكْرهم مما جعل الفرزدق يُغْرِى بِجرير أكثر من ثمانين شاعراً يهجوونه

وكان الفرزدقُ فوق إقْدَاعه في المهجو وَفُخْشه في السباب وقذف المحصنات يُرْمَى بالفجور وقلة التمسك بشعائر الدين ، ثم تاب في أواخر شيخوخته على يد الحسن البصري ، ورجع عن قذف المحصنات ونهش الأعراض وَنَسِكَ وحسنت خاتمه ؛ وكان فيه تشييع يستره أيام اختلافه الى بنى أمية ، ثم كاشف به آخر حياته حتى أُمَامَ الخليفة هشام عند ما رأى الناس تنسح طريق الطواف بالكعبة مهابة واجلالاً لى بن الحسين فسأله عنه كالتجاهل لأمره ، فشقَّ ذلك على الفرزدق وأنشد قصيدته الميمية الآتية يُعْرِفُ بعلَى وَيُنْكِرُ على هشام تجاهله ، فَبَسَّه هِشَامُ ثم أطلقه . وطاش الفرزدق قريباً من مائة سنة ومات بالبصرة سنة ١١٠ هـ



شعره - يمتاز شعر الفرزدق بفخامة عبارته ، وجَزَالَة لفظه ، وكثرة غريبه ، صودة شعره ، ومُدَاخَلَة بعض ألفاظه في بعض : من حيث التقديم والتأخير ، والفصل والوصل ، وكثرة تنوع التركيب والأساليب ، والاشتغال على الملقى الدقيقة ؛ وكان يجرى فيه على أسلوب الجاهلية في شعره ولذلك يُعْجَبُ به أهلُ القنّة والنحو وَيُسَبِّحُ لهم بحالُ القول فيه وقياسُ مسائله عليه ، فكان يقال لولا شعر الفرزدق لذهب ثلث القنّة ويعتبر الفرزدق من آخر شعراء العرب وأشدهم وكوعاً بعداد ، أكثر آبائه وأجداده وتحدّى منافسيه بمكارهم حتى في مدحِهِ للخطاء ، وحتى كان ذلك سبباً في حرمان بعضهم له من العطاء واحالته على آبائه ، فكان بذلك شعره مشتتاً على كثير من أيام العرب ومفاخرها ومثالبها وفروع انسابها مما استخرج منه العلم الجم من أنساب العرب وأحوالها

نموذج  
من شعره

ومن يمتاز شعره قوله بصف ذنباً صادفه أثناء سفره فأطعمه من زاده :

وأطلس<sup>(١)</sup> عَسَّال<sup>(٢)</sup>، وما كان صاحباً  
فلما أتى قلت: ادنُ، دونك، اننى  
فِيْ أَفْد<sup>(٣)</sup> الزَّادَ يَنى وَيِنَّه  
وقلت له لا تَكْشَرُ ضاحكاً  
تَشْرُ فان عاهدتني لا تخونني  
وانت امرؤ يا ذئب<sup>(٤)</sup> والفدر كُنْما  
ولو غيرنا نَبَّهْتَ تَلْسُ الْقِرَى  
وكل رفيق كُِّلِّ رَحَلٍ، وإن هما  
ومن آياته السائرة :

فيا عجباً حتى كَلِيبٌ تَسْبِقُ  
وكنا اذا الجبار صَعْر<sup>(٥)</sup> خَدَّه  
كأن أباهما نَهَشَلْ وَمُجَالِشِ<sup>(٦)</sup>  
ضربناه حتى تَسْتَعِمِ الْأَخَادِعَ<sup>(٧)</sup>  
ومنها :

قَوَارِصُ<sup>(٨)</sup> تَأْتِيْنِي وَتَحْتَرُونَهَا  
وقد يَلَأُ الْقَطَرُ الْإِنَاءَ فَيُفْعِمُ<sup>(٩)</sup>  
ومنها :

اذا ما وَزِنَا بِالْجِبَالِ رَأَيْنَا  
ونمِلُ بِأَطْوَادِ الْجِبَالِ الْأَضَاخِمِ  
وأحلامنا تَزِنُ الْجِبَالَ رِزَانَةً  
وتخالنا جِنًا اذا ما نَجَلْ  
ومنها :

ترى الناس ما سرنا يسيرون حولنا  
وان نحن أومأنا الى الناس وقفوا

(١) أشهر القود (٢) مضطرب في مشيه (٣) نحو من نصف الليل

(٤) أقطع (٥) طرف

(٦) أبنا دارم التميمي (٧) أماله من الناس اعراضاً وتكبراً

(٨) جمع اخدع وهو شعبة من الوريد (٩) القارصة الكلمة المولدة

(١٠) فم الاناء ملاء كآفقه

ومن جيد شعره قوله يمدح على بن الحسين :

هذا الذي تعرفُ البطحاء<sup>(١)</sup> وطلّاته      واليتُ يعرفه والحلّ والحرمُ  
هذا ابن خبير عبادِ الله كلهم      هذا الثقيّ النقيّ الطاهرُ العلمُ  
وليس قولك من هذا ؟ بضائه      الرّبُ تعرفُ من انكرت والمعجمُ  
اذا رآته قریشٌ قال قائلها      الى مكارم هذا ينهى الكرمُ  
يُنقى حياءً ويُغنى من مهابته<sup>(٢)</sup>      فلا يُكلّمُ الا حينَ يتيسرُ  
يَكفّهُ خَيْرَانِ رِيحُهَا عَيْقُ<sup>(٣)</sup>      من كفّ أروغ<sup>(٤)</sup> في عرينه شَمُ<sup>(٥)</sup>  
يكادُ يُنسيك غرَفانَ راحته      ركنُ الحطيمِ<sup>(٦)</sup> اذا ما جاءَ يسلمُ  
يَنشَقُّ ثوبَ الدُّجى عن نورِ غرته      كالشمس تنجّاب عن إشراقها الظلمُ  
من مِشر حُبهم دينٌ وبضهمُ      كَفَرُ وقروهم منجى ومغصمُ  
إن عدّ أهلُ الثّقى كأولِائهم      أو قبل من خيّر أهلِ الأرض ؟ قبل همُ

## ٩ - جرير

هو أبو خزيمة جرير بن عطية بن الخطميّ التميمي البزيعي، أحدُ فحول الشعراء الاسلاميين، وبلغاه المداحين المجانين، وأنسب ثلاثهم المُفقيين، وهو من بني يربوع أحد أحياء تميم. وُلِدَ بالجماعة سنة ٥٤٢ من بيت اشتهر بالشعر؛ ونشأ بالبادية وفيها قال الشعر ونَبَغ فيه، وكان يُخْتَلَف الى البصرة في طلب الميرة ومذبح الكبراء، وينزل على من يسكن البصرة من قومه، فرأى الفرزدقَ وما كسبه الشعرُ من المنزلة عند الأمراء والولاة وهو تميمي مثله وودَّ لو يسبقه الى ما ناله، وأغراه قومه به للتزويه بشأنهم وتغنيهم أمرهم، إذ كان الشعر في ذلك العصر هو وسيلة الاعلان عن الشرف وكريم الخصال، فوقعت بينهما المَهاجاة والمُلاحاة عشرَ سنين، كان أكثرُ اقامة

(١) ميل واسع فيه دقاق الحصى

(٢) لاجل مهابته (٣) الاروع من يبيك لحسه وجارة منظره أو لشجائه كالرائع

(٤) الرمتين اللاتفت والشم الارتفاع أى سيد شريف

(٥) الحطيم حجر الكعبة، أو جدارها، أو ما بين الركن وذمزم وللغام

جرير أثناءها في البادية، وكان الفرزدق مقيماً بالبصرة مصر العرب، يملأ عليه الدنيا هجاءً وسباً، فما زال به بنو يربوع حتى أقدموه البصرة، فكان يُقيم بها كثيراً، واتصل بالحجاج ومدحه فأكرمه ورفع منزلته عنده، فمظّم أمره وشرّق شعره وغرب، حتى بلغ الخليفة عبد الملك، فحسد الحجاج عليه، فأوفده الحجاج مع ابنه محمد إلى الخليفة بدمشق ليصل بذلك إلى مدحه، فلما دخل عليه مع الوفد استأذنه في أنشاده فأبى، وقال له إنما أنت للحجاج، فما برج يتوسل إليه حتى قبل مدحه وأجازه عليه جائزة سنية، ومن ذلك الحين عدّ من مداح خلفاء بني أمية ودخل في غمار المتزاحمين على أبوابهم والمتنافسين في نيل جوائزهم، وجره ذلك إلى مُعاداة منافسيه ومهاجبتهم، وحرّش الفرزدق بينه وبينهم وأغرام عليه بالمال، ونصب له منهم نحو ثمانين شاعراً فنلبهم كلهم وأخرمهم، وثبت له من دونهم الفرزدق والأخطل فبقيت حرب المهاجاة بينهم سجّالاً، حتى مات الأخطل، وغير الفرزدق وجرير يتسابقان بقية حياتهما إلى مدة قليلة تنسك فيها الفرزدق وتاب ثم مات ولم يطل عمر جرير بعده إلا نحو ستة أشهر ومات باليمامة سنة ١١٠ هـ.

مهاجاة جرير  
قشمره  
والفرزدق

وكان في جرير على هجائه للناس وخوضه في أعراضهم عفةً ودين وحُسن خُلق وريّة طبع ظهر أثرها في شعره



شعره - اتفق علماء الأدب وأئمة نقد الشعر على أنه لم يوجد في الشعراء الذين نشئوا في ملك الاسلام أبلغ من جرير والفرزدق والأخطل وإنما اختلفوا في أيهم أشعر ولكلٍّ هوىً وميلٌ في تقديم صاحبه : فمن كان هواه في رقة النسيب، وجودة النزل والتشبيب، وجمال اللفظ ولين الأسلوب، والتصرف في أغراض شتى، فضل جريراً؛ ومن مال إلى إجادة الفخر، وخامة اللفظ، ودقة المسلك، وصلاية الشعر وقوة أثره، فضل الفرزدق؛ ومن نظر بعد بلاغة اللفظ، وحسن الصوغ، إلى إجادة المدح والامحان في المهجاء واستهواء وصف الخمر واجتماع الندمان عليها، حكم للأخطل؛ وهناك فريق يُدْخِل في الموازنة بينهم ما ليس من موضوع الأدب،

موازنة  
بين جرير  
والفرزدق  
والأخطل

فأهل الحسب والنسب يقدمون الفرزدق . وأهل الدين والمعة يقدمون جريراً ، وأدباء المسيحيين يقدمون الأخطل ، ولا عبرة بذلك في باب صناعة الشعر ؛ على أن طائفة من أهل النقد المعتد بهم يرون جريراً أشعر الثلاثة : لانه طرق جميع أبواب الشعر ولم يقصر في باب ، وأن الفرزدق امتاز بالفخر ، والأخطل بالمدح والمجاء . ووصف الحمر ، ويحتجون بأنه لما ماتت امرأة الفرزدق لم تنذها التوادب إلا بشعر جرير في رثاء امرأته ، وأن الفرزدق كان يحسده على رقة شعره ويقول : ما أحوج جريراً مع عفافه الى صلابة شعري ! وأحوجني مع شهواني الى رقة شعره ، وأن له في كل باب من الشعر آياتاً سائرة هي الغاية التي يضرب بها المثل فيقال ان أغزل شعر قاله العرب هو قوله :

ان العيون التي في طرفها حور<sup>(١)</sup>      قتلنا ثم لم يُحيي قتلانا  
يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به      وهن أضعف خلق الله انسانا  
وأن أمدح بيت قوله :

ألستم خير من ركب المطايا      وأندى المألين بطون راح  
وأن أخير بيت قوله :

إذا غضبت عليك بنو تميم      حبيت الناس كلهم غضابا  
وأن أدهى بيت مع التصو عن الفحش قوله :  
ففض<sup>(٢)</sup> الطرف إنك من نمير      فلا كمياً بلغت ولا كلابا  
وأن أصدق بيت قوله :

إني لأرجو منك خيراً عاجلاً      والنفس مولة بحب العاجل  
وأن أشد بيت تهكماً قوله :

زعم الفرزدق أن سيقتل مرَباً<sup>(٣)</sup>      أنشر بطول سلامة يا مريب  
ونحو ذلك كثير في شعره ؛ قيل وقد لعب جرير وجد في قصيدة يهجو بها الأخطل التلبي بما لو أرادته غيره لانتع عليه في لبعه يقول :

(١) الحور شدة سواد العين مع شدة بياضها (٢) الخفض (٣) هو رادية جرير الوسيط (١٠)

ابن التين غدواً بليك غادروا      وشلاً<sup>(١)</sup> بينك لا يزال معينا<sup>(٢)</sup>  
 غيظن<sup>(٣)</sup> من غيرتهن<sup>(٤)</sup> وقان لي      ماذا قيت من الهوى ولقينا  
 وفي جذه يقول :  
 ان الذي حرم المكارم قتيلًا      جل الخلافة والنبوة فينا  
 مصر أبي وأبو الملوك فهل لكم      يا خزر<sup>(٥)</sup> تغلب من أب كائنا  
 هذا ابن عتي في دمشق خليفة      لو شئت ساقكم الي قطينا<sup>(٦)</sup>  
 فلما بلغ عبد الملك هذا الشعر قال ما زاد ابن المراغة<sup>(٧)</sup> أن جعلني شرطياً<sup>(٨)</sup>  
 أما انه لو قال : لو شاء ساقكم الي قطينا ، لستهم اليه كما قال  
 ومن جيد شعره قوله من قصيدة يرثي بها امرأته وهي التي نذبت بها نوار امرأة  
 الفرزدق

ولا الحيلة لها حتى استعبار<sup>(٩)</sup>      ولزرت قبرك والحبيب يُزار  
 ولهت قلبي اذ عنتي كذبة<sup>(١٠)</sup>      وذوو التامم من بئيك صغار  
 لا يلبث القراء أن يضرعوا      ليل يكر عليهم ونهار  
 صلي الملائكة الذين تُخبروا      والطيون عليك والأبرار  
 فقد أراك كسيت أحسن منظر      ومع الجمال سكينه ووقار

## ١٠ - الكميث

هو الشاعر الخطيب الراوية النسابة أبو المستهل الكميث بن زيد الأسدي  
 الكوفي ، أشعر شعراء الشيعة الهاشمية ، ومؤثر عصية المدنانية على التخطانية  
 ولد سنة ٦٠ هـ ونشأ بالكوفة بين قومه بني أسد إحدى قبائل العرب الفصحاء ،

- 
- ( ١ ) الوصل الماء القليل ( ٢ ) جارياً ( ٣ ) طاس لاء ذهب وغيظن أذهين  
 ( ٤ ) جمع عبرة وهي الدمة قبل ان تبيض ( ٥ ) الخزر شقيق البيول وصغرها  
 ( ٦ ) خدماً ( ٧ ) كنية كني بها الفرزدق أم جرير ، والمراغة الاسنان  
 ( ٨ ) كترك وجني أحوان الملك ( ٩ ) استعبرت عبرته جرت دموعه  
 ( ١٠ ) الكبير والضمط



من مضر فلقن العرية، وعرف الأدب والرواية، وعلم انساب العرب وأيامها ومثلها بما  
بمدارسة العلم والأخذ عن الأعراب، وكان له جدتان أدركتا الجاهلية قصصان عليه  
أخبارها وأشعار أهلها، فخرج أعلم أهل زمانه في ذلك، وأقر له حادّ الرواية بالسبق  
عليه؛ وقال الكهيت الشعر وهو صغير، وكان لا يذيعه ولا يتكسب به، ويكتفى بحرفته  
تعليم صبيان الكوفة بالمسجد، ولما حصف شعره وقوى اثره، ولا سيما قصائده التي  
أعلن فيها تشييعه لبني هاشم وآل علي، أنشدته الفرزدق مستنصحا له في أمرادته  
إذا أعجبه، فأمره بأذاعته، فقال قصائده البليغة المطولة المسماة بالهاشميات، ثم  
تكسب بالشعر ومدح الأمراء والولاة وسادات أهل البيت من أبناء علي رضي الله  
عنه، واحتجّ لهم بشعره ودافع عنهم، وعرض نفسه من أجلهم الى الموت مراراً،  
وبقي هذا شأنه حتى هجا حكيم الكلبى من البائية وأهل الشام أكل على وشيعته وسائر.  
مضر، فردّ عليه شعراء المضرية فلم يفلحوا

فأغروا به الكهيت فاعتذر، فأسمعه هجاءه في بنات عمه وخاله، فحجى الكهيت  
لعمشيرته وهجا الكلبى والبائية جماء. وكان خالد بن عبد الله القسرى والى العراق  
بالكوفة يمانياً فضيَّب وسعى به الى هشام بن عبد الملك، واحتال حتى أبلغه شعره في  
ذم بنى أمية ومدح بنى هاشم، فأمره بقتله، قبض عليه وسجنه، فاحتال الكهيت  
وفر من سجنه - ورجل الى الشام، واستجار بغير معاوية بن هشام فآمنه، وخطب بحضرته  
خطبة بليغة، وارتجل قصيدته التي يمتدح فيها ويتوب من تشيعه، ويمدح بنى أمية ويقول:  
اليوم صرت الى أمية والأمور لها مصائر

فمعا عنه وأجازه، وكتب لحاله ألا يتعرض له؛ وبقي الكهيت على شأنه في هجاء البائية،  
حتى كان شعره من أشدّ الأمور التي أثارت العداوة بين الامتين وبقيت نارها تتأجج  
حتى أواسط الدولة العباسية، واذ ذاك استولى الأعاجم على الملك وأخفوا صوت  
العرب جميعاً عدنائها وخطائيا

شعره - كان الكهيت من فحول شعراء الأمصار، كثير الشعر والآرتجال، على اعادة  
واحسان، وكان لكثرة حفظه لأشعار العرب يأتي في شعره يعض جل أو أبيات  
صفة شعره

من كلامهم ، فيندرع بذلك متعصبو الجانية الى اتهامه بسرقة الشعر ؛ ومن هؤلاء  
خلف الأحر أحد رواة الشعر<sup>(١)</sup> ؛ وكان شعره من التأثير السيامي والمذهبي أثر سقي  
بين تلك الآثار التي شئت شمل الوحدة العربية وعادت عليها بالنسكال بما أحياه من  
العصبية الذميمة ، وأغرى الشيعة بمناظرة خصومهم اذ يقول الجاحظ : ما فتح للشيعة  
الحججاج بالشعر إلا الكيت بقوله :

فان هي<sup>(٢)</sup> لم تصلح لحي سواهم فان ذوى القربى أحق وأوجب  
يقولون لم يورث<sup>(٣)</sup> ولولا ثرائه لقد شركت فيه بكيل وأرحب<sup>(٤)</sup>  
ومن جيد شعره يمدح خالد بن عبد الله القسري<sup>(٥)</sup>

طائفة من شعره لو قيل للجود من حليفك<sup>(٦)</sup> ما ان كان إلا اليك ينتسب  
أنت أخوه وأنت صورته والرأس منه وغيرك الذنب  
أحرزت فضل النصال<sup>(٧)</sup> في مهل فكل يوم بكفك القصب<sup>(٨)</sup>  
لو أن كعباً<sup>(٩)</sup> وحاماً<sup>(١٠)</sup> نُشِراً كنا جميعاً من بعض ما تهب  
لا تخلف الوعد ان وعدت ولا أنت عن المتقين<sup>(١١)</sup> تحتجب  
مادونك اليوم من نوال ولا خلفك للراغبين منقلب  
ومن هاشمياته :

ألا هل عمر في رأيه متأمل وهل مدبر بعد الاساءة مقبل<sup>(١٢)</sup>  
وهل أمة مستيقظون لرشدهم فيكشف عنه النعسة المتزمل<sup>(١٣)</sup>  
قد طال هذا النوم واستخرج الكرى مساوهم لو كان ذا الميل يُعدل

(١) هو الزاوية المشهور توفي سنة ١٨٠ هـ

(٢) برید الخلافة (٣) نائب القائل الرسول (٤) حيان من همدان

(٥) هو امير العراق المقتول سنة ١٢٦ هـ

(٦) حليفك هو الذي يساعدك على ان يكون أمركا واحداً في النصرة والحماية

(٧) الباردة في الرمي (٨) القصب كل نبات ذي انايب الواحدة قصبة وأحرز القصب

او قصب السبق غلب (٩) هو كعب بن مامة من إباد أحد أجواد العرب المفروب بهم المثل

في الكرم (١٠) هو حاتم بن عبد الله الطائي الجواد الطائر أنصبت والفاخر المجيد ، مات قيل

الاسلام (١١) طلاب للمروف والرزق (١٢) اما أن لا تغفل ان ياتيه ولغنائم ان يستيقظ

(١٣) المتف

وَعُطِلَتِ الْأَحْكَامُ حَتَّى كُنَّا  
كَلَامَ النَّبِيِّينَ الْهَدَاةِ كَلَامُنَا  
رَضِينَا بِدِينَا لَا نَزِيدُ فَر\_اقَهَا  
وَنَحْنُ بِهَا مُسْتَمْسِكُونَ كَانَهَا  
أَرَانَا عَلَى حَبِّ الْحَيَاةِ وَطَوَّلَا  
وَمِنْهَا :

فِي سَاسَةٍ هَاتُوا لَنَا مِنْ حَدِيثِكُمْ  
فِيكُمْ (لَمَعْنَى) دُؤَا فَنَيْنَ مَقُولٌ<sup>(٣)</sup>  
وَمِنْهَا :

أَنْصَلِحْ دِينَانَا جَمِيعًا وَدِينُنَا  
عَلَى مَا بِهِ ضَاعَ السَّوَامُ<sup>(٤)</sup> الْمَوْبِلُ<sup>(٥)</sup>  
وَمِنْهَا :

كَأَنَّ كِتَابَ اللَّهِ يُعَى بِأَمْرِ  
أَلَمْ يَسْدِرْ آيَةً فَتَذَلَّةُ  
فِي أَرْبَهِ هَلْ الْآبُكَ النَّصْرُ يَرْجِي  
وَلَهُ :

طَرِبْتُ وَمَا شَوْقًا إِلَى الْبَيْضِ أَطْرَبُ  
وَلَمْ تَلْهَيْ دَارَ وَلَا رَسْمُ مَزَلْ  
وَلَا السَّامِحَاتُ الْبَارِحَاتُ<sup>(٦)</sup> عَشِيَّةُ  
وَلَمَّا كُنَّا إِلَى أَهْلِ الْفَضَائِلِ وَالْثَنَى  
بَقِيَ هَاشِمٌ رَهْطُ النَّبِيِّ فَاذْنَى  
خَفَضْتُ لَهُمْ مَنَى الْجَنَاحَ مَوْدَةَ  
وَمَا لِيَ إِلَّا آلَ أَحْمَدَ شَيْعَةً  
بَاقِي كِتَابِ أُمِّ آيَةِ سَنَةِ

وَلَا لَمِيًا مَنَى وَذُو الشَّيْبِ يَلْعَبُ  
وَلَمْ يَطْرُقْ بَنَاتُ غَضَبُ  
أَمْرٌ سَلِمَ الْقَرْنَ أُمِّ مَرٍّ أَعْضَبُ<sup>(٧)</sup>  
وَحَيْرٌ بَنَى حَوَاهُ وَالْخَيْرُ يُطَلَّبُ  
بِهِمْ وَلَهُمْ أَرْضَى مَرَارًا وَأَغْضَبُ  
إِلَى كَنْفٍ<sup>(٨)</sup> عِطْفَاهُ<sup>(٩)</sup> أَهْلُ وَمَرْحَبُ  
وَمَا لِيَ إِلَّا مَذْهَبَ الْحَقِّ مَذْهَبُ  
يُورَى جِهْمٌ عَارًا عَلَى وَيُحْسَبُ

(١) وقاية (٢) ملجأ (٣) كثير القول قادر عليه (٤) الماشية الرامية

(٥) المتجذلة للثنية (٦) الكودنى المهيمن (٧) الزكل ضربك الفرس برجلك ليمدو

(٨) البارح ما مر من ميامنك إلى ميامنك، ومن لى بالسائح بعد البارح أى بالبارك بعد المشوم

(٩) مكسور القرن (١٠) ظل (١١) جانباه

## الرواية والرواة

ظهر الإسلام، وعمدة العرب في ضبط علومهم وآدابهم على الحفظ والرواية؛ فجاهم من كتاب الله وسنة رسوله بالأمر الخطير، والعلم الكثير، فكانت عنايتهم بحفظها في الصدور أكثر من كتابتها في السطور. ولما اتسع علم المسلمين بما أضيف إليهما من تفسير الصحابة والتابعين ومن أقوالهم في الدين، تمددت طوائف الرواة للقرآن والحديث وفنون الأدب

واذ كان الانسان عرضةً للنسيان، وأحوالُ الناس تختلف في الصدق والكذب تشدد المصنابة والمتألهون<sup>(١)</sup> من التابعين وتابعيهم في تصحيح الرواية وشدة التوثيق من صدق الرواة فخرجاً منهم أن يدخل في الدين ما ليس منه ولما خاف عمر بن عبد العزيز أن تموت السنة الصحيحة يموت روايتها وبما وضعه الزنادقة والشعبة والخوارج ودسوه فيها، أمر العلماء بتدوين الحديث وبقى الأمر في الشعر والأدب كما كان في الجاهلية: لكل شاعر راوٍ أو عدة رواة ومن أشهر هؤلاء هذبة<sup>(٢)</sup> بن خشرم راوية الحطيئة، وجبيل<sup>(٣)</sup> راوية هذبة، وكثير<sup>(٤)</sup> راوية جبيل، وأبو شقيل وعبيد أخو ربيعة بن حنظلة راوية الفرزدق، ومريم راوية جرير والفرزدق معاً، ومحمد بن سهل راوية الكُميت، وصالح بن سليمان راوية ذى الرثمة<sup>(٥)</sup>، وذو الرمة راوية الراعي<sup>(٦)</sup>

وبقى الأمر كذلك حتى أواخر هذا العصر فاشتغل العلماء بالرواية، وصار الراوي منهم يروى لمئات من الشعراء والشواعر وإن لم يكن هو شاعراً، وأكثر هؤلاء العلماء من الرواة أدرك عصر بني العباس فيذكر فيه. ومع تشدد الناس في تصحيح الرواية سنةً وأدباً حدث في الشعر والخطب كثير من التصحيف والتحريف والنقص والزيادة ونحو ذلك

(١) المتكبرون الضيغون (٢) كان قوداً بالمدينة وعليها سعيد بن العاص من قبل معاوية

(٣) هو ابن عبد الله بن مصر المنرى الشاعر القزل المتوفى سنة ٨٢ هـ

(٤) هو تليد جبيل وروايته وأحد شعراء النقيب المشهورين المتوفى سنة ١٠٥ هـ

(٥) هو غيلان بن عتبة صاحب مئة المتوفى سنة ١١٧ هـ

(٦) هو حصين بن معاوية وسمى بالراعي لأنه كان يكثر وصف الرعاة في شعره

## العصر الثالث

عصر الدولة العباسية<sup>(١)</sup> من ١٣٢ - ٦٥٦ هـ

أحوال اللغة العربية وآدابها في ذلك العصر

تقصد بأحوال اللغة العربية في ذلك العصر أحوالها بين أهل البلاد الإسلامية في آسيا وإفريقية والأندلس وجزائر بحر الروم من أوروبا، ولو لم يكونوا تابعين للدولة العباسية في الملك والسياسة

كان بنو أمية شديدي التمسب للعرب والعربية، فكان كل شيء في دولتهم عربي الصبغة، وكانت جمة<sup>(٢)</sup> العرب منتشرة في كل مكان امتد إلى سلطانها. فلما قامت الدولة العباسية بدعوتها، لم تجد لها من العرب أنصاراً وأعدائاً مثل من وجدت من الفرس وأهم الأعاجم، فاكتمحت بهم دولة بنو أمية، وأست دولة قوية كان أكثر النفوذ فيها للوالي، فاستخدمهم الخلفاء والأمرأ في كل شيء من سياية الماء إلى قيادة الجيوش والوزارة، وأبدأ شأن العرب الساعى يتضاءل<sup>(٣)</sup> من ذلك الحين شيئاً فشيئاً، حتى ضمت النمرة<sup>(٤)</sup> العربية فيهم، وخذت جذوة<sup>(٥)</sup>

(١) خلفاء بني العباس إلى سنة ٣٣٣	عبد المتصر	(٢٤٧ - ٢٤٨)
أبو العباس عبد الله السفاح (١٣٢ - ١٣٦)	أبو العباس أحمد المستعين	(٢٤٨ - ٢٥٢)
أبو جعفر المنصور (١٣٦ - ١٥٨)	أبو عبد الله المنذر	(٢٥٢ - ٢٥٥)
محمد المهدي (١٥٨ - ١٦٩)	محمد المهدي بالله	(٢٥٥ - ٢٥٦)
موسى الهادي (١٦٩ - ١٧٠)	أحمد المتصد على الله	(٢٥٦ - ٢٧٩)
هارون الرشيد (١٧٠ - ١٩٣)	أحمد المتصد بالله	(٢٧٩ - ٢٨٩)
محمد الأمين (١٩٣ - ١٩٨)	علي المكتفي بالله	(٢٨٩ - ٢٩٥)
عبد الله المأمون (١٩٨ - ٢١٨)	جعفر المتصر بالله	(٢٩٥ - ٣٢٠)
أبو إسحاق محمد المتصم (٢١٨ - ٢٢٧)	أبو منصور محمد القاهر	(٣٢٠ - ٣٢٢)
أبو جعفر هارون الواثق (٢٢٧ - ٢٣٢)	أبو العباس أحمد الرافعي	(٣٢٢ - ٣٢٩)
جعفر المتوكل على الله (٢٣٢ - ٢٤٧)	إبراهيم المتقي لله	(٣٢٩ - ٣٣٣)

(٢) جمهرة الناس والأشياء كلها ومظلمها كالجهور، والجمرة أصليها مصدر استعمل اسم ذات

(٣) تضام الشيء. غنى وتماخر شخص

(٤) النمرة الحيلاء والكبر

(٥) المجدوة مظنة الجمرة من التل

التباهي بكرم الأصل والتجارة<sup>(١)</sup> بينهم ، بحيث لم يمض نصف قرن على تكوين الدولة العباسية حتى لم يكن لعرب المشرق في السياسة شأنٌ يُذكر ، وقطعت أرزاقهم من ديوان الجُند<sup>(٢)</sup> ، واندمجوا في غمار العامة ، واشتغلوا بالصناعة والفلاحة والحرف المختلفة ، واختلطوا بالأعاجم أيما اختلاطاً بالتصاهر والتجاور ، وكان من المجموع شعبٌ ممتزج لغةً وعادةً وحُفًا واعتقاداً وتصوراً وخيالاً ، فأثر ذلك كله تأثيراً يتيماً في اللغة لفظاً ومعنى ، وشعراً ونثراً ، كتابةً وتأليفاً . ولم يظهر ذلك بالطبع في جميع الممالك بنسبة واحدة ؛ بل كان في أواسط آسيا أظهر منه في مصر والشام . أما حال ممالك الغرب والأندلس صدرَ هذا العصر فلم يبعد كثيراً عما كان عليه في العصر الماضي . ثم سرت اليها عدوى تقليدها للمشاركة في أكثر الأمور ، ويمكن تقريب ذلك بأن كلَّ تغيير في لغة أو اختراع لفنون أو علوم في المشرق كان أثره يظهر في الأندلس بعد نصف قرن أو يزيد قليلاً ، إلا أن الصبغة العربية كانت مرعيةً بالأندلس في الجملة . وكذلك كانت في إفريقية<sup>(٣)</sup> من ممالك البربر مُعظَم هذا العصر ويمكن ارجاع جميع هذه التغيرات الى ثلاثة أمور :

الأول - ما يتعلق بالأغراض التي تؤديها اللغة

الثاني - ما يتعلق بالمعاني والأفكار

الثالث - ما يتعلق بالانفاظ والأساليب

## أغراض اللغة

كانت أحوال الدولة العربية في العصر السابق تُقرب من الغضاضة والبداوة لاستقلالها بالآداب العربية الإسلامية ، فلم تكن اللغة تتناول من المقاصد والأغراض غير ما يتعلق بالدين ومعبشة الجِدَّة القليلة الترف . فلما قامت الدولة العباسية بما علمت وتشبه الخلفاء والأمراء والوُلاة والرؤساء بملوك الفرس ودهاقينهم<sup>(٤)</sup> في أكثر أمور

( ١ ) الأصل ( ٢ ) فل ذلك المتصم بن الرشيد ومن بعده

( ٣ ) إفريقية هنا هي المسماة الآن بلاد تونس

( ٤ ) جمع دهقان ( بكسر الدال ) وهو من السجم لاجرمهم أو ذميم فلاحيهم أو رئيس القديم

السياسة والمعيشة، وحاكمتهم العامة في ذلك بتقليد أمثالهم من طبقات الأعاجم، تناولت اللغة في المشرق أغراضاً لم تُعَهد فيها من قبل يُنقل علوم تلك الأمم وآدابها وعاداتها وطرق معيشتها، ثم تناولت هذه الأغراض في المغرب بعدئذٍ بفرق يسير؛ على أن المسلمين من العرب وغيرهم كانوا قد ارتاحت عقولهم، ونضج استمدادهم لوضع الأنظمة والقوانين، واستنباط أحكام الشريعة من أصولها، وتدوين العربية لحفظ اللسان والدين، فكان من تلك الأغراض ما يأتي:

(١) تدوين العلوم الشرعية واللسانية والعقلية، ولم يكن دُون من ذلك في صدر الإسلام إلا نَزْرُ يسير لا يذكر بجانب ما دُون في هذا العصر

(٢) الترجمة من اللغات الأجنبية إلى العربية. ولم يُترجم في العصر الماضي إلى العربية بعد حساب الدفاتر الديوانية الأبعض من الرسائل العلمية قلماً يُعرف له خبرٌ. واخص المشاركة بالترجمة دون المنازلة لرعاية دولهم في الملك وعناده، ولأنهم وريثوا ممالك ذات علوم وحضارة عظيمة

(٣) تأدية مقاصد الصناعات المختلفة، وخاصة بعد دخول العرب في غمار<sup>(١)</sup> الصناعات وبعد تعرُّب الأعاجم

(٤) تأدية المقاصد التي استدعاها الانتماس في الترف والتنعم بلذائذ الحضارة التي جرت فيها الأمم الإسلامية عصر الدولة العباسية إلى أمد<sup>(٢)</sup> بعيد، أو اقتضتها أساليب نظام الملك والدفاع عنه؛ كالإيمان في وصف الأشياء النفيسة من القصور وما فيها من الفراش والرياش والآية والحلي والجواري والقيان<sup>(٣)</sup>، والبساتين وما فيها من أنواع الرياحين والأزهار والثمار والخضر؛ وما ينبع ذلك من مجالس الشرب والمناذمة ومصايد الطير والسمك وأشكال الملاعب، مما لم يُعرف للعرب في صدر الإسلام، أو عُرِفَ وكان قليلاً مقبوحاً صاحبه، محقرّاً فاعله؛ وكوصف البحر والأساطيل الحربية والمعارك البحرية. وامتاز بأكثر ذلك المغرب والأندلس، كما

(١) غمار الناس جماعتهم ولقبهم (٢) الامد الناية

(٣) جمع قينة (بالفتح) وهي الأمة للفتية

امتازت الأندلسُ بالإجادة في وصف مناظر الطبيعة ومحاسن الوجود للملامة يبتئها  
لذلك، وكادت تلتحق بها في الوصف صِفَلِيَّةٌ وأفريقيةٌ إِيَّانَ ازدهائهما  
(٥) تأديَّةٌ مقاصد أنواع الخلاعة والسُّخْرِيةِ والمِجَانَةِ<sup>(١)</sup> بما قلَّ نظيره في  
صدر الإسلام

(٦) المحاضرة والمناظرة والبحث والجدل وتدريس العلوم

## المعاني والافكار

إنَّ ما حدثَ في مشارق الممالك الإسلامية ومقارِبها أثناء العصر العباسي من  
الاضطرابات السياسية والاجتماعية كان له نتيجةٌ ظاهرة في الحركة الفكرية للمتكلمين  
بالعربية . ظهر ذلك في عباراتهم وأشعارهم بصور مختلفة ؛ فمنها :

١ - ازديادُ شُيُوع المعاني الدقيقة ، والتصوِّراتِ الجميلة ، والأخيلة البديعة فوق  
ما كان عليه الأمرُ في صدر الإسلام

٢ - التعويلُ على القياس والتعليل في الأحكام الفكرية : بالإكثار من الحجج  
والبراهين العقلية ، واتِّحَادُ<sup>(٢)</sup> مذاهب الفلاسفة في الشعر والكتابة والتدريس ولا  
سيما بعد عصر الترجمة ، وأكثر ما كان ذلك بالشرق . وقلما عُنِيَ به أهل المغرب  
٣ - التهوُّيلُ والغُلُوفُ التضخيمُ المُقْتَبَسُ في المشرق من اللغة الفارسية ،  
والساري بضعه بالمَدَوِّي إلى أهل المغرب والأندلس

## الالفاظ والاساليب

غلب على عبارة اللغة العربية في هذه المدة أمران عظيمان : السهولة ، والمحسنات  
البديعية . ويشمل ذلك ما يأتي

(١) انتقاء الالفاظ الرشيقة السهلة<sup>(٣)</sup> : لاستعمال الرويَّة ، وقلة الحاجة إلى

(١) بمن (من باب قصد) مجونا ومجانة لم يبال قولاً وفلاً

(٢) مصدر اتصى بمعنى قصد

(٣) قصد بالسهل هنا ما كان خفيفاً في النطق وعلى السمع ، مأثوف المعنى والاستعمال  
عند أوساط البلاء في عصره ، فقد يكون السهل في زمان صعباً في آخر



الإنجال ، وضيق نطاق المحفوظ على التكلم بالعربية بالدرس والصناعة لا على التكلم بالطبيعة والفطرة كما كان الأمر في المصريين الماضيين

( ٢ ) ازدياد الميل الى استعمال ألفاظ القرآن وعباراته والاعتباس منه والاستشهاد به ، وأطرّد ذلك في كل شيء حتى شاربت المصولة : من البُود<sup>(١)</sup> والطرارز<sup>(٢)</sup> والسِكّة<sup>(٣)</sup> . وزاد في ذلك المشاركة على المغاربة .

( ٣ ) التوسع والاكثار من ألفاظ المجاز والتشبيه والتمثيل والكناية والمحسنات اللفظية كالجناس واللباق والتورية ونحو ذلك ، وخاصة في أواخر هذا العصر وكانت عناية المغاربة بالمجاز والتشبيه أكثر من عنايتهم بالتورية والجناس

( ٤ ) التوسع في ادخال ألقاب التعظيم على أسماء الخلفاء والأمراء وأرباب المناصب العالية

( ٥ ) تفاقم الخطب في استعمال الكلمات الأعجمية في كثير من الأشياء ، ولا سيما ألوان الأطعمة وأنواع الآنية والفُرُش وأدوات الصناعات والعقاقير<sup>(٤)</sup> الطبية وأسماء الأمراض

( ٦ ) وضع اصطلاحات العلوم والفنون والصناعات وإدارة الحكومة وأسماء آلات الحرب وغيرها

( ٧ ) التألق في صوغ العبارات وتوثيق الربط بينها

( ٨ ) الميل الى استعمال السجع وازداد أمره في النصف الثاني من هذا العصر

( ٩ ) التطرف الى غاية حدّ الاطناب والإيجاز ولكل منهما مقام . وكان

الأتدلسيون الى الاطناب أميل

( ١٠ ) حدوث لغة تأليفية لتعليم العلوم قاسم بعميار المنطق لا بعميار البلاغة .

واذ كانت اللغة إما ثراً وإما شمرًا ، والنثر محادثة ، وخطابة ، وكتابة ، فناسب أن

نُظِمَ بمَجْمَلٍ كُلِّ منها فنقول :

( ١ ) جمع بند وهو العلم ( ٢ ) هو علم التوب أى ما يكون في حاشيته من النقش والكتابة

( ٣ ) السكة الحديدة المنقوشة للكتابة التي يضرب عليها الدراهم والدينارين .

( ٤ ) جمع عقار ككتبان : ما يتداوى به من النبات أو أصوله

## النثر

### المحادثة أو ( لغة التخاطب )

قدما لك أن لغة التخاطب بين الخاصة من العرب في أواخر العصر الماضي كانت العربية الفصيحة الحالية من اللحن إلا من آحاد استهجن منهم ، وعُبروا به ، وأن لغة العامة والسوقة من العرب المختلطين بالمعجم هي العربية المشوبة بشيء من اللحن ، ولغة المتربين من المعجم قليل عن هذه في الفصاحة ، وتزيد عليها في اللحن بمراتب مختلفة

فلما تم امتزاج العرب بالمعجم عصر الدولة العباسية ، تكونت بين العامة في البلاد التي تكثر فيها جبهة العرب لغاتٌ مخاطبة عامية مؤلفة من العربية المحرفة وشيء من الدخيل الأعجمي الأبين أهل جزيرة العرب ، فلم يزل مخاطبهم باللسان العربي الفصيح الى أواسط القرن الرابع . وقيت لغات التخاطب في البلاد التي تقل فيها جالياتهم هي اللغات الوطنية الأعجمية ممزوجة ببعض الألفاظ العربية التي أدخلها عليها الاسلام

وخاف الخلفاء والخاصة من هول تغلب العامية على أبنائهم وأشفقوا أن تستطيل على الفصيحة فيستلحق على المسلمين فهم الكتاب والسنة وهما كل الدين ، فحرضوا العلماء على تدوين اللغة والإكثار من العناية بضبط النحو وفنون البلاغة وعلوم الدين وكافقوهم بيذر<sup>(١)</sup> الأموال ، وحشدوا في قصورهم أئمة اللسان يؤدبون أولادهم وخاصتهم ، فكانوا أمراء الكلام وغول البلاغة ، كما كانوا أمراء الملك وسادة الدولة . ولكن ذلك كله لم يوقف تيار العامية الزاخر ، واستمر في طغيانه الى أن غلب في النصف الأخير من عصر هذه الدولة على جميع لغات التخاطب ، حتى لغة الخلفاء وعلماء العربية أنفسهم ، وأصبح لكل بلاد عربية لغة مخاطبة عامية خاصة بها

( ١ ) جمع بدوة ( بالفتح فالكسور ) كيس المال ، قيل : ألف ، وقيل عشرة آلاف من الدراهم . وقيل سبعة آلاف من الدراهم .

ولم يدون أسلافنا اللغات العامية خشية أن تُزاحم العربية الفصيحة وهي اللسان العام بين جميع ممالك الإسلام فتتسخها، فترتج باب الدين، وتتقاطع الأمم الإسلامية، فتقتصر كل أمة على كتبها ولغتها، وفي ذلك من انحلال الروابط السياسية والعلمية والدينية ما لا يخفى. ونعم إن الأندلسيين والمغاربة في أواسط هذا العصر وأواخره قد رفَّهوا العامية قليلاً بما نظموا بها كثيراً من الموشح وأنواع الزجل والشعر العامي وعروض البلد، وما دوتوه منها الآن ذلك والحمد لله لم يكن طویل الأمد، ولم تمن به البلوى فلم تصبح العامية به لغة علم وأدب

## الخطابة والخطباء

لما كان قيام الدولة العباسية في المشرق والادريسية في المغرب الأقصى، والأموية الثانية في الأندلس، من الأمور التي نشأ عنها كثير من الاضطرابات السياسية والمذهبية والاجتماعية، وكان ذلك يستدعي تأليف المصاحبات ودعوة الناس إلى التشيع لزعامة الأحزاب، وكان التفاهم بالعربية الفصيحة والانجذاب بالبلاغة والشعريات لا يزال متوافراً في صدر هذا العصر - كانت دواعي الخطابة متوافرة لتوافر أسبابها؛ فكان بين قواد هذه الدول ودعاتها وخلفائها وولايتها ورؤساء وفودها خطباء مصاقع، وبلغاه فطاحل<sup>(١)</sup>. ثم لما قترت هذه الدواعي باستقرار الدول، واشتد اختلاط العرب بالأعاجم، وتولى كثير من الموالى قيادة الجيوش وعمالة الولايات والمواسم - ضعف شأن الخطابة لضعف قدرتهم عليها، وقلة المستجيبين لها؛ لتنافس العناصر العربية في الجند وأهل النجدة. فلم يمض قرن ونصف من قيام تلك الدول حتى بطل شأن الخطابة السياسية والمذهبية، إلا قليلاً في المغرب أيام الحفّل وقدم الوفود وقيمت الخطابة قاصرة على خطب الجمعة والعيد والمواسم وخطب الزّواج ونحو ذلك، وقلّ فيها الارتجال أو عديم جملة، وحل محلّ الخطابة في الأمور السياسية نشر المنشورات وفي الأمور الدينية مجالس الوعظ والتزهد والتدريس في المساجد والمدارس

### الخطباء

اشتهر في صدر الدولة العباسية جملة من الخطباء جُلُّهم من بنى هاشم عباسيين وعلويين ثم من الخوارج ومن بعض خطباء الأمصار من بنى منقر وآل الرقاشي وآل خاقان بالبصرة وبعض زعماء بنى أمية وقضائهم<sup>(١)</sup> بالأندلس وآل الأغلب في إفريقية، ومن أشهرهم داود بن علي وشيب بن شيبة وهالك ترجتهما

### داود بن علي

هو داود بن علي بن عبد الله بن عباس خطيب بنى العباس، وأحد مؤسسي دولتهم، نشأ هو وإخوته وكانوا اثنين وعشرين رجلاً في قرية الحُميمة من أعمال عَمَّان<sup>(٢)</sup> وكان الوليد بن عبد الملك أجلى علي بن عبد الله بن عباس وأهل بيته إليها سنة ٩٥ هـ غضباً عليه

وأخذ هو وإخوته عليهم وأدبهم عن أبيهم عليّ خير قریش وابن خبـرها ولبـيها ووارث علم أبيه عبد الله بن عباس وطاهد أهل زمانه، كما أخذوا الفصاحة من البدو النازلين فيهم من قبائل لخم وجذام وتوابع وغسان وقيس، فانطبعت فيهم صفات البدو من الشجاعة والبصر بالقتال وإياء الضيم والاستقلال وفصاحة اللسان والبلمش وحبة الانتقام، وجانبتهن صفات الحضرة من الانقياس في الترف والملاذات والعكوف على الملامح

وكان داود أحد الناجين من إخوته في هذه الصفات ويزيد عليهم أنه كان يليهم ولسانهم وأخطبهم في وقته. وعاجلته منيته قبل أن يستطير سلطانه في الدولة. وولد أبو العباس عقب يئته بالكوفة ولاية الكوفة وسوادها، ثم ولاء إمارة الحاج في هذه السنة وولد معها ولاية الحجاز واليمن واليمامة، قتل من ظفروهم من بنى أمية في مكة والمدينة في هذا العام أي سنة ١٣٢ هـ وهو أول موسم ملكه بنو العباس، وخطبهم

(١) وأدبرهم المنصورين سيد البلوطي

(٢) بلدة على خط سكة الحديد الحجازية جرى لها ذكر كثير في الحرب العظمى

الخطبة الآتية بعد ، ثم ذهب عقب الموسم الى المدينة فتوفي بها بعد شهرين من قدومه اليها في شهر ربيع الأول سنة ١٣٣ هـ

ولداود خطبة عظيمة<sup>(١)</sup> خطبها يوم يعة أبي العباس على منبر الكوفة ، أما خطبته في موسم مكة فهي مختصرة من خطبة الكوفة وهي «شكراً لشكراً إنا والله ما خرجنا لنَحْفِرَ فيكم نَهراً ، ولا لنَبْنِيَ فيكم قصراً ، أَظُنُّ عَدُوَّ اللَّهِ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَنْ رُوْحِيْ لَهُ مِنْ خِطَامِهِ ، حَتَّى عَثَرَ فِي فَضْلِ زَمَانِهِ ، فَالآنَ<sup>(٢)</sup> حَيْثُ أَخَذَ الْقَوْسَ بِأَرْيَاهَا ، وَعَادَ الْقَوْسُ إِلَى الْفَرْعَةِ ، وَرَجَعَ الْمَلِكُ فِي نَصَابِهِ ، فِي أَهْلِ بَيْتِ النَّبَوَةِ وَالرَّحْمَةِ ، (وَاللَّهُ لَقَدْ كُنَّا تَتَوَجَّعُ لَكُمْ وَنَحْنُ فِي فُرْشِنَا) ، آمِنْ الْأَسْوَدُ وَالْأَحْمَرُ لَكُمْ ذِمَّةُ اللَّهِ ، لَكُمْ ذِمَّةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لَكُمْ ذِمَّةُ الْعَبَّاسِ ، لَا وَرَبِّ هَذِهِ الْبَنِيَّةِ - وَأَوَاماً يَدُهُ إِلَى الْكُفَّةِ - لَا نَهِيْجُ مِنْكُمْ أَحَدًا»

### شبيب بن شبيب

هو شبيب بن شيبَةَ بن عبد الله المِثْرِيُّ<sup>(٣)</sup> التميمي خطيبُ البصرة في زمانه نشأ في البصرة وامتاز بنبالة نفس ، وسخاء كَفٍّ ، وحسن تواضع ، ونزاهة لسان ، كما امتاز بخطبه القصيرة البليغة القريبة من حد الإعجاز . وهو ابن عم خالد بن<sup>(٤)</sup> صفوان الخطيب المشهور . وسميه خالد هذا يتكلم في رَهْطِهِ . قَالَ يَا بُنَيَّ لَقَدْ نَعَى إِلَيَّ نَفْسِي احْسَانُكَ فِي كَلَامِكَ . فَأَنَا أَهْلُ بَيْتٍ مَا نَشَأَ فِينَا خَطِيبٌ إِلَّا مَاتَ مِنْ قَبْلِهِ . قَالَ لَهُ شَبِيبٌ : بَلْ يُتَّقِيكَ اللَّهُ ، وَيَجْعَلُنِي فِدَاكَ .

وقال الجاحظ : قَالَ أَنَّهُمْ لَمْ يَرَوْا خَطِيبًا بَلَدِيًّا<sup>(٥)</sup> إِلَّا وَهُوَ فِي أَوَّلِ تَكْلِفِهِ بَثْلَكَ الْقَامَاتِ كَانَ مُسْتَقْتَلًا مُسْتَصْلَقًا<sup>(٦)</sup> أَيَّامَ رِيَاضَتِهِ كُلِّهَا إِلَى أَنْ يَتَوَقَّعَ<sup>(٧)</sup> وَتَسْتَجِيبَ لَهُ

( ١ ) راجع تاريخ أدب الفقه في العصر العباسي ( ٢ ) ظرف لأمن الأسود

( ٣ ) هو ميثري بن جهم

( ٤ ) كان خطيب بني جهم في زمانه واشتهر في بني أمية وأدرك عصر بني العباس وسمر السجاح

( ٥ ) أي من أهل الأمصار لا من البادية

( ٦ ) من الصلف وهو مجاوز الحد في اظهار الظرف مع العجب والكبر

( ٧ ) يثقل جياؤه ويجهز

المعاني ويمكن من الألفاظ الأشيب بن شيبه ، فانه ابتدأ بمجلاوة ورشافة وسهولة  
وعذوبة ، فلم يزل يزداد منها حتى صار في كل موقف يبلغ قليل الكلام ما لا يبلغه  
الخطبة المضاعف بكثيره . وقد يطول حتى يقول فيه الراجز

إذا غدت سعد على شبيبها      على فتاها وعلى خطيبها  
من مطلع الشمس الى مغيبها      عجبته من كثرتها وطيبها

وعرف شبيب أبا جعفر<sup>(١)</sup> المنصور قبل خلافته ثم اتصل به بعدها . فجعله في  
حاشية وليّ عهده المهدي<sup>(٢)</sup> . وبقي كذلك حتى وليّ المهدي الخلافة فصار من  
خيرة سُمّاره وجلسائه الى أن مات في خلافته سنة ١٦٥ هـ

ومن خطبه القصار ما عزى به المهدي يوم ماتت ابنته الباتقة وجزع عليها جزعا  
شديدا . وقال إنها كانت أبلغ تمزية قيلت في هذا اليوم وهي :

أعطاك الله يا أمير المؤمنين على ما رزئت<sup>(٣)</sup> أجرا . وأعقبك صبورا . ولا أجهد  
الله بلاءك بقمه . ولا نزع منك نعمة . ثواب الله خير لك منها ، ورحمة الله خير  
لها منك . وأحق ما صبر عليه ما لا سبيل الى رده ١١١



(١) هو أمير المؤمنين أبو جعفر عبد الله المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس

(٢) هو أمير المؤمنين محمد المهدي بن المنصور

(٣) أي أصيب

## الكتابة

الكتابة خطية وانشائية

الكتابة الخطية

تنوع في هذا العصر الخط الكوفي الى أنواع أربت على خمسين نوعاً . من أشهرها المحرّر والمشجّر والمربع والمدور والمتداخل ، وبقى مستعملاً في المباني والسكة الى حدود الألف ، ثم نُسِيَ بجملة ، وقد جُذِّدَتْ منه أنواع في عصرنا أما تاريخ خطنا المستعمل الآنَ فحدث في آخر الدولة الأموية أن استنبط قطبُ المحرّر من الخط الكوفي والحجازي خطاً هو أساس الخط الذي يكتب به الآن ، واخترع القلم الجليل الذي يكتب به على المباني ونحوها ، وقلم الطومار ( الورقة الكبيرة ) وهو أصغر أنواع الجليل ، وعرض قطعه ٢٤ شعرة من شعر ذنب البرذون ، وحسن عمله غيره من كتّاب صدر الدولة العباسية ، حتى ظهر ابراهيم الشَّحْرَى وأخوه يوسف من كتّاب أواخر القرن الثاني : فولد ابراهيم من الجليل قلم التثنية ( أى ثلثي الطومار ) وعرض قطعه ١٦ شعرة ، وقلم الثلث وعرض قطعه ٨ شعرات ، وولد يوسف من الجليل القلم الرِّياضي<sup>(١)</sup> وهو قلم التوقيع

وعن ابراهيم أخذ الأحولُ المحرر من ( صنائع البرامكة ) ، واخترع قلم النصف وعرضه ١٢ شعرة ، وخفيف الثلث والمُسْلَسِل ( هو المشتبك الحروف ) وغبَّارُ الحَلْبَةِ<sup>(٢)</sup> والرقاع وغيرها . هذه هي أشهر الخطوط وقد تولد منها نحو من ٢٠ خطاً يختص كل منها بفرض خاص . واتفقوا على أن طول الألف يُستَبر مِياراً لارتفاع بقية الحروف ، وأن يكون طول الألف مربع مقدار قطعة القلم

وعن الأحول أخذ مهندس الخط الأعظم الوزير أبو علي محمد بن مقله وأخوه أبو عبد الله الحسن المتوفى سنة ٣٣٨ هـ وهما اللذان تم على أيديهما هندسة خط

---

(١) نسبة الى الفضل ذي الراسين وزير المأمون (٢) شبه لدقته بشار حلبة الخيل

ويكتب به في بطائق حمام الزاجل

النسخ والجليل وفروعه على الأشكال التي نعرفها الآن ، وأتم العمل الذي بدأ به قطبة ، فهندس الحروف وقدرها مقاييسها وأبعادها ، وضبطها ضبطاً محكماً ، واختار له القواعد

وعن الوزير ابن مقلة أخذ أبو عبدالله محمد بن أسد القارئ المتوفى سنة ٤١٠ هـ وعنه أخذ أبو الحسن علي بن هلال البغدادي المعروف بابن البواب المتوفى سنة ٤١٣ هـ وهو الذي اكمل قواعد الخط واخترع عدة أقلام وإليه انتهت الغاية ، وكل من جاء بعده فهو تابع لطريقته : كأمين الدين ياقوت الملكي المتوفى سنة ٦١٨ هـ كاتب السلطان ملكشاه السلجوقي

أما الأندلسيون. والمغاربة فلم يعبثوا بهذا الإصلاح وبقوا يكتبون على طريقة الخط الحجازي الى الآن بنوع من التعديل

ضبط الحروف بالشكل - قد ذكرنا فيما تقدم طريقة أبي الأسود<sup>(١)</sup> التي اتبعت في زمن بني أمية وصدر بني العباس ، وبقيت مستعملة في الأندلس الى أواسط القرن الرابع ولما استكثر الناس من إعجام الحروف لتسهيل التعليم ، اشتبهت قطع الإعجام بنقط الشكل ، مع أن هذه كانت تكون بمداد مخالف كان من الصعب وضاع الزمن كتابتها بمدادين ، فاخترع الخليل الشكل المستعمل الآن بأن كتب الضمة واواً صغيرة تكتب فوق الحرف ، والفتحة ألفاً ، والكسرة ياء ، والشدة رأس شين ، والسكون رأس خاء ، وهمة القطع رأس عين ، ثم اختزل شكلها وزيد عليها حتى آكت الى الشكل المعروف الآن ، وهاك نموذجاً من الخط الكوفي المصحف مضبوط بضبط الخليل وأبي الأسود معاً مرسومًا فيه قطعة الشكل دائرة مفرغة

شكل الخليل

(١) هو ظالم بن عمرو الدؤلي من سادات التابعين وأحيانهم كان من أكمل الرجال رأياً وأسدّهم حياءً ، وهو أول من وضع النحو واخترع الشكل بالنقط توفي بالبصرة سنة ٦٩ هـ عن خمسة وعشرين عاماً



وَتَالِىَ ذَلِكَ بِمَا نَزَّلْنَا  
 وَتَالِىَ ذَلِكَ بِمَا نَزَّلْنَا  
 وَتَالِىَ ذَلِكَ بِمَا نَزَّلْنَا  
 وَتَالِىَ ذَلِكَ بِمَا نَزَّلْنَا  
 وَتَالِىَ ذَلِكَ بِمَا نَزَّلْنَا  
 وَتَالِىَ ذَلِكَ بِمَا نَزَّلْنَا  
 وَتَالِىَ ذَلِكَ بِمَا نَزَّلْنَا  
 وَتَالِىَ ذَلِكَ بِمَا نَزَّلْنَا  
 وَتَالِىَ ذَلِكَ بِمَا نَزَّلْنَا  
 وَتَالِىَ ذَلِكَ بِمَا نَزَّلْنَا



وَتَالِىَ ذَلِكَ بِمَا نَزَّلْنَا  
 وَتَالِىَ ذَلِكَ بِمَا نَزَّلْنَا  
 وَتَالِىَ ذَلِكَ بِمَا نَزَّلْنَا  
 وَتَالِىَ ذَلِكَ بِمَا نَزَّلْنَا

وَلَا تُحْمِلُنَا مَا لَا مَالِقَةَ لَنَا بِهِ  
 وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفُ رَنَّا  
 وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا  
 فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ  
 بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
 اَللّٰهُ لَا اِلٰهَ اِلَّا هُوَ  
 الْحَيُّ الْقَيُّومُ نَزَّلَ  
 عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا

وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا  
 غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ  
 لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا  
 لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا  
 اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا  
 إِن نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا  
 وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا  
 حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا

### ابن مقلة

هو الوزير أبو علي محمد بن علي بن الحسن بن مقلة ، إمام الخطاطين ، وأحد كبار الكتاب البارعين ، أخذ الخط عن الأحوال المحرر صنيعة البرامكة ، وتم على يديه ويدي أخيه الحسن نقل الخط من الكوفي الى الشكل المعروف في زماننا

وكان ابن مقلة يتولى في أول أمره بعض أعمال فارس ويحجي خراجها ، وتقلت به الأحوال الى أن استوزره الامام المقتدر بالله سنة ٣١٦ ، ثم كاد له أعداؤه عنده قبض عليه سنة ٣١٨ هـ وصادر أمواله وفناه الى فارس ثم وُزِّر للراضى فوشى به أعداؤه عنده قبض عليه وعزل ، وبقى معتزلاً الوزارة ؛ ثم أطعته نحسه أن يكيد لابن رائق أمير الأمراء يفتداه عند هذا الخليفة المستضعف ، فلم يستطع الخليفة كتمان سره وأفشاه الى ابن رائق ، قبض عليه وقطع يده اليمنى ؛ ثم ندم الراضى على ذلك وأمر الأطباء بملازمته الى أن برأ ، وكان يشد القلم على ساعده ويكتب به ، ثم كاد له ابن رائق لما أحس منه بمطالبتة للوزارة ، وكان طاقبة ذلك أن قطع لسانه أيضاً ، وأقام في الحبس مدة طويلة قاسى فيها عناء شديداً ، ولم يزل به حتى مات سنة ٣٣٨ هـ ومن قوله في تلك الحوادث :

إذا ما مات بعضك فابك بعضاً فان البعض من بعض قريب

وقوله :

ما شئت الحياة لكن توقفتُ بإيمانهم فبانَت يميني  
بت ديني لم بدنياى حتى حرموني دنياهم بعد ديني  
ولقد حطمت ما استطعت بمجهدى حفظ أرواحهم فما حفظوني  
ليس بعد اليمين لغة عيش يا حياى بانَت يميني فيني

## الكتابة الانشائية

### كتابة الرسائل الديوانية والاخوانية<sup>(١)</sup>

كانت كتابة الرسائل في أوائل حكم بني العباس جارية على نظام كتابتها في أواخر عهد بني أمية، سالكة الطريق التي سلكها عبد الحميد وابن المقفع والقاسم<sup>(٢)</sup> بن صبيح وعمارة<sup>(٣)</sup> بن حمزة ونظراؤهم: من العناية بجعل عبارتها جولةً بليغة، متسقة الموضوع والأساليب، لا يقصد بها إلا إقناع المتلقي الجيد بوضوح وبلاغة وقوة حجة، غير منظور فيها إلى زخرف اللفظ ومحسناته. وبقيت كذلك بل زادت حسناً وجمالاً ومراعاة لاعتقضى الحال إلى أوائل القرن الرابع. ثم أخذت الصناعات اللفظية تغلب عليها تدريجياً بتضاؤل ملكة البلاغة في الكتاب وقصُر همهم عن استيفاء أدواتها: لتغلب الأعاجم من الديلم البُويهيين<sup>(٤)</sup> والترك السلجوقيين<sup>(٥)</sup> على سلطان الخلفاء في

- 
- ( ١ ) نسبت الى الجمع من قديم وان كان القياس نسيبنا الى المفرد ويلب القرب واسع  
( ٢ ) أصله من القبط أسلم أبوه صبيح زمن بنى أمية وكتب ابنه القاسم لامرئتهم ثم كتب  
للمنصور، وهو جد أحمد بن يوسف وزير للأموال المعروف  
( ٣ ) من موالى السياسيين وضرب به المثل في البلاغة والكبر. كتب وعمل للمنصور وللهدي  
( ٤ ) الدولة الديلية البوسنية من ٣٧٧ - ٤٨٨  
أصل أبيهم يوه صياد ورزق السعادة في أبنائه الثلاثة الذين اقتسبوا ملك الرازيين السجمي  
والعربي وقارس والجزيرة، وأكبرهم عماد الدولة أبو الحسن على ( صاحب بلاد فارس ) تولى  
سنة ٣٣٨ يدير عقب ونزل عن ملكه لضد الدولة ابن أخيه ركن الدولة ( وأوسطهم ) ركن  
الدولة أبو على الحسن ( صاحب عراق السجم ) تولى سنة ٣٦٦ وقسم أملاكه على أولاده الثلاثة  
ضد الدولة فناخسرو - ومؤيد الدولة يوه - وضد الدولة على. فأت مؤيد الدولة قبل ضفر  
الدولة فانضمت الى هذا مملكة أخيه ثم مات ضفر الدولة وخلفه ابنه مجد الدولة ( وأصغرهم )  
مجد الدولة أبو الحسين أحمد ( صاحب العراق والاهواز المستولى على بغداد ) تولى سنة ٣٥٦  
وتولى بعده عن الدولة بختيار فانصب ملكه ثم ابن عمه ضد الدولة وضم اليه أكثر أملاك آل  
يوه والجزيرة فأصبح أكبر ملك فيهم وتوفى سنة ٣٧٧ وملك بعده ابنه مصمم الدولة ثم شرف  
الدولة ثم ابن الأخير بهاء الدولة ثم ابن هذا سلطان الدولة ثم أخوه مدرف الدولة ثم جلال الدولة  
ابن بهاء الدولة ثم اضطرب امرهم وذلك دولتهم  
( ٥ ) ينسبون الى جدهم سلجوق وأصلهم من الترك خرجوا على العباسيين في أواخر دولتهم  
واستولوا على ممالكهم واستولوا بها استقلالاً داخلياً

الشرق ، وتقلب البربر على شمالي افريقية والأندلس في الغرب ، فلم يعد في الملوك والأمرء من بينهم أمرُ العريضة وبلاغتها . وما زالت كذلك حتى سقطت الدولة العباسية على أيدي الأعاجم من التتار<sup>(١)</sup> ، فكان ذلك عصر ابتداء اضمحلال الكتابة وضمحل اللغة في الجملة

ويمكن التوبة ببعض التغيرات التي طرأت على كتابة الرسائل أو غلبت عليها في عصر الدولة العباسية بذكر الأمور الآتية :

( ١ ) تعدد أغراض الكتابة وموضوعاتها بتعدد أعمال الدواوين الكثيرة والرسوم العديدة التي استحدثت في الدولة وتضاعفت مراراً عما كانت عليه في العصر الماضي ، وبما زاد على الرسائل الاخوانية : من استعمالها أواسط هذا العصر في بعض أغراض الشعر : من الهجاء والمفاخرة كما حدث بين البديع والخوارزمي وغيرهما

( ٢ ) دقة المعاني واستقصاء جميع جزئياتها وترتيب الأفكار ترتيباً منطقيّاً أو نسبياً<sup>(٢)</sup>

( ٣ ) الغلو في طرفي الإطناب والإيجاز بحسب مقتضيات الأحوال : فقد كانت الكتب التي تُقرأ على العامة من يبعة أو منشور ، أو أخذ سياسة ، أو احتجاج لمذهب أو تفصيل انتصار جيش ، أو نحو ذلك تكتب بنهاية الاسهاب والتبيين والايضاح فترى أها في أذهان العامة ، وتقنياً لشأن السلطان ، وتفظيماً لنعم الله عليه وعلى أهل بيته وعلى عكس ذلك كانت الكتب التي تصدر عن الخليفة أو الوزير أو الرئيس الى الولاة والمروسين في أمر أو نهى أو سؤال عن حدث . فقد كان غلوهم في الإيجاز فيها يصل الى درجة الاشارة والرمز ، بل قد يخل بشروط الفصاحة . ومن ذلك التوقيعات التي كان يؤقّها الخلفاء والوزراء والرؤساء على الكتب التي تُهدم بقصة حال ، ومن أمثلة الإيجاز كتاب عمرو<sup>(٣)</sup> بن مسعدة في توصية ( كتابي اليك كتابٌ معني بمن كُتِبَ له ، واتي بمن كُتِبَ اليه ، ولن يضعجَ حاملة بين الثقة والعناية )

( ١ ) هم الغزاة الجبارة الذين خرجوا من صحراء الغول وأغاروا على أكثر ممالك آسيا من الصين وخراسان وما وراء النهر وبلاد العراق وقارس والشام وأزالوا الدولة العباسية سنة ٦٥٦ بقيادة زعيمهم الأكبر هولاكو خان

( ٢ ) كالترتيب بين الاعم والمهم والسكل والجزء والمجمل والمفصل

( ٣ ) هو أحد وزراء للأمون ومن أبلغ كتاب الإيجاز

ومن أمثلة التوقيع توقيع الجعفر<sup>(١)</sup> البرمكي في رقعة مستمنح كان قد وصله مراراً  
(دَعْر الضَرْع يَدْرَ لِفَرْك كَا دَرَّ لَك)  
(٤) سهولة العبارة وانتقاء ألفاظها وجودة رصفها فوق ما اتبعه المتأخرون من  
كتاب العصر الماضي

(٥) شيوع السجع القصير الفقرات غالباً والوزن بالمحسنات اللفظية كالجناس  
والطباق والتلميح وحل الأبيات السائرة وضرب المثل، والتلميح اليه، وتضمن الأحاديث  
النبوية والحكم المأثورة أو الإشارة إليها، والاقتراس من كلام البلغاء وتضمن الألفاظ  
من أبيات الشعر، إلا أن كل ذلك لم يكن ملزماً في القرنين الأولين من عمر الدولة  
ولمّا كاد يلتزم بقية أزمانها وخاصة وقت هربها، فنلب السجع على كل الرسائل حتى  
كتب الفنون، ثم طالت فقراته، وتنوعت أقسامه، وأصبحت التورية محك البراعة بين  
الأدباء والكتاب، ولم يغفل أهل الأندلس وشمالي إفريقية في ذلك غلو أهل المشرق  
(٦) زيادة أنواع البدء والختام في الرسائل، فزاد المباسيون في الصورة العامة  
المأثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه صيغة الصلاة والسلام عليه بعد التحميد،  
وتلقّب خليفتهم فيها بالامام، وتكنى بأبي فلان. واتبعوا أيضاً صورة ابتداء  
عبد الحميد، وهي بعد البسملة

(أما بعد فالحمد لله) ويكرر الحمد أو يفرد، وقد يحذفون (أما بعد) ويتبدلون  
بصيغة (الحمد لله الخ)

ومن الصيغ التي يُعزى اختراعها أو مبدأ شيوعها للعصر المباسي البدأة بالثناء  
لما يتقدم (أما بعد) أو بغيرها؛ وأكثر ما يكون ذلك في الرسائل الإخوانية.  
ومن أمثلة الدعاة (أدام الله نعمته عليك. وأبذلك بروح من عنده. وأطال الله  
بقائه المولى أو الشيخ<sup>(٢)</sup> أو الأستاذ الخ)  
ومن العصور التي كانت تستعمل أيضاً

(١) هو أشهر وزراء الرشيد ومن ألغى كتاب الإيجاز أيضاً  
(٢) شاع استعمال لفظ « الشيخ » أو « الأستاذ » أو الرعيس في النصف الثاني من  
حياة الدولة لرؤساء الكتاب والوزراء في الدولتين السامانية والبرسية

(كتابي اليك) ويرد فونه بما يناسب من دعه أو ثناء أو وصف . ثم صاروا يخاطبون الخلفاء والسلاطين بالدعاء لهم أو لوليائهم<sup>(١)</sup> أو لحضرتهم أو لمجلسهم أو لمقرهم .

وكانت صور الاحتام لا تقل عن صور الافتتاح ، فقد كان بلفظ (والسلام) أو (والسلام عليك ورحمة الله وبركاته) ثم استعمل في الختام (ان شاء الله) بعد الدعاء أو غيره . وقد يكون بمحمدلة وصلاة وسلام . وذلك في الكتب السلطانية ، وقد يزداد عليها الحسيلة

(٧) زيادة الرسوم في الألقاب والدعاء وتخصيص كل ذي مرتبة بلقب أو دعه بما يشعر بتعظيم الملوك والأمراء وتضخيمهم والتحويل بشأنهم

(٨) اختراع المقدمات في أوائل الرسائل المطولة واليهود والمنشورات . وجملة القول ان الكتابة في هذا العصر عامة ، وفي صدره خاصة ، كانت أرقى ما وصل اليه الانشاء العربي . نسأل الله أن يعيد للبلاغة العربية نشأة أخرى تعيد لها مجدها وتجدد آدابها

## الكتاب

كان أكثر كتاب المشرق في هذا العصر من سلاسل فارسية أو سنوادية<sup>(٢)</sup> وقد بلغوا بحذقهم سياسة الملك ونبرغهم في البلاغة أن ارتقوا عند خلفاء العباسيين الى مرتبة الوزارة التي لم تكن معروفة قبلهم في الاسلام . وأول كاتب منهم ارتقى اليها هو أبو سلمة الخلال . وأشهر من بلغ قوده وسلطانه مبلغاً زاحم فيه الخليفة وأصبح الملك في قبضته يحيى<sup>(٣)</sup> بن خالد بن برمك وابنه جعفر والفضل ، ثم محمد

(١) شاع الدعاء للديوان الرئز (أى ديوان الانشاء) وللحضرة والمقر والمجلس أو اخر الدولة

(٢) أهل السواد عندهم سكان الفرات من سلاسل البابليين والاشوريين وربما سموهم ببطا  
(٣) كان من اكبر بطالة المهدي ومرياً لولاه الرشيد ثم صار وزيراً ومديراً لدولة الرشيد  
ثم ولى الرشيد ابنه الفضل جعفر فأما جعفر فقتله الرشيد سنة ١٨٧ وأما يحيى وابنه الفضل فلما في سجن الرشيد

ابن الزيات في زمن المعتصم والواثق . وكان كتاب الأندلس والمغرب أكثرهم من سلاسل عربية . وكانت الحجابة في الأندلس أرقى من رتبة الوزارة . والوزير عندهم يطلق على قرين الخليفة ومستشاره الخاص . فاذا تولى مرتبة الكتابة والإدارة للدولة متى ذا الوزارةين

ومن أشهر كتّاب هذا العصر في الشرق ابن المقفع ، ويحيى بن خالد بن برمك ، وإبناه : جعفر والفضل ، وإسماعيل <sup>(١)</sup> بن صبيح ، وعمر بن مسعدة ، وأحمد بن يوسف ، وابن <sup>(٢)</sup> الزيات ، والحسن <sup>(٣)</sup> بن وهب ، وعلي <sup>(٤)</sup> بن الفرات ، وابن مقلة ، وابن الميديد ، والصاحب بن عباد ، وأبو بكر الخوارزمي ، والبيديع ، والصابي <sup>(٥)</sup> ، والمعاد <sup>(٦)</sup> الكاتب ، والقاضي الفاضل ومن أشهر كتّابه في الأندلس ابن شهيد <sup>(٧)</sup> ، وأبو المطرف <sup>(٨)</sup> بن عميرة ، وابن زيدون ، ولسان الدين بن الخطيب

وتترجم لبعض هؤلاء فنقول :

### ابن المقفع

هو أبو محمد عبد الله بن المقفع أحد فحول البلاغة وثاني اثنين بهذا الناس طريق الترشل ، ورفعا لهم معالم صناعة الانشاء ، أولهما عبد الحميد

#### منشؤه وعمله

كان ابن المقفع من أبناء الفرس الناشئين بين أحياء العرب . فكان أبوه داذويه المقفع يعمل في جباية الخراج لولاة العراق من قبل بني أمية ، وهو على دين المجوسية

- ( ١ ) كان وزيراً لفرشيد بن جعفر
- ( ٢ ) هو محمد بن عبد الملك الزيات كان كاتباً شاعراً داهياً جياراً وزيراً للمعتصم والواثق والفتوكل وفتح الفتوكل سنة ٢٣٣ ( ٣ ) كان صاحب ديوان الرسائل للفتوكل
- ( ٤ ) كان وزيراً للفتوكل
- ( ٥ ) كان صاحب ديوان الرسائل بتمداد زمن هو الدولة بن بويه وهو من كتّاب الاطتاب
- ( ٦ ) كان كاتباً لنور الدين بن زكي صاحب الجزيرة وطلب ثم صار من رؤساء الكتّاب . عند صلاح الدين الأيوبي
- ( ٧ ) كان وزيراً للخليفة الناصر الاموي الاندلسي
- ( ٨ ) كان من كتّاب ملوك الطوائف والبربر بالاندلس

وولد له ابنه هذا حوالي سنة ١٠٦ هـ وسماه ( رَوْزَبَة ) ، فنشأ بالبصرة ، وهي يومئذ حَلَبَةُ <sup>(١)</sup> العرب وعش الفقهاء والرواة والمحدثين وأصحاب اللغة ، وحاضرة البر والبحر ، وقرارة المُرْدُ <sup>(٢)</sup> مُتَدَي البقاء والخطباء والشعراء ؛ فكان لكل ذلك ( فوق ذكائه المفرط وتأديب أبيه وأخذ له بتعليم الفارسية وصناعة الكتابة ) أعظم أثر في تربيته وتهيبته لأن يصير من أكبر كتاب العربية وعلمائها وأدبائها والمترجمين إليها

ولما ذاع فضله استكتبه في عصر بني أمية داود <sup>(٣)</sup> بن يوسف بن عمر بن هبيرة ثم كتب في عصر بني العباس لعيسى بن علي عم الخليفة أبي جعفر المنصور العباسي أيام ولايته على كِزْمان ، وعلى يديه أسلم بمحضر من الناس وتسعى ( عبد الله ) وتكنى بأبي محمد بدل أبي عمرو ثم أزمه أخوه اسماعيل بن علي بعض بنيه ليؤدبه ، ثم كان آخر أمره في خدمة أخيهما سليمان بن علي أيام ولايته على البصرة . ويظهر أنه اتصل أثناء ذلك بأبي جعفر المنصور اتصال معرفة لا اتصال خدمة ، فترجم له كثيراً من الكتب الفارسية واليونانية المنقولة قديماً إلى الفارسية . وبقي في خدمة أعمام الخليفة بقية عمره حتى قُتل بالبصرة سنة ١٢٢ قتل سُفْيَان بن معاوية وإلى البصرة بعد عزل سليمان لضيقه عليه ولاتهامه بالزندقة والكيد للإسلام بترجمة كتب الزنادقة إلى العربية . وكانت هذه التهمة مما جعل الخليفة يُهمل تحقيق مقتلَه عند ما شكاه عيسى وسليمان الوالي القاتل إليه لا كما يُقال من أن الخليفة أمر الوالي بقتله انتقاماً منه لكتابته صورة أمان يؤخذ على الخليفة لأحد أعمامه الخارجين عليه <sup>(٤)</sup> وإخراجِه فيه بالايمان المغلظة إذ أن ذلك مما يميل عنه مقام أبي جعفر

( ١ ) الحلبه جامعة الخيل السابق ، وتستدل مجازاً في الطائفة من عظماء الرجال

( ٢ ) مكان كان بطرف البصرة على طريق القادم من البادية يجتمع فيه فصحاء عرب البصرة ويخطبون ويقتاضون وهو الذي خلف عكاظ في الجاهلية

( ٣ ) أحد ولاد بني أمية على العراق

( ٤ ) هو عبد الله بن علي خرج على المنصور بالشام والجزيرة فسير عليه أبا مسلم الحراساني فهزم جموعه وفر عبد الله إلى البصرة محتبياً بأخويه اسماعيل وسليمان فطلبه المنصور منهما فلم يجيباه إلا بأمان لبس عبد الله علبان شروطه قبل ذلك المنصور فأمر ابن المقفع كتابتها أن يجرر أماناً



## أخلاقه وبلاغته

كان نادرة في الذكاء ، غاية في جمع علوم الفقه والحكمة وتاريخ الفرس ، متادباً متعففاً قليل الاختلاط الأيمن على شاكلته ، كثير الوفاء لأصحابه  
وكان أمة في البلاغة ورصانة القول وشرف المعاني الى بيان غرضي ، وسهولة لفظي ، ورشاقة أسلوب. ولا توصفُ بلاغته بأحسن مما وصف هو البلاغة حيث يقول ( البلاغة هي التي اذا سمعها الجاهل ظن أنه يحسن مثلها ) وكان يرى أن الشيع لوجش الكلام طمعا في نيل البلاغة هو الي الأَكْبَرُ . وينصح للكتاب باتباع ما سهل من الألفاظ مع التجنب لألفاظ السقطة . وقد ذاعت طريقة ابن المقفع وعبد الحميد في توشي السهولة وسلاية التيسير مع العناية بإجادة المعنى بين الكتاب من أهل زمانها ومن بعدهما ، وانما صعبت عبارة ابن المقفع في الأدبين الصغير والكبير ونحوهما لأنه ساقها مساق الفلسفة ، ويغلب على أساليبه فيها القياس المنطقي وتصورات الفلاسفة الدقيقة التي قلما تظهر للقارئ إلا بعد الكد  
وقد ترجم ابن المقفع كتباً عدة من الفارسية الى العربية من أشهرها كتاب كَلِيلَة وَدَمْنَة (١)

وله في الأدب كتاب الأدب الصغير والأدب الكبير وكتاب الدرة اليتيمة وهي لاتزال مكنونة في طي الخفاء وانما طبع الأدب الكبير معنوا باسمها خطأ ثم طبع في مصر مسمى باسمه الحقيقي ؛ وهالك نموذجاً من قصار رسائله

يتصّب في شروحه كان مما كتب (ومضى غير أمير المؤمنين بسمه عبادة شلّوه طوائق ودوابه حبس وعينه أحرار والمسلمون في حل من يست ) فاشتد ذلك عليه وخاصة أمر البيعة ، وحققها على ابن المقفع فيقال انه أوعز الى سفيان وإلى البصرة بقتله خفية . فزاره ابن المقفع يوماً لأمر فقتله وأحرقه وذرى رماده

( ١ ) المعروف أن ابن المقفع ترجم هذا الكتاب من الترجمة الفارسية الشهيرة عن الهندية ويرى بعض أهل الأدب من المتقدمين وكثير من أدباء الأفرنج المسترئين أنه من وضعه وأنه نحله الهند القدماء لترغيب قراء زمانه في مطالعة كتب الحكمة والفلسفة التي لم يكونوا يجهلون لها الا اذا استندت الى القدماء ونحن نتابع اصحاب هذا الرأي ولنا ولهم في ذلك أدلة كثيرة يضيّق المقام عن ذكرها

### قال في السلامة

(أما بعد) قد أتاني كتابك فيما أخبرتنا عنه من صلاحك وصلاح من قبلك. وفي الذي ذكرت من ذلك نعمة مجللة عظيمة يُحمدُ عليها وليها المنعم المتفضل الممجد. ونسأله أن يلبسنا وإياك من شكره وذكره ما به مزيدها وتأديتها. وسألت أن أكتب اليك بخبرنا، ونحن من عافية الله وكفايته ودفاعه على حال لو أظنبت في ذكرها لم يكن في ذلك احصاء للنعمة. ولا اعتراف بكنه الحق. فترغب للذي تزداد نعمة علينا في كل يوم وليلة تظاهراً ألا يجعل شكرنا مقوصاً ولا مذكولاً<sup>(١)</sup>. وأن يرزقنا من كل نعمة كفاها<sup>(٢)</sup> من المعرفة بفضلها فيها والعمل في أدائها حقاً أنه وليّ قدير

وعزّي بعضهم فقال:

حَلَّاهُ (أما بعد) فإن أمر الآخرة والدنيا بيد الله هو يدبرهما ويقض فيهما ما يشاء. لا راد لقضائه، ولا معقب لحكمه؛ فإن الله خلق الخلق بقدرته، ثم كتب عليهم الموت بعد الحياة لتلاّ يطعم أحد من خلقه في خلد الدنيا، ووقت لكل شيء ميقات أجل لا يستأخرون عنه ساعة ولا يستقدمون؛ فليس أحد من خلقه إلا وهو مستيقن بالموت، لا يرجو أن يخلصه من ذلك أحد. نسأل الله تعالى خير المتقلب. وبلقي وفاة فلان فكانت وفاته من المصائب النظام التي يُحتسب ثوابها من ربنا الذي إليه مقلبتنا ومعادنا وعليه ثوابنا

فعليك بقوى الله والصبر وحسن الظن بالله؛ فإنه جل لأهل الصبر صلوات منهُ ورحمة وجعلهم من المهتدين

(١) أي دخله شيء من الرياء ونحوه

(٢) أي جزاءها

## ابراهيم الصولي .

هو أبو اسحق ابراهيم بن العباس بن محمد بن صول<sup>(١)</sup> كاتب العراق وأشعر أصحاب المقطعات . نشأ ببغداد في بيت كتابة وبلاغة ، ف تلقى العلم والأدب عن أهله وأئمة زمانه ، واشتغل بالشعر في حداثته ، فبرع فيه ، وتكسب به . ورحل الى العمال والأمرء بمدحهم ويستمتع جدواهم . ثم قصد الفضل بن سهل وزير المأمون أيام مقامه معه بخراسان<sup>(٢)</sup> ومدحه ومدح علي بن موسى الرضى العلوى الذى جعله المأمون بمساعى الفضل ولّى عهده ، فوهب له على عشرة آلاف درهم . وجعله الفضل كاتباً لأحد قواده . وبعد أن قُتل الفضل وشيئ به الى المأمون فوجد عليه ، ثم عفا عنه وبقي ينتقل في أعمال النواحي والدواوين حتى كان زمن الواثق عاملاً على الأهواز<sup>(٣)</sup> فتاحل عليه وزيره ابن الزيات ( وكان قبل صديقاً له ) فزله وسجنه بها . فكتب اليه كتباً بليغة وقصائد كثيرة يستعطفه بها ، فلم يزد ذلك إلا جفاء وغلفة . ثم أطلع الواثق على ذلك فأطلقه . وتولى ديوان الصنایع والتفقات في خلافة المتوكل . وكانت بلاغته وطرّفه يسترآن صفته في عمله لقلة بضاعته في الحساب . ولم يعفّه عن تقلد الوزارة إلاّ اشتهاره بالخلاعة ومات بسراً من رأى سنة ٢٤٢ هـ . وعمره سبعون سنة ، وكان ابراهيم أحد كتّاب الدنيا في زمانه ويلقبُ بكاتب العراق . وكانت معانيه التى يستخدما في كتابته كلها مبتكرة . وباعتماده على نفسه واختراعه للمعاني صار كلامه قدوة لغيره ، حتى ضارع الأمثال في الشهرة ثراً ونظماً . وهو أحد الذين واعوا الأزواج في فقرات الكتابة ، فاقتدى بهم غيرهم ، وأحد الذين اشتهروا في التمازى

- ( ١ ) كان صول هذا وأخوه فيروز ملكي جرجان وما من التتريك تمجداً وتشبهاً بالفرس ثم أسلما على يد يزيد بن المهلب بن أبي صفرة قائم جرجان زمن بنى أمية ، فلما قتل يزيد دخل ابننا صول محمد وسعيد في الدعوة العباسية وتسلم أولاد سعيد الكتابة
- ( ٢ ) أقام المأمون بخراسان مدة ولايته عليها زمن الأمين كله ومدة محاربه له ثم بعد قتله وأول الخلافة اليه بنى بها حتى خلفه أهل بغداد وولوا ابراهيم بن المهدي خليفة فرجع الى بغداد وفر ابراهيم ( ٣ ) اعلم حرقى البصرة

ومن رسالته تنزية عن لسان المتصرب بالله الى طاهر بن عبد الله مولى أمير المؤمنين  
(أما بعد) تولى الله توفيقك وجا طاعتك . وما يرتضيه منك ويرضاه عنك .  
إن أفضل النعم تَلَقَّيْتُ بحق الله فيها من الشكر . وأوفر حادثة ثواباً حادثة  
أُدرى حق الله فيها من الرضا والتسليم والصبر . ومثلك من قدّم ما يجب لله عليه في  
نِعمة فشكرها ، وفي مصيبة فأطاعه فيها . وقد قضى الله سبحانه وتعالى في محمد بن اسحق  
مولى أمير المؤمنين (عنا الله عنه) قضاءه السابق والموقع . وفي ثواب الله ورضا أمير  
المؤمنين (أدام الله عزه) وتقدير ما يُقدّم مثله أهل الحجا والفهم ما اعتاضه معاضاً ،  
وقدّمه موقّ . فليكن الله (عز وجل) وما أطلعت به وقدّمت حقّه فيه أولى بك  
في الأمور كلها ؛ فانك إن تقرب اليه في المكروه بطاعته يُحسِّن ولايتك في توفيقك  
لشكر نعمه عندك

ومن رسالته القصار ما كتب به في الشفاعة الى أحد اخوانه وهي  
(فلان ممن يركو شكره ، ويحسن ذكره ، ويُعنى بأمره ، والصنيعة عنده واقعة  
موقّها ، وسالكة طريقها

. وأفضل ما يأتيه ذو الدين والحجا أصابة شكر لم يضع معه أجر

ومنها على لسان المتوكل لأهل حص الخارجين عليه . وهي من الرسائل التي  
أغنت عن الجيوش

(أما بعد فان أمير المؤمنين يرى من حق الله عليه مما قوم به من أوجّه ، وعدل  
به من زنج ، ولم به من منتشر ، استعمال ثلاث يُقدّم بمضنه على بعض ، وأولاهن  
ما يُقدّم به من تنبيه وتوقيف ، ثم ما يستظهر به من تحذير وتخوف ، ثم التي لا يقع  
بحسب اللاء غيرها - نسب

إنّ الله فان لم تُغن عقب بعدها وعيداً فان لم يُغن أغنت عزائمه

## ابن العميد

هو الأستاذ الرئيس الوزير أبو الفضل محمد بن الحسين العميد ، كاتب المشرق ، وعماذ ملك آل بويه وصدر وزرائهم

وهو فارسي الأصل من أهل مدينة ( قُم )<sup>(١)</sup> كان أبوه كاتباً مترسلاً بليغاً من كبار كتاب الدولة السامانية<sup>(٢)</sup> فتشأ ابنه شغوفاً بمعرفة العلوم العقلية والسانية فبرز في علوم الحكمة والنجوم ونيف في الأدب والكتابة حتى قيل فيه . ( بُدئت الكتابة بعبد الحميد وَخُتِمتْ بِابْنِ العميد ) ثم رحل عن أبيه إلى آل بويه وتقلد شريف الأعمال في دولتهم إلى أن تولى وزارة ركن الدولة<sup>(٣)</sup> سنة ٣٢٨ فساس دولته ووطد أركانها ونشبه بالبرامكة ففتح باباً للعطاء والفلاسة والشراء والأدباء ، وكان يشاركهم

( ١ ) بلد بفارس

( ٢ ) هي من الدول التي استقلت في أواسط الدولة الساسية استقلالاً داخلياً وكانت تحكم أواسط آسيا ومقرها بخارى وما وراء النهر وهم من سلالة الأكاسرة

### أمراء الدولة السامانية

اسماعيل بن احمد الساماني ( ٢٨٧ - ٢٩٥ )	منصور بن نوح ( ٣٠٠ - ٣١٥ )
احمد بن اسمعيل ( ٢٩٥ - ٣٠٠ )	نوح بن منصور ( ٣١٥ - ٣٨٧ )
نصر بن احمد ( ٣٠٠ - ٣٣٠ )	منصور بن نوح ( ٣٨٧ - ٣٨٩ )
نوح بن نصر ( ٣٣٠ - ٣٤٣ )	عبد الملك بن نوح غاية اشهر
عبد الملك بن نوح ( ٣٤٣ - ٣٥٠ )	

### بقية خلفاء الساسيين

عبد الله المتكفي بالله ( ٣٣٣ - ٣٣٤ )	المنصور الراشد ( ٥٢٩ - ٥٣٠ )
القاسم الملقب بالله ( ٣٣٤ - ٣٦٣ )	محمد المتقي لأمر الله ( ٥٣٠ - ٥٥٥ )
أبو بكر الطائغ بالله ( ٣٦٣ - ٣٨١ )	يوسف المستجد بالله ( ٥٥٥ - ٥٦٦ )
احمد القادر بالله ( ٣٨١ - ٤٢٢ )	حسن المستفي بأمر الله ( ٥٦٦ - ٥٧٥ )
عبد الله القائم بأمر الله ( ٤٢٢ - ٤٦٧ )	احمد الناصر لدين الله ( ٥٧٥ - ٦٢٢ )
عبد الله المتعدي بأمر الله ( ٤٦٧ - ٤٨٧ )	محمد الظاهر بأمر الله ( ٦٢٢ - ٦٢٣ )
احمد المستظهر بالله ( ٤٨٧ - ٥١٢ )	منصور المستنصر بالله ( ٦٢٣ - ٦٤٠ )
فضل المسترشد بالله ( ٥١٢ - ٥٢٩ )	عبد الله المستنصر بالله ( ٦٤٠ - ٦٥٦ )

( ٣ ) ركن الدولة هو أبو علي الحسن بن بويه والد عضد الدولة المشهور

في كل ما يملون الألفه، وما زال في وزارته مَحْطُّ الرِّحال ، وكتبه الآمال ، حتى  
توفي سنة ٣٦٥ هـ

وكان ابن العميد أول من فتح باب الولوع بالرسائل البديعية، متوخياً فيها السجع  
القصير الفقرات، مقتبساً من القرآن الكريم بعض الآيات، ومن السنة بعض الأحاديث  
المأثورة مشيراً الى الحوادث المشهورة، ناثراً فيها الآيات الحكيمة، مؤثراً بعض  
الحلية القنطرية: كالجناس والمطابقة، مضمناً الأمثال السائرة. وسأكاه في طريقته هذه  
نحول معاصريه فأصبح عيد رقتهم وضليع حلبهم وكلهم كارع من حياضه قاطف من  
رياضه، ان لم يكن بالاعتباس منه فبالشاكهة له وان كان هو أقليم التزاماً للمسجوع،  
وأقربهم الى المطبوع

ومن رسالته الى عبد الله الطبري

كتابي اليك وأنا بحال لو لم يَنْقُصْها الشوق اليك، ولم يُرْتَقِ<sup>(١)</sup> صفوها النزوعُ  
نحوك، لعدتها من الأحوال الجميلة. وأعددت حظي منها في النعم الجليلة. فقد  
جمعتُ فيها بين سلامة عامة. ونعمة تامة؛ وحظيت منها في جسي بصلاح، وفي  
سعي بنجاح. لكن ما بقي أن يصفو لي عيش مع بعدى عنك، ويخلو ذرعي<sup>(٢)</sup> مع  
خُلُوِي منك، ويسوغ لي مطعم ومشرب مع افرادى دونك، وكيف أطمع في  
ذلك وأنت جزء من نفسي، وناظم لشملي أنسي، وقد حُرِمت رؤيتك، وعدمت  
مشاهدتك. وهل تسكن نفس متشعبة ذات اقسام<sup>(٣)</sup> وينفع أنسُ بيتٍ بلا  
نظام<sup>(٤)</sup>. وقد قرأت كتابك جعلني الله فداك فامتثلتُ سروراً بملاحظة خلقك،  
وتأمل تصرفك في لفظك. وما أفرظهما؛ فكل خصالك مفرط عندي، وما أمدحهما  
فكل أمرك مدح في ضميري وعقدي<sup>(٥)</sup> وأرجو أن تكون حقيقة أمرك موافقة  
لتعديري فيك، فان كان كذلك<sup>(٦)</sup> والآن قد غطي هواك وما ألقى على بصري

(١) يكسر (٢) الترفع: الخلق — أي لا يتسع خلق وصدري مع خلوي منك  
(٣) أي عطرهما عندي وطرهما عنك (٤) أي بانك انت نظام وقد ثبتت عنه طياته النظام  
(٥) أي امتعادي (٦) أي فهو ما أرجوه — وكثيراً ما يمدحون الجواب لي  
مثل هذا المظم

## الصاحب بن عباد

هو كافي الكفاة أبو القاسم اسمعيل الصاحب بن عباد وزير آل بويه وكتائبهم وأحد المذيعين للسمع والجناس

ولد سنة ٣٧٦ هـ بطالقان قزوین . وكان أبوه من خيرة كتاب دولة بني بويه ووزرائهم . تعلم العلم والأدب والكتابة من أبيه ، ثم اتصل بابن العميد ، فزيم صبحته وأخذ عنه الأدب ، ونولى له كتابة خاصته . ثم تقلت به الأحوال في خدمة ملوك بني بويه ، فكان وزيراً لمؤيد الدولة ، ثم لأخيه غفر الدولة ، وله في ملكها اليد الملقطة والأمر النافذ حتى مات سنة ٤٨٥ هـ . وكان مجلسه على تبيته وعجبه بنفسه آخر مجلس لوذير جمع بين العلماء والقراء والكتاب والمصنفين والمتكلمين والشيعية . ولهم منه حفظ موفور ، وله منهم لسان شكور

ويُعد ابن عباد في الكتابة ثانی ابن العمید في حليته وأبلغ من سلك طريقته ، غير أنه أبلغ بالسمع والجناس ، ولا يعرف بهما من بلغ بشرف العلم والأدب مبلغهما ولا حل من شرف الملك والسلطان بمهنة الكتابة منزلتهما وهو في العلم من كبار المصنفين . ومن أعظم مصنفاته الكثيرة كتابه ( المحيط ) في اللغة في سبع مجلدات أو عشر

ومن رسائله ما كتب به الى بعض السادة وقد أهدى الى ابن عباد مضمناً البره « أدام الله الشيخ » أنواع ، تطول به أنواع <sup>(١)</sup> وقصر عنه أنواع ، فان يكن فيها ما هو أكرم منصيباً ، وأشرف منسياً ، فتحته الشيخ ، إذ أهدى ما لا تشاكلة النعم ، ولا تعادله التيمم ، : كتاب الله وبيانه ، وكلامه وقرآنه ، ووحية وتزييله ، وهداه وسبيله ، ومعجز رسول الله صلى الله عليه وسلم ودليله ، طبع <sup>(٢)</sup> دون معارضة على الشفاء . وختم على الخواطر والأفواه ، قصص عنه الثقلان ، وبقى ما بقي الملوكان ، لا تخفى سراجته ، واضمح منهاجه ، منير دليله ، عميق تأويله ، يقصم كل شيطان مريد ،

(١) جمع بلغ (٢) تتم الطابع أى لا يارض

ويُذِلُّ كلَّ جبار عنيد، وفضائلُ القرآن، لا تُحصى في ألف قرآن، <sup>(١)</sup> فأصِفُ الخط الذي بهر الطرفَ، وفاق الوصفَ، وجمع صحَّة الأقسام <sup>(٢)</sup>، وزاد في نخوة الأفلام بل أصفه بترك الوصف فأخباره آثاره، وعينه قراره، وحَقُّ أقولُ اتى لا أحسبُ أحداً ما خلا الملوك جمع من المصاحف ما جمعت، وابتدع في استكتابها ما ابتدعت، وإن هذا المصحف لرائد عن جميعها زيادة الفرع على الفرع، بل زيادة الحج على العمرة.

### أبو بكر الخوارزمي

هو أبو بكر محمد بن العباس الخوارزمي الكاتب الشاعر اللغوي الأديب الرحالة، فخرُ خوارزم وصاحب الرسائل المشهورة

وُلد بخوارزم <sup>(٣)</sup> سنة ٣٧٣ هـ ونشأ بها. وكان ضليعاً في كل فن من فنون العربية وخاصة الكتابة والشعر، جاب الأقطار، ودخل الأمصار، من الشام إلى أقصى خراسان في استفادة العلم والأدب وإفادتهما: وكان كثيرَ الحفظ للشعر غزير المادّة من اللغة. قيل إنه قصد حضرة الصاحب بن عباد وهو بأرجان فلما وصل إلى بابه قال

( ١ ) القراءان الثانية بمعنى الجمع أى أن فضائله لا تحصى في ألف كتاب جامع

( ٢ ) أى الاجزاء أى نسبة اجزاء الحروف

( ٣ ) اقيم على بحر خوارزم للمسى الآن بحيرة أورال. وما رواه ياقوت من بعض متأخري أدبائها وعن مستجى أهلها من أنهم ينطقونها بضم الحاء ضمة غلظة إلى الفتحة وأنه لا تحقيق لواء ولا لألف أى أنه ينطق بها بحرف ( O ) الفرنسي عدول عن التهرب الصحيح المطابق لقواعد النطق العربي، ولذلك لم يشع في شعر فصحاء الأدباء من أمثال الصاحب بن عباد في قوله:

أقول ركب من خراسان قائل أمات خوارزميكم قيل في نعم

قلت اكتبوا باليس من فوق قبره ألا لمن الرحمن من سكفر النعم

فلو نطقت في هذا الشعر كما ينطقها مستجى أهلها لاختل الوزن. والذي يدل على أن تحقيق الواو والألف هو أصل العربية ما رواه ياقوت نفسه عن شاعر عربي من بني أسد في أبيات:

وغالت من جبال السند نفسي وغالت من جبال خولوزم

لجرى الشاعر على أتمها مركبة من كلمتين خوار بمعنى ( اللحم ) ووزم بمعنى ( حطب ) في قصة مروية عن قدام أهلها فلهم ذلك وارضى كل تهرب لا يطاق الهجاء العربي



لأحد حجاب قـل للصاحب على الباب أحد الأدباء وهو يستأذن في الدخول ، فدخل الحاجب وأعلمه ، قال صاحب قـل له قد أئـمت نفسي ألا يدخل علي من الأدباء إلا من يحفظ عشرين الف بيت من شعر العرب ، فخرج اليه الحاجب وأعلمه بذلك ، فقال له أبو بكر ارجع اليه وقل له هذا القدر من شعر الرجال أم شعر النساء فدخل الحاجب فأعاد عليه ما قال ، قال صاحب هذا يكون أبا بكر الخوارزمي ، فأذن له في الدخول فدخل عليه فمرغه وانبط له

وقلب الخوارزمي في خدمة كثير من الملوك والأمراء والوزراء ، في الدول المتفرعة عن الخلافة ، وجئهم يومئذ من الشيعة ، فاصطبغ بصبغة التشيع أيضاً ، حتى ألقى عصا التسيار بمدينة نيسابور<sup>(١)</sup> وطلب عيشة بها الى أن مي في آخر أيامه بمساجلة بديع الزمان الهمداني ومناظرته ومنازلته ، وأعانه عليه قوم من أعيان البلدة ووجوها . فانخلخل انخذلاً شديداً ، وكسف باله . ولم يحل عليه الحول حتى مات سنة ٣٨٣ هـ

وكان الخوارزمي ممن يجري على طريقة ابن الميـد في الكتابة متوخياً جزالة الألفاظ ، محتفلاً بصحة المعاني مع ميل في الى الغريب

ومن قصار رسائله ما كتبه الى تلميذه له

ان كنت ( أعزك الله ) لا تراثاً موضعاً للزيارة ، فنحن في موضع الاستزارة ، وان كنت تستند أنك قد استوفيت ما كان لدينا ؛ فسقط حقنا عنك وبجر حقك علينا ، قد يزور الصحيح الطيب بعد خروجه من دانه ، واستغاثه عن دوائه ، وقد تجتاز الرعية على باب الأمير المزعول ، فتجمل له ، ولا تميزه عزله . ولو لم تزرنا إلا لترينا رجحانك ، كما طلما رأينا قصصانك ، لكان ذلك فضلاً صائباً ، وفي القياس واجباً

( ١ ) كانت مدينة شهيرة من مدن خراسان دمرها التتر عند اجتياحهم الممالك الاسلامية فخرت ولم تهر بعد

## ..... بديع الزمان الهمذاني

هو أبو الفضل أحمد بن الحسن الكاتب المترسل والشاعر المبدع ؛ حافظ عصره ، وأذكى دهره ، وقدوة الحريري في انشاء المقامات ، وقريع الخوارزمي في المباديات والمكاتبات

نشأ بهمدان<sup>(١)</sup> ، ودَرسَ الربيعة والأدب ونبع فيها ، وضرب في الأرض يتكسب بأدبه ثم أقام بنيسابور مدة ألقى بها أربعمائة مقالة<sup>(٢)</sup> بلفظ رشيق ، وجميع رقيق ؛ وعلى منوالها نسج الحريري . ثم شجر بينه وبين الخوارزمي ما كان سبباً في هبوب ريحه وبُعد صيته ؛ إذ لم يكن في الحُصْبَان أن أحداً يجترئ على الخوارزمي وبموت الخوارزمي خلا له الجوُّ عند الملوك والأمراء ، فتجول في حواضرهم ، ثم استوطن هراة<sup>(٣)</sup> وصاهر أحد أعيانها العلماء ، فحسنت حاله ، ونعم بالله ، ولكن النسيئة عاجلته وهو في سن الأربعين سنة ٣٩٨ هـ

وكان البديع أسرع أهل زمانه بديهية . واكثرُ كتابته وشعره . رنجل . وكانت عبارته لينية سهلة قصيرة السجع ، تشهد بأن صاحبها لم يكدح فيها خاطره . ولم تعمل في صنعتها . وكان لِحِدَّةِ ذهنه ، وغزارة مادته ، وتمكُّنه من صناعته ، تلقى عليه القصيدة الفارسية فيترجمها في الحال الى العربية شعراً ، ويقترح عليه الكتاب فينتدئ بآخر سطره وينتهي بأوله ويُخرجه كأحسن ما يكون ومن كتابته :

يعز علي ( أيد الله الشيخ ) أن ينوب في خدمته قلبي ، عن قدمي ، ويسعد برويته رسولي ، قبل وُصولي ، ويريد مشرع الأُمس به كتابي ، قبل رِكا بي ، ولكن ما الحيلة والعواقب جمة

وعلى أن أسعى ولينسنس على إدراك النجاح  
وقد حضرت داره ، وقيلتُ جداره ، وما بي حبٌ للحيطان ، ولكن شغفتُ  
بالتطآن ، ولا عشقٌ للجدران ، ولكن شوقٌ الى الشكان

( ١ ) مدينة شمال فارس ( ٢ ) أطلقت المقامة في ذلك العصر على كل قصيدة خيالية  
انشدت بعبارة مسجومة غالباً بخلاصة بأنواع البديع مشتقة على كثير من الغريب  
( ٣ ) هي مدينة عطية يلاذ الاقنان قيل ان الاسكندر المقدوني هو الذي بناها

## ابن زيدون

هو الكاتب الشاعر ذو الوزارتين أبو الوليد أحمد بن عبد الله المشهور بابن زيدون الخزرجي الأندلسي. نشأ في مدينة قرطبة<sup>(١)</sup> وكان من أعيان قضاها، وتأدب على كبار أئمتها، وقال الشعر وأجاده، وحفظ من مشهور شعر القدماء والمحدثين ما جرى مجرى الأمثال، ومن أخبار العرب وأيامها وأمثالها وحكمها شيئاً كثيراً ولما نبه شأنه بين شعراء قرطبة وكتابها وأدبائها، اتصل بأبي الوليد بن جهور أحد ملوك الطوائف، فخطب عنده، ومدحه (ابن زيدون) بالقصائد الطائفة، وصدرت عنه في دولته الرسائل البديعة حتى أصبح لسان دولته الناطق، وحسامها المسلول. فأفسد أعداؤه ما بينه وبين ابن جهور، وأحسن منه بدالة عليه ظنّها بمالأة لأعدائه فاعتقله. ومكث في مخبئه مدة استشفع فيها إليه بقصائد أبدعها، ورسائل استنفذ فيها جهده، فما ألانت له قلباً، ولا نقت له عطاءً. فأعمل الحيلة في فراره من محبسه، وخلص إلى المعتضد بن عباد ملك إشبيلية<sup>(٢)</sup> إذ كان أشد ملوك الطوائف رغبة فيه، وأكثرهم تمسكاً بالأدباء، كما كان أبسطهم رقةً لملك، فالتقى إليه مقابلد وزارته، وأصبح صاحب أمره ونهيه، وشريكه في مجلس جده وأنسه

ولما مات المعتضد وخلفه ابنه المعتضد، كان له كما كان أبوه وأغدق عليه بره ونعمه ومكث ابن زيدون على هذه الحال حتى مات بإشبيلية سنة ٤٦٣ هـ ولما كان ابن زيدون منذ نشأته مطبوعاً على الشعر غلبت ملكته عليه في كتابته إذ كانت مجموعة آيات مشورة، وتلخيصات إلى حوادث مشهورة وأمثال وحكم في قمار غير مسجوعة ظاهراً، سالكاً فيها طريق التحويل والمبالغة في فروضه وأقيسته وتشبيهاته. وجرى على ذلك في رسالتيه: الجديّة التي استعطفت بها ابن جهور،

(١) مدينة عظيمة على نهر الوادي الكبير بالأندلس. وكانت قاعدة الدولة الاموية وآل

جهور من ملوك الطوائف بينهم

(٢) مدينة عظيمة على نهر الوادي الكبير أيضاً بالقرب الجنوى من الأندلس ولا تزال

إلى الآن من أهم مدنها.

والهزلية التي كتبها على لسان ولادة بنت المستكفي يتهم فيها بالوزير أبي عامر ابن عبدوس

وقد شرحها الأدباء وعثوا بتفصيل ما فيها من الأخبار والأشعار والحكم وتراجم الشعراء ، وأشهر تلك الشروح شرح ابن نباتة للهزلية والصغدي للجديّة . ولولا جمع هاتين الرسلتين لكثير من فنون اللغة والأدب والتاريخ ما نسخت شهرته بالكتابة عند المتأخرين شهرته بالشعر عند المتقدمين حتى كان يلقب عندهم بـ *يُحَاوِرِي* المغرب . ولا يقدح ذلك في بلاغته ، وفصاحة عبارته ، فقام الرجل في سعة اطلاعه وسرعة خاطره أشهر من أن ينوّه به ؛ فقد قيل انه دفن بنتاً له ، ووقف ليشكر الناس لتشييع جنازتها فما أعاد في ذلك الوقت عبارة قالها لأحد ، وتلك غاية لا تدرك في القدرة على صناعة الكلام

#### ومن فصوله في الرسالة الجديّة

هذا العتبُ محمود عواقبه ، وهذه النبوة <sup>(١)</sup> غمرة <sup>(٢)</sup> ثم تنجلي ، ومحاكاة صيفٍ عن قليل تفسح <sup>(٣)</sup> ، ولن يربّي <sup>(٤)</sup> من سيدي أن أبطأ سيئه <sup>(٥)</sup> ، أو تأخر (غير ضنين) غناؤه <sup>(٦)</sup> ، فأبطأ الدلاء <sup>(٧)</sup> فيصنأ أملاؤها ، وأثقل السحاب مشياً أحفلها <sup>(٨)</sup> ، وأفزع الحيا <sup>(٩)</sup> ما صادف جدباً ، وألذ الشراب ما أصاب غليلاً <sup>(١٠)</sup> ، ومع اليوم غداً ، ولكل أجل كتابٌ ، له الحمد على اهتباله <sup>(١١)</sup> ، ولا عتب عليه في اغتفاله <sup>(١٢)</sup> فان يكن الفعل الذي ساء واحداً فأفعله اللاتي سررن أوف <sup>(١٣)</sup>

(١) الجفوة (٢) أصلها من حمرة الماء تمتلئ في كل كربة تعمري المرء

(٣) تزول (٤) يوقى في الرب وسوء الظن

(٥) عطائه وعرضه والمراد به هنا الرضا والفرح (٦) نومه ومعه

(٧) جمع دلو (٨) أملاؤها (٩) المطر (١٠) شدة عطش

(١١) الأعتبال الافتتام — أي على احتشام منه نعمته السابقة

(١٢) أي أماله لي (١٣) اليه المتلبي وواحداً خبر يكن .

## القاضي الفاضل

هو أبو علي عبد الرحيم اليَسَاني <sup>(١)</sup> المُنَشي <sup>(٢)</sup> ، كاتب الديار المصرية ، وصاحبُ الطريقة الفاضلية ، والكتابة البديعية . وُلِدَ بمدينة عَسْمَلَانَ <sup>(٣)</sup> سنة ٢٢٩ وتعلَّم على أبيه <sup>(٤)</sup> وغيره . ولما شدا من العربية شيئاً قديم مصرَ وهو شابٌ أواخر الدولة الفاطمية لتعلُّم الكتابة والخدمة في الديوان . وتوجَّه إلى ثغر الاسكندرية ، وتعلَّم في ديوان ابن حديد قاضيها وكاتبها ، وظهر فضله فيما كان يرسله إلى القاهرة من الرسائل ، فاستُقدم أيام الظاهر إليها ، وكان من كُتَّاب ديوانه ، ولازم خدمة أكابر القضاة والكتَّاب في الديوان ، وأخذ عنهم ، وحاكاهم

ولما سقطت الدولة الفاطمية تولى وزارة صلاح الدين بن أيوب ، وكان يتردَّد بين مصر والشام في الحروب الصليبية ، ودبَّر الملكة أحسن تدبير . وبقي في الوزارة حتى مات صلاح الدين فوزَّر لابنه العزيز على مصر . ثم وُزِّر من بعده لأخيه ، ومات سنة ٥٩٦ هـ

وكان خبيراً ، ذنباً ، مُحَسِّناً ، وَفياً ، مُفَرِّماً بجميع الكتب . وبلغ عددُ ما جمعه من أقطار الأرض منها نحو مائة ألف مجلد . ومهرَ القاضي الفاضل في الكتابة ، وطوَّح به استقلاله فيها إلى توليد طريقة غربية أخذ أصولها عن بعض كُتَّاب الشام والوراق ومصر فجعل أصولها السجع والاستمارة والطيَّاق ومراعاة النظير والتلخيص ، وغالى جداً في التورية والجناس فأصبحت الكتابة بهذه الطريقة صناعةً محضةً تجري مع مناسبات الألفاظ أكثرَ من جرياتها مع إصابة الغرض والبلاغة . وكانت كتابة القاضي الفاضل مع كل هذه القيود بليغةً في ذاتها لسمعة اطلاعه وغزارة مادته ، وبسرعة بديهة ، وصفاء خاطره ؛ ألا أن طريقته خدعت بعده كُتَّاب مصرَ والشام ، وغرَّبت إلى الأندلس ؛ فتكلف الجري عليها كلُّ قليل البضاعة من الأدب معتمداً

( ١ ) نسبة إلى بلدة بلسطين ( ٢ ) نسبة إلى قرية لحم البياينة

( ٣ ) بلدة على ساحل فلسطين شمال غزة وهي غربة الآن

( ٤ ) هو قاضي عسقلان بهاء الدين طي اليَسَاني

على عمل البديع الذى لا يكلف صاحبه أكثر من معرفة خمسين أو ستين نوعاً منه . فظهرت سيئات هذه الطريقة فى المصور التى تلت عصره . ومن رسائله القصيرة رسالة كتبها على يد خطيب عيذاب<sup>(١)</sup> الى صلاح الدين يتشفع له فى توليته خطابة الكرك وهى :

أدام الله السلطان الملك الناصر وبقيته ، وقبّل عمله بقبول صالح وأثبتته ، وأخذ عدوه قاتلاً أو يتيه ، وأرغم الله بسيفه وكيته

خدمة<sup>(٢)</sup> المملوك هذه وارده على يد خطيب عيذاب . ولما بنا به المنزل عنها ، وقلّ عليه المرقى منها ، وسيع هذه الفتوحات التى طبّق الأرض ذكرها ، ووجب على أهلها شكرها - هاجر من هجير عيذاب وملجها ، سارياً فى ليلة أمل كلّها نهاراً فلا يسأل عن صبحها . وقد رغب فى خطابة الكرك<sup>(٣)</sup> وهو خطيب ، وتوصل بالمملوك فى هذا المتّس وهو قريب ، ونزّع من مصر الى الشام . وعن عيذاب الى الكرك وهذا عجيب . والفقر سائق عيف . والمذكور عائل ضعيف . ولطف الله بالخلق بوجود مولانا لطيف ، والسلام

### التدوين والتصنيف

كانت الحاجة الى التدوين قد اشتدت فى مبدئ الدولة العباسية لآساع ممالك الاسلام ، ولدخول كثير من الأمم المتحضرة فيه ، ولتعدد الوقائع والحوادث التى لم يكن لها نظير فيما سبق من السنة . فهب العلماء الى تهذيب ما كتب فى الصحف المتفرقة ، وما حفظوه فى الصدور ، ورتبوه وبوّبوه وصنفوه كتباً . وكان من أقوى الأسباب لاقبال العلماء على التصنيف حث الخليفة أبى جعفر المنصور عليه ، وخمّله الأئمة والفقهاء على جمع الحديث والفقهاء ، وبذله فى سبيل ذلك الأموال الجزيلة . ولم يقتصر على معاضدة العلوم الاسلامية ، بل أوّزع الى العلماء والمترجمين من السريان

( ١ ) بلدة على شاطئ البحر الاحمر كانت فرضة سفن الدمار المصرية قديماً وغربت الان

وهى جنوبى القصير ( ٢ ) اى رسالة فى اصطلاح ذلك العصر

( ٣ ) بلدة وقلة شرق فلسطين

والفرس أن يلقوا الى العربية من الفارسية واليونانية فنون الطب والسياسة والحسكة  
والفلك والتنجيم والآداب . وتأبه في ذلك أولاده وأحفاده ، حتى زحرت بحجور العلم  
واختزعت الفنون وقرعت المسائل ، ودوت الكتب في كل فن

وتميّزت بذلك العلوم في قسمين عظيمين

( ١ ) العلوم الاسلامية من شرعية ولسانية

( ٢ ) العلوم الكونية المنقولة

ولكل من هذين في نشأته طريق محدود ، ورجال معدودة . ويعتبرون أن  
سنة ١٤٣ هـ مبدأ النهضة العلمية العربية<sup>(١)</sup>

### كتابة التصنيف والتدوين

وكانت كتابة التصنيف والتدوين في القرن الأول وبعض الثاني من النهضة  
عبارة عن سلسلة من الروايات المسندة الى رؤتها : من أحاديث نبوية ، أو أقاويل  
صحابة ، أو فتاوى قضاة ، أو أشعار أعراب ، أو أخبار فتوح ، أو نوادر أو غير ذلك  
وبعضها يروى بلفظ أصحابها غالباً ، كما في الشعر والخطب والرسائل ، وبعضها بلفظ  
الراوى ، كما في أخبار الفتوح والتاريخ والقصص . ثم ظهرت بعد ذلك في العلوم  
الشرعية واللسانية طبقات الاستنباط والتعليل والتفريع والشرح والاختصار وجمع  
الفروع تحت كليات عامة ؛ فلم يكن للمؤلفين بد من حذف أسانيد الروايات وترك  
الحفاظة على قلها بلفظها الأ في الحديث ونحوه

أما كتب العلوم المترجمة فكانت عبارتها هي تفسير ألفاظها الأعجمية بالعربية .  
ولم تكن ترجمتها جيدة في عصر المنصور . ثم صيحت ترجمتها في زمن الرشيد والمأمون  
ثم لما أثن كثير من فلاسفة المسلمين هذه العلوم كتبوا فيها ببارتهم . وكانت أول

( ١ ) وهي سنة حج فيها المنصور والتقى في المدينة بجاك بن انس وامره بتأليف كتاب  
الموطأ في الفقه والحديث ، وعند رجوعه الى الامصار أوجع نفسه وبولائه الى العلماء يتدوين  
الكتب في كل فن ، وكان أكثرهم يحجم عن التأليف خوفاً من الزلزال ومن أن عملهم قد  
يلقى على طول الزمان الى تحريف الدين وخطئه بآراء الناس

أمرها بليفةً مفهومةً ثم عموها على بعض الفقهاء المَكْفَرِينَ لهم والمُعَرِّين الأُمراء والسلاطين قتلهم، حتى أصبحت عبارة كُتِبَ الفلسفة والتوحيد أصعبَ ما يقرأ باللسان العربي

## العلوم اللسانية ونشأتها

العلوم اللسانية هي الأدب، والتاريخ، والمروء، والنحو، واللغة، والبلاغة

### الأدب

علم الأدب بالمعنى الذى ذكرناه فى أوّل الكتاب يمتاز من بقيّة العلوم الصناعية ذواتِ القواعد كالنحو والبلاغة ومن التاريخ وفروعه، وإن كان يتوقف على الإلمام بها. وكانت كتبه فى أوّل هذا العصر رسائلَ يَبْحَثُ كُلٌّ منها فى ضرب خاصٍّ من ضروبه، كرسائل ابن المقفع ورسائل سهل بن هرون فى الأخلاق، وكتاب النوادر، وكتاب الأراجيز، وكتاب الشعر للأصمى، وكتاب الشعر والشعراء لأبى عبيدة<sup>(١)</sup>. وإذا تابعنا من يقول إن ابن المقفع هو الذى ابتدع كتابَ كَلِيَّةٍ ودُنَّةٍ ونَحْلَةٍ الهذلى والفُرس كان هذا الكتابُ أوّلَ كتاب ظهر فى الأدب العربى الخاصِّ بموضوع واحد وأوّل كتاب ظهر فيه جامع لفنون كثيرة منه كتابُ البيان والتبيين، وكتابُ الحيوان للجاحظ المتوفى سنة ٢٥٥، واقتنى أثره أحمد<sup>(٢)</sup> بن طيغور فى كتابه العظيم المنظوم والمنثور فى أربعة عشر جزءاً، ثم أبو العباس محمد المبرد<sup>(٣)</sup> فى الكامل

---

(١) هو أحد الكتاب والمؤلفين من أبناء الفرس وكان شعوبياً يتلصّف ويغفل البطل على الجرد، وخدم فى دولة المأمون بالترجمة والتأليف والقيام على الكتب

(٢) هو مومس بن المثنى أحد أئمة السرية وقرين الأصمى فى المنزلة والتلمذة للقطيل. وكان شعوبياً أيضاً تولى سنة ٢٠٩

(٣) هو من تلاميذ الجاحظ تولى سنة ٢٨٠ ويوجد من كتابه هذا ثلاثة أجزاء فى دار الكتب السلطانية

(٤) أخذ العلم عن تلاميذ الأصمى وكان امام البصريين فى زمانه وكتاباه الكامل وخيرة كتب الأدب الطويلة وتوفى سنة ٢٨٥



والروضة، ثم أبو حنيفة<sup>(١)</sup> الدَّيْنَوْرِي، وأبو بكر محمد الصُّوْلِي<sup>(٢)</sup> وابن قُتَيْبَةَ<sup>(٣)</sup> صاحب أدب الكاتب، وابن عبد ربه صاحب العقد الفريد، وأبو علي القالي<sup>(٤)</sup> صاحب الأمالي، وأبو<sup>(٥)</sup> الفرج الإصبهاني صاحب الأتقي وغيرهم ومن أشهر المؤلفين في الأدب الجاحظ وأحمد بن عبد ربه والحريزي وهما يترجمهم :

### الجاحظ<sup>(٦)</sup>

هو امام الأدب أبو عثمان عمرو الجاحظ بن بَجْرِ بن محبوب الكِنَانِي البَصْرِي صاحبُ التصانيف المُتَمِّمة والرسائل المبدعة  
وُلِدَ حوالي سنة ١٦٠ بمدينة البصرة، ونشأ بها، فتناول كل فن، ومارس كل علم عُرف في زمانه، مما وُضِعَ في الاسلام أو قَبْلَ عن الأمم الأوائل، فأصبح له مشاركة في عليم كل ما جُمِعَ عليه الحسُّ أو يَحْطُرُ بالبال؛ فهو راوية، متكلم، فيلسوف، كاتب، مصنف، مُترسِّل، شاعر، مؤرِّخ، عالم بالحيوان والنبات والديوات، وصَافٍ لأحوال الناس ووجود ما يشهم واضطرابهم وأخلاقهم وحيلهم إلا أنه غلبَ عليه أمران : الكلامُ على طريفة المعتزلة، فهو بذلك امامُ الطائفة الجاحظية من المعتزلة، والأدبُ المزوجُ بالفلسفة والفكاهة؛ فهو أول من ألف الكتب الجامعة لِفَنونه ككتاب البيان والتبيين وكتاب الحيوان وغيرهما  
وكان غاية في الذكاء ودقة الحسِّ وحسن الفراسة؛ إلى جُلابة فاشية، وقلة

(١) هو أعلم علماء النبات وكتاب النبات له من إسهامات كتب هذا الفن وله غيره تأليفات كثيرة في الأدب وتوفي سنة ٢٨٢ (٢) من كبار مؤلفي الأدب وطرقه التمداد والسب اهل زمانه بالشطرنج وتوفي سنة ٣٣٥

(٣) هو أبو محمد عبد الله بن مسلم من كبار كتاب الأدب وأئمة الفقه والنحو توفي سنة ٢٢٢ (٤) كان من كبار أدباء الفرق رحل إلى خفاء بني أمية بالاندلس وحقق عندهم وأما من قالى فلا (٥) بلقياس (٦) بأرمينية توفي سنة ٣٥٦ (٥) هو علي بن الحسين من سلافة بني أمية — وكتابه الاتقي اشتهر من ان يذكر

توفي سنة ٣٥٦

(٦) يسمى الجاحظ والمحدث ايضا لجورط حديثه وكان دميم الوجه

اعتداد بما يأخذ به الناس أنفسهم وينتحلونه من الرسوم والعادات وأنواع العصبية  
المذهبية ، وعدم مبالاة بوقوع التورّ عين فيه . وكان سمحاً جواداً كثير المواساة  
لاخوانه . وكان على دمامة خفة وتناقص خفة خفيف الروح ، فكيف المجلس ، غاية  
في الظرف وطيب الفكاهة وحلاوة الكلام . وهو على الجبلة أحد أفذاذ العالم ،  
وإحدى حُجج اللسان العربيّ

### فصاحته وكتابته

قرأ الجاحظ أكثر الكتب المروفة في زمنه اسلاميةً ومقتولةً ، فاستخلص بذكائه  
المجيب من كل ذلك علوماً جمّة قالف أشتتها على تنافرها ، ونسق ضروبها مع  
تضاربها ، فطامن له بلطفه شائخها ، وانقاد له بحسن رياضته حرونها قتيماً للملكته  
منها جملة مطاوعة لإرادته يستنبط منها ما شاء ، ويصرفها أتى شاء ، واتحل لنفسه  
من طرق البلغاء والمصنفين طريقة كان أباً عذرتها وابن بجدة<sup>(١)</sup> وهي طريقته  
التي تحب القراءة في المطالعة : يتوخى التصنيف في الموضوعات الشبيهة اللذيذة ،  
أو التي لم يسبق إليها كاتب ، أو الأمور الحقيرة التي لا يحظر على البال أن يؤلف  
فيها كلاماً ، مع سهولة عبارة وجزالة لفظ وإطناب غير ممل : باستعمال كثير من  
متراذيف الألفاظ والجلل المذبة ، واستطراد مروح على النفس : بإيراد طريف  
الأخبار والنوادر ، ومزج اللجد بالهزل ، واستقصاء وتغلغل في وصف ما يُعنى بشرحه  
أو الاحتجاج له ، وتعلُّف لتعظيم الصغير حتى يظم وتصفير العظيم حتى يصغر

وأقام الجاحظ أكثر عمره بالبصرة يعيش معيشة الأدياء والعلماء محبوباً لولائها  
وأعيانها محبوباً منهم بالطايا والمنح بما يصنّفه لهم من الكتب المتفقة مع أهوائهم  
المختلفة ، وكان كثير الانتجاع للخلفاء والوزراء ورجال الدولة يبتدأ وسر من رأى  
حتى فُجج بالبصرة وبق مفلوجاً بها مدة إلى أن انتقل إلى بغداد فمات بها ودفن

( ١ ) يقال فلان أبو عدرة هذا الامر أى أول من سبق إليه ، والجبلة العلم وإطناب الامر  
ودائره وابن بجدة هذا الامر أى العالم به

بشجرة الخيزران<sup>(١)</sup> سنة ٢٥٥ هـ وله أكثر من مائتي كتاب طبع منها في مصر كتاب  
اليان والتبيين وكتاب الحيوان وكتاب البخل وكتاب التاج ( في أخلاق الملوك )  
ومجموع لبعض رسائله

### أحمد بن عبد ربه

هو أديب الأندلس وشاعرُها أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه القرطبي صاحب  
العقد الفريد

ولد رحمه الله تعالى سنة ٥٢٤ هـ ، ونشأ بمدينة قرطبة ، ودرس علوم العربية من الشعر  
والأخبار والملح والنوادر والتاريخ واللغة والنحو ، فنبغ في جميعها ، وحفظ منها ما لم  
يحفظه أحد من علماء زمانه ، وقرأ رسائل المتحدثين من المشارة وما تُرجم من كتب  
الأوائل في أكثر العلوم ، وأودع زُبْدَ ذلك في كتابه العقد الفريد

وكان رحمه الله يشتغل في حدائقه بالشعر ، ويمر في مضمار اللهو والطرب ، ونظم  
في ذلك من القصائد والمقطعات الرقيقة الجميلة ما جعل المتنبي على صفته وكثره -  
حين سمع شعره يُسميه ( مليح الأندلس ) . ثم أطلع في كبره عن صباه ، وأخلص  
لله في توثيقه : فاعتد أشعاره التي قالها في النزل واللهو عملاً باطلاً ، وعمل على إبطالها  
وقوافيها قصائد في الزهد يارضها بها ، وسمّاها المبحّصات . ونال من خلفاء بني  
أمية بالأندلس دنيا عريضة ، وحلّ عندهم في المكان الأسمى

وتوفي بقرطبة رئيساً مسوداً حتى فُلج . وعاش كذلك عدّة سنين ثم مات بها  
سنة ٣٢٨

### كتاب العقد الفريد

لا يختلف اثنان في أن كتاب العقد الفريد من أجل كُتب الأدب العربي  
وأراها فائدة وأصدقها خبراً وأحسنها تبويغاً وقصيلاً

اقتصم مؤلفه في أكثره على جمع أخبار المشرق ، وأخبار كتابه وأدبائه ليُسَهِفَ به أهل وطنه ؛ إلا أن اشتهاره وجزالة قائلته لم يقفاه عند هذا الحد ، بل رجع الى أهل المشرق ، وعد من أركان الأدب بين كتبهم ، فأقبلوا على دراسته والاقتباس منه ولا سيما متأخريهم . أما منزلة الكتاب بيننا الآن ، فهو أستاذ كل متأدب في عصرنا هذا ، ولبث الناس في نصف القرن الماضي وقلما كانت لهم في الأدب والكتابة مادة سيواه وسوى مقدمة ابن خلدون لسبقهما في الطبع والنشر أكثر الكتب ؛ ولولا أنهما وقعا محرفين في جميع مرار طبعهما لما فضلتهما أى كتاب طُبع الى الآن

وللقد الفريد فوق هذا مزية لا يعدله فيها سواه وهى جمعه لكثير من الرسائل والخطب والقصص والفوائد التاريخية التى بادت الأصول المأخوذة هى عنها وبقيت مخلدة فيه مثل مشاورة المهدي لأهل بيته وخطب الوفود وغير ذلك ؛ ويؤخذ عليه بعض هفوات صغيرة فى قله بعض أخبار المشرق بلا تحقيق وعذره فى ذلك مقبول

### الحريرى

هو أبو محمد القاسم بن على بن محمد بن عثمان الحريرى الكاتب الشاعر اللغوى النحوى صاحب البدائع المأثورة فى مقاماته المشهورة

وهو عربى الأصل ينسب فى ريمة الفرس . ولد بمشأن البصرة ، وسكن محلة بنى حرار بمدينة البصرة فنسب اليها ، واقطع لتعلم اللغة والنحو والأدب حتى صار نادرة زمانه فيها ، وامتاز بصناعة الانشاء البديعى ، فحاكى بديع الزمان الميمذنى فى عمل المقامات ، وأنشأ خمسين مقامة أتى فيها على كثير من مواثر اللغة وفنون الأدب ، وأمثال العرب وحكمها ، وبعض مسائل العلوم الدقيقة ، بعبارة مستعجة مزيئة بأنواع البديع ، ولا سيما الجناس ترغيباً للطلاب فى حفظ اللغة وأدبها وتفكيكها لهم بخطاباتها وتخل وقائعا أبا زيد السروجى ، وهو أعرابى فصيح من سروج<sup>(١)</sup> كان قد قديم البصرة وأعجب به علماؤها ، وسى راويها عنه الحارث بن همام ( يريد نفسه ) وأهداها الى الوزير

جمال الدين بن صدقة وزير المشتد المباسي ، فأصبحت هذه المقامات أمثال مثال يُحتذى في الكتابة البديعة التي غلبت على الكتاب أواخر العصر العباسي وتوارثها من بعدهم إلى قُبل عصرنا الحاضر وان لم يستطيعوا الإجابة فيها، وقد شُرحت المقامات عدة شروح وتُرجمت إلى عدة لغات. وغاية ما أخذه كتاب الإفريج عليها وحدة مغزاها وأن أكثرها لا يخرج عن اكتساب المال بطرق خبيثة كالشحاذاة والاستجداء والمحيرى المذرى ذلك لأن فرض روايتها عن الأعراب ( وهم كانوا لا يقدمون المدن الأمتجين مستجدين ) يجعل خياله مقبولا

وله غير المقامات شعر كثير ورسائل مديعة وكتب في النحو واللغة منها كتابه دُرّة النواص في أوام الخواص، وملحة الإعراب في النحو وتوفي بالبصرة سنة ٥١٥

### فن التاريخ

قدمنا أن أول ما وُضع في التاريخ باللغة العربية هو الكتاب الذي وضعه عبيد ابن شريّة لمعاوية رضوان الله عليه، وفي صدر الدولة العباسية وضع كثير من العلماء كتباً في التاريخ بأقسامه التي من أشهرها

- ( ١ ) فن السير والمغازي - وأشهر من ألف فيه من الأوائل محمد بن اسحاق <sup>(١)</sup>
- ( ٢ ) فن الفتوح - وأشهر من ألف فيه منهم الواقدي <sup>(٢)</sup> والمدائني <sup>(٣)</sup> وابو مخنف <sup>(٤)</sup>
- ( ٣ ) فن طبقات الرجال - وأشهر علمائه القدماء ابن سعد <sup>(٥)</sup> كاتب الواقدي

والبخارى

- ( ٤ ) فن النسب - وأشهر قدماء علمائه الكلبي <sup>(٦)</sup> وابنه

- ( ٥ ) فن أخبار العرب وأيامها - وأشهر علمائه أبو عبيدة والأممى

---

( ١ ) توفي سنة ١٥١ هـ هو أبو عبد الله محمد بن عمر بن واقد مولى بني هاشم توفي وهو قاض يشداد سنة ٢٠٧ هـ هو المؤرخ الثقة أبو الحسن علي بن عبد الله المدائني توفي سنة ٢٢٥ هـ هو لوط بن يحيى المؤرخ الاخبارى ( ٥ ) هو أبو عبد الله محمد بن سعد ابن منيع الأزهرى توفي سنة ٢٣٠ هـ هو أبو نصر محمد بن السائب النسابة المفسر توفي سنة ١٤٠ هـ وابنه هو النسابة أبو المنذر هشام بن محمد توفي سنة ٢٠٤ هـ

(٦) قصص الأنبياء وكتب فيه كثيرون  
(٧) تاريخ الملوك ومن أقدم من كتب فيه ابن قتيبة والهيثم بن عدى<sup>(١)</sup> وابن  
واضح اليقوي<sup>(٢)</sup> ثم شيخ المؤرخين وعمدتهم محمد بن جرير الطبري<sup>(٣)</sup> الجامع كتابه  
هذه الفنون السابقة مرتباً على حسب السنين الهجرية وحاكاه بعده ابن الأثير<sup>(٤)</sup>  
في تاريخه الكامل

### المرض والقافية

أول من اخترع علم العروض الخليل بن أحمد من غير سابقة تعلم على أستاذ  
أو تدرّج في وضع، بل ابتدعه جملة واحدة وحصر فيه أوزان العرب في خمسة  
عشر بحراً وزاد عليه تلميذ تلميذه الأخفش بحراً آخر ثم لم يزد عليهما أحد ممن تأخر  
عنهما شيئاً يعتد به  
أما القافية فقد كان العلماء قبل الخليل يتكلمون فيها ولكن الخليل هو أول من  
فصل الكلام فيها وجعلها علماً مدوّناً

### النحو

جامع الدولة العباسية والنحو علم يُدرّس في المساجد بالبصرة والكوفة ولكن  
البصريين سبقوا الكوفيين في الاشتغال به كما سبقهم الكوفيون في الاشتغال بالشعر  
وعلم الصرف  
ومن أكبر الأئمة الذين اشتغلوا بالنحو وهذبوه وفصلوه من البصريين أبو عمرو  
ابن العلاء<sup>(٥)</sup> وتلميذه الخليل وتلميذ الخليل سيديّويه صاحب أول كتاب عظيم جامع  
وضع في النحو ثم بعده الأخفش<sup>(٦)</sup> تلميذ سيديّويه وشارح كتابه . ومن الكوفيين

(١) هو أبو عبد الرحمن الهيثم بن عدى الراوية المؤرخ توفى سنة ٢٠٦

(٢) هو أحمد بن أبي يعقوب بن واضح الرحلة توفى سنة ٢٧٨

(٣) توفى سنة ٣١٠ (٤) توفى سنة ٦٣٠

(٥) هو الحجة الثابت القنوي النحوي الراوية واسمه كنيته توفى سنة ١٥٤

(٦) هو أبو الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش الأوسط توفى سنة ٢١٥

مُعَاذُ الْهَرَاءِ<sup>(١)</sup> وَالرُّؤَاسَى<sup>(٢)</sup> وتليذهما الكَسَائُ وتليذه الفَرَاءُ<sup>(٣)</sup> ثم لما زخرت بغداد بالعلوم وكثرت الفتن بالبصرة والكوفة ، هاجر منها إليها كثير من العلماء امتزجت مذاهبهم وتكوّن منها مذهب بغدادى جديد . وكذلك اختار الأندلسيون لأنفسهم مذهباً رابعاً<sup>(٤)</sup> وكل هذه المذاهب مقتبسة إما من مشافهة الأعراب الفصحاء ، أو من مداورة دواوين شعرهم ، أو من مداورة القرآن الكريم . وفى النحو والصرف ما لا يحصى من الكتب : مطولات ومختصرات وهو من العلوم التى فضجعت وأينعت

### علم اللغة

ويسمى متن اللغة ، ونعنى به معرفة معانى ألفاظها المفردة . وأوّل ما وضع الأئمة فيه رسائلٌ وكتبٌ صغيرةٌ فى موضوعات خاصة : كالألفاظ المتعلقة بخلق الإنسان أو الجمل أو الفرس أو النحلة أو السيف . فلما ظهر الخليل أحصى ألفاظ اللغة بطريقة حساسية فى كتاب ، ورتبه على حروف المعجم مقدّمًا حروف الحلق ومبتدئًا منها بالعين ولذلك سَمِيَ مُعْجِمُهُ «كتاب العين» . ثم ألف أبو بكر بن دُرَيْد<sup>(٥)</sup> معجمه العظيم الذى سماه الْجُمْهُرَةَ مرتبًا له على حروف المعجم بترتيبها المروف الآن . وأدرك عصره الأزهرى<sup>(٦)</sup> فآلف كتاب التهذيب على ترتيب الخليل . ثم وضع الجوهري<sup>(٧)</sup> كتابه

( ١ ) هو ابو مسلم معاذ بن مسلم الهراء واضع علم الصرف واقدم نحاة الكوفة تولى سنة ١٨٧

( ٢ ) هو ابو جعفر محمد بن الحسن الرؤاسى شيخ الكسائى والفراء وأول من ألف فى نحو الكوفيين

( ٣ ) هو ابو زكرياء يحيى بن زياد الفراء امام لنحاة الكوفيين والبغداديين تولى سنة ٢٠٧

( ٤ ) لم يتكوّن مذهب الاندلسيين الا بعد ان ظلت رحلاتهم الى المغرب فى القرن الرابع وما بعده لكثرة الفتن فيه ولكساد سوق العلم عند ملوكه من الاطعم وفساد البليقة فى الجزيرة . وكان الاندلسيون قد نقلوا من السنة وكلام العرب الكثير الجمل فشكلوا عليه واستدركوا على المشاركة ما قُتِمَ من قواعد ، وعدلوا عن بعض آرائهم فيه ، وحفظوا تراثه لاهل الرية زماناً كاد يصغر الفرق من أهله أو اخر البصر السبائى والصراقى بعده . ومن اشتهرهم فى هذا الصر

ابن سبويه وابن خروف وابن عصفور والاعلم الششتري وابن النافع

( ٥ ) هو أبو بكر محمد بن الحسن بن دويد الأزدي تولى سنة ٣٢١ هـ

( ٦ ) هو ابو منصور محمد بن احمد بن الأزهر المتوفى سنة ٣٧٠ هـ

( ٧ ) هو ابو نصر اسمعيل بن حماد الجوهري المتوفى سنة ٣٩٨ هـ

المسى بالصباح على ترتيب الجهرة ؛ وابن سيدة <sup>(١)</sup> الأندلسى كتابه المُحْكَم على ترتيب الخليل . وابن فارس <sup>(٢)</sup> كتابه المُجْمَل ؛ والصاحب بن عباد كتابه المحيط . وهذه هي أصول كتب اللغة ؛ وما بعدها : من العُباب والتكلمة وجمع البحرين للصاغاني <sup>(٣)</sup> والنهاية لابن الأثير <sup>(٤)</sup> ، ولسان العرب لابن مُكْرَم <sup>(٥)</sup> ، والمصباح للفيومي <sup>(٦)</sup> ، والقاموس للفيروزآبادي <sup>(٧)</sup> فهو جمع لها أو اختصار منها

## علوم البلاغة

### المعاني والبيان والبديع

لم يصنف العلماء في هذه العلوم إلا بعد أن فرغوا من تدوين العلوم التي تحفظ الكلام العربي من حيث أعرابه وتصريفه ومادته . فلما أتموا ذلك بحثوا في بلاغة الكلام ويظهر أن أول كتاب دُون في هذه العلوم كان في علم البيان وهو كتاب مجاز القرآن لأبي عبيدة تلميذ الخليل ثم تبعه العلماء . ولا يُعلم أول من أَلَف في المعاني بالضبط وإنما أثر فيها كلامٌ عن البلغاء ، وأشهرهم الجاحظ في إعجاز القرآن وغيره . وأول من دُون كتباً في علم البديع ابن المعتز وقُدَّامة بن جعفر <sup>(٨)</sup> . وقبل ذلك كان البديع يُستعمل في الشعر عملاً . وبقيت هذه العلوم تتكامل ويزيد فيها العلماء حتى جاء فحلُ البلاغة عبدُ القاهر الجرجاني <sup>(٩)</sup> فأَلَف في المعاني كتابه دلائل الإعجاز . وفي

( ١ ) هو أبو الحسن علي بن اسمعيل الأندلسي القرطبي المتوفى سنة ٤٥٨ هـ

( ٢ ) هو أبو الحسن أحمد بن فارس الرازي المتوفى سنة ٣٩٠ هـ

( ٣ ) هو أبو الفضال رضى الدين الحسن بن محمد الصاغاني الرحلة المتوفى سنة ٦٥٠ هـ

( ٤ ) هو أبو السادات محمد الدين المياووك بن محمد الجزري المتوفى سنة ٦٠٦ هـ

( ٥ ) هو أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم المشهور بابن منظور أيضاً توفي سنة ٧١١ هـ

وهو من أهل مصر الثالث

( ٦ ) هو أحمد بن محمد بن علي المقرئ الفيومي المتوفى سنة ٧٧٠ هـ من أهل مصر الثالث

( ٧ ) هو أبو طاهر محمد الدين محمد بن يعقوب المتوفى سنة ٨١٧ هـ من أهل مصر الثالث

( ٨ ) هو قُدَّامة بن جعفر بن قُدَّامة الكاتب البغدادى المتوفى سنة ٣١٠ هـ

( ٩ ) هو أبو بكر عبد القاهر الجرجاني للمتوفى سنة ٤٧١ هـ



البيان كتابه أسرار البلاغة . وجاء بعده السكاكي<sup>(١)</sup> فألف كتابه العظيم مفتاح العلوم : فبسط مسائل البلاغة بما لم يزد عليه غيره فيها شيئاً كبيراً من أصول الفن

### الخليل بن أحمد

هو أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي الأزدي البصري نابتة العرب ، وسيد أهل الأدب ، ومخترع العروض ، ومبتكر المعجمات ، وصاحب الشكل العربي المستعمل الآن

ولد سنة ١٠٠ بالبصرة ونشأ بها وأخذ العربية والحديث والقراءة عن أئمة زمانه وأكثر الخروج إلى البوادي ، وسمع الأعراب القصصاء ، فنبح في العربية نبوغاً لم يكن لأحد ممن تقدمه أو تأخر عنه ، وكان غايةً في تصحيح القياس واستخراج مسائل النحو وتعليقه ، فبسطه وفرّعه على أصوله ، وجعله عاماً مضبوطاً ولقّن ذلك تلميذه سيبويه ، فكان كتابه الذي يُستبرأ أصل كل كتاب في النحو معقوداً أكثره بلفظ الخليل . والخليل هو الواضع للشكل المستعمل الآن في ضبط الحروف

ومما يشهد له بمجدته الفكر وبُعد النظر اختراعه العروض علماً كاملاً لم يحتاج إلى تهذيب بعده ، وابتكاره طريقة تدوين المعجمات بتأليف كتاب العين ، وتدوينه كتاباً دقيقاً في الموسيقى على غير معرفة بلغة أجنبية واشتغال به . وزاد في الشطرنج قطعة سماها جملاً لمب بها الناس زماناً . ويخبر الخليل مقيماً بالبصرة طول حياته زاهداً متعقفاً متشغفاً مكياً على العلم والتعليم حتى مات سنة ١٧٤ هـ في أوائل خلافة الرشيد ؛ ويقال في سبب موته إنه قال أريد أن أعمل نوعاً من الحساب تمضي به الجارية إلى البقال فلا يظلمها فدخل المسجد وهو يُعيل فكره فاصطدم في سارية صدمة شديدة ارجح منها دماغه واعتل من ذلك ومات رحمه الله تعالى

---

(١) هو أبو يعقوب سراج الدين يوسف السكاكي الخوارزمي التولي سنة ٦٢٦ هـ

### سيبويه

هو أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، إمام البصريين وحجة النحويين وصاحب الكتاب شيخ<sup>(١)</sup> الكتب

ولد بالبيضاء من سلالة فارسية، ونشأ بالبصرة، وكان يطلب أول أمره الحديث والفقه. فعيث عليه لحنه لحنها في مجلس شيخه فحجل، وطلب النحو ولازم الخليل، وأخذ عن غيره أيضاً. وكان الخليل يؤثّر على أصحابه، فدوّن جميع ما أخذ عنه ونقله عن غيره في كتابه الذي لم يُجمع قبله مثله. ولولا هذا الكتاب الذي رواه عنه وشرحه تلميذه الأخصس ما كان لسيبويه خبرٌ يشمر لوفاته كهلاً ولقلاً من أخذ عنه هذا الكتاب؛ ولأنه لا يعرف له كتابٌ غيره وبمسبك هو. ولما أحس بفضل معرفته في النحو وأنه أصبح شيخ البصريين، خرج إلى بغداد وأقام على البرامكة، فجمعه يحيى بن خالد بالكسائي شيخ الكوفيين. فتناظرا في مجلس أُعِدَّ لذلك، فكان من مسائل المناظرة أن سأله الكسائي: ما قول في قول العرب: (كنت أظن أن المقرب أشدُّ لسمّة من الزُّنبور فاذا هو هي، أو فاذا هو إياها) فقال سيبويه: فاذا هو هي، ولا يجوز النصب. فقال الكسائي: العرب ترفع ذلك وتنصبه. واشتد بينهما الخلاف، وتحاكما إلى رُواة الأعراب بباب يحيى فقصوا للكسائي، فاستكان سيبويه، فقال الكسائي ليحيى (أصلح الله الوزير) وقد عليك مؤملاً فإن رأيت أن لا تردّه خائباً. فأمر له بمسرة آلاف درهم

وما يروى في هذه الحكاية من غير هذا فن زيادة مُتَعَصِّبِي البصريين، وليس في العلم كثير. وخرج سيبويه بعد هذه المناظرة إلى ناحية بلدة البيضاء بفارس ومات بها سنة ١٧٧ هـ بعد نحو عشر سنين من المناظرة، وسنه نيف وأربعون سنة

(١) كان إذا ذكر الكتاب عند النحويين والأدباء كما ينصرف إلى كتاب سيبويه فهو علم عليه بالقبلة، وهو أصل كل كتاب في النحو ولهذا ولقدّم وضعه اطلعتنا عليه (شيخ الكتب)

## الكسائي

هو أبو الحسن علي بن حمزة أحد القراء السبعة وإمام الكوفيين في النحو والفقه نشأ بالكوفة وتعلم على الكبير بعد لجنة لحبها أمام جمع من طلبة العلم ، فلزم أئمة الكوفة حتى أفند ما عندهم ، ثم خرج الى الخليل بالبصرة وجلس في حلقته ، وأعجبه علمه . فقال له : من أين علمك هذا ؟ قال : من بوادي الحجاز ونجد وبهامة فخرج إليها ، وأفند خمس عشرة قتيبة حير في الكتابة عن العرب سوى ما حفظ عنهم . ولما رجع من البادية وجهه اليه المهدي فخرج الى بغداد فحفظ عنده وصنمته الى حاشية ابنه الرشيد ، ثم جعله الرشيد مؤدب ولده الأمين ، وبقي وجيهاً عنده فكان يجلسه هو والقاضي محمد بن الحسن <sup>(١)</sup> صاحب أبي حنيفة على كرسيين تميزين بحضورته ، ويأمرهما أن لا ينزعجا لقيامه وجميته . وما زال على هذه الكرامة حتى خرج الرشيد الى الرمي <sup>(٢)</sup> ومها في صحبته ، فمات في يوم واحد فبكاهما وقال : دفنت الفقه والعربية بالرمي ، وذلك سنة ١٨٩ هـ . وقد انتهت اليه إمامة القراءة والعريية بالكوفة وبغداد ، واختار لنفسه قراءة أقرأ بها الناس ، وكان يروي الشرع وليس له فيه جيد نظير

## العلوم الشرعية

### التفسير

لم يدون علم التفسير في كتب جامعة تجمع سور القرآن الكريم كلها الآ في عصر الدولة العباسية . وكان التفسير عبارة عن نقل روايات عن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه تبين المراد من آياته . وأول طبقة من المفسرين أدركت الدولة العباسية وأنشأت في صدرها طبقة سفيان <sup>(٣)</sup> بن عيينة ووكيع <sup>(٤)</sup> بن الجراح وشعبة بن

( ١ ) هو أبو عبد الله محمد بن الحسن بن فرقة الشيباني أحد أصحاب أبي حنيفة

( ٢ ) كانت من حواضر بلاد فارس والقرب من السلاطنة انشئت مدينة طهران الحالية

( ٣ ) هو أبو محمد سفيان بن عيينة بن ميمون مولى بني هلال الحديث الفقيه المفسر توفي سنة ١٩٨ هـ بمكة

( ٤ ) هو أبو سفيان وكيع بن الجراح بن مليح صاحب أبي حنيفة وأحد المحدثين المفسرين

البادت توفي سنة ١٩٨ هـ

الحجاج واسحق بن راهويّة<sup>(١)</sup> ومقاتل بن سليمان<sup>(٢)</sup> والفرّاء  
ومن أشهر التّاسيد التي رُويت من طريقهم تفسيرُ ابن عباس<sup>(٣)</sup> ، وقد رُوِيَ  
من طريق غنيفة صحّةً وضخاً ، وطُبِعَ بعضُ طرُقهِ الضّميّة في مصر ، فهو بذلك  
أقدمُ تفسيرٍ نعرفه. ثم جاءت بعده هذه الطبقةُ أبي جعفر محمد بن جرير الطبري<sup>(٤)</sup>  
وتفسيره أوّل كتاب عظيمٍ صحيح وضع في التفسير على مذهب السلف . وتابعه في ذلك  
الثعلبي<sup>(٥)</sup> ، وتليذه الواحدى<sup>(٦)</sup> . ومنهم استمدّ كل ذى تفسير بعدهم ، ثم نشأت  
طائفةٌ أدخلت في التفسير بعضَ مباحث العلوم الأخرى كالنحو ، والفقه ، والأصول ،  
والكلام ، والبلاغة ، والقصاص ، ثم تجرّدت طائفةٌ الى التفسير بالرأى والقياس فانقسم  
التفسيرُ قسمين ، سلفياً ، وفنياً . واستمر الأمر على ذلك الى وقتنا هذا

### الحديث

أوّل كتابٍ جُمِعَ في الحديث الكتابُ الذى أمر الخليفة الأموى عمر بن عبدالعزيز  
بتدوينه ، ولم يعرف له خبرٌ بعد . ثم أخذ العلماء يدوّنون فيه بعضَ الخليفة العباسي  
أبي جعفر وأولاده . فدوّن الإمام مالكٌ موطأه في الحديث والفقه . ولما اشتدّت رغبةُ  
الناس في طلب الحديث ، وضع كثيرٌ من الزنادقة واليهود المتظاهرين بالاسلام كثيراً  
من الأحاديث فتجرّد لها الأئمّة الأعلامُ ويَتَوَصَّحُوا أصحابها من فاسدها ، وكان من أفضل  
القائمين بذلك اسحق بن راهويّة وتليذه محمد بن اسمعيل البخارى الذى دوّن

( ١ ) هو ابو يعقوب اسحق بن ابراهيم الملقب براهويّه التميمي الحنظلي نسباً المفسر الحديث  
تولى سنة ٢٣٨ هـ

( ٢ ) هو مقاتل بن سليمان البلخي المفسر منهم يضمف الرواية تولى سنة ١٥٠ هـ

( ٣ ) هو عبد الله بن عباس عم النبي ( صلى الله عليه وسلم ) بن عبد المطلب بن هاشم جد  
قرش وطالما تولى بالطائف سنة ٦٨ هـ

( ٤ ) هو ابو جعفر محمد بن جرير القتيبي المجنّيد المفسر المؤرخ تولى سنة ٣١٠ هـ

( ٥ ) هو ابو عبد الله احمد بن محمد بن ابراهيم الثعلبي النيسابوري المفسر المعروف تولى سنة ٢٧٧ هـ

( ٦ ) هو ابو الحسن علي بن احمد بن محمد الواحدى المصنف للمفسر تولى سنة ٤٦٨ هـ

كتابة في الأحاديث الصِّحاح قطعاً، وتبعه تلميذه مسلم بن الحجاج<sup>(١)</sup> والإمام أحمد بن حنبل وأصحاب كُتُب السنة الصِّحاح وهم : الترمذي<sup>(٢)</sup> - وأبو داود<sup>(٣)</sup> - والنسائي<sup>(٤)</sup> - وابن ماجه<sup>(٥)</sup> . هذه هي أصول الكتب في الحديث . وبعضهم جمعها كلها ، وبعضهم اختصرها

### الإمام البخاري

هو أبو عبد الله محمد بن اسمعيل بن ابرهيم بن المغيرة ، إمام المسلمين ، وسيد المحدثين ، وصاحب الجامع الصحيح أجل كتب الإسلام وأفضلها بعد كتاب الله العزيز

ولد ببخارى من سلالة فارسية سنة ١٩٤هـ ونشأ بها يتيمًا حفظ القرآن وأتم بالمربية وهو صبي ، وحسب إليه سماع الحديث ، فكان أول سماعه من علماء بخارى ، وهو لم يأنهز البلوغ ، حتى حفظ عشرات الألوف من الأحاديث ؛ وكان أهل الرغبة في الحديث يتعادون خلفه ويجلسونه في بعض الطريق ويكتبون عنه وهو بعد شاب لم يطر<sup>(٦)</sup> شارب . وخرج مع أمه وأخيه الى مكة فحجوا وتخلف هو لطلب الحديث ودخل من أجلها كثير ممالك المشرق : من خراسان والجليل والعراق والشام ومصر وأخذ عنه علماءها وأئمتها ومنهم أحمد بن حنبل ؛ وقلقه على مذهب الشافعي ، ثم صار له مذهب خاص ، ولما نضج علمه واجتمع له يقينه ، شرع في تمييز الأحاديث الصحيحة

( ١ ) هو أبو الحسن مسلم بن الحجاج بن مسلم النيسابوري أحد الشيخين وصاحب ثاني الصحيحين ، ولد سنة ٢٠٦ وتولى سنة ٢٦١ هـ

( ٢ ) هو أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي القرطبي المتوفى سنة ٢٧٩ (وترجم مدينة علي جيعود)

( ٣ ) هو أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني المتوفى سنة ٢٧٥ هـ وسجستان إقليم يعرف الآن ببلوچستان

( ٤ ) هو أبو عبد الرحمن أحمد بن شبيب النسائي المتوفى سنة ٣٠٣ هـ ولما بالفتح والقصر مدينة بخراسان

( ٥ ) هو أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه المتوفى سنة ٢٧٣

( ٦ ) أى لم يلبث شارب

من غيرها بعد أن عَرَفَ عَلِمًا. ووجوهها معرفة لم تتم لأحد قبله ، فكان بذلك المقدم على علماء الأرض . واستخرج كتابه ( الجامع الصحيح ) من ستمائة ألف حديث في ست عشرة سنة جمع فيه تسعة آلاف حديث مكرر بعضها بتكرار وجوهها . وقال انى جعلته حجة بينى وبين الله . فأجمع علماء السنة على أنه لم يكن فيها أصح منه وبقى طول حياته يتردد بين الأمصار حتى اشتاق الى بلاده فرجع اليها وابتلى فيها بقتله خلق القرمان ، فأثار عليه ، وإلى بخارى العامة فأخرجوه منها ، ومات في طريقه على ثلاثة فراسخ<sup>(١)</sup> من سمرقند سنة ٢٥٦ هـ

### علم الفقه

لما كان المروى عن رسول الله وظاهر نص القرآن لا يستوعبان كل أحكام الوقائع المختلفة المتجددة بتجدد الزمان والمكان ، كان الاجتهاد ضرورياً في الدين ، وجاءت التولية العباسية وأهل الحجاز يرجحون جانب الأخذ بالحديث لكثرة روايته بينهم ، وإمامهم في مذهبهم مالك بن أنس ، وأهل العراق يرجحون الأخذ بالقياس ، وإمامهم في مذهبهم أبو حنيفة لكثرة ما وضعه متزندقة العراق في الحديث ، ثم لما دخل أهل الحجاز العراق وتساوى الفريقان في معرفة الأحاديث عملوا بهما ، ونشأ من ذلك عدة مذاهب أشهرها مذهب الشافعي ومذهب أحمد بن حنبل ، وهذه المذاهب الأربعة هي التي ارتضاها معظم الأمة في أمر دينها ودنياها ثم كان لكل مذهب أئمة مجتهدون فيه

### الامام أبو حنيفة النعمان

هو الامام الأعظم أبو حنيفة النعمان بن ثابت قتيبة العراق وقُدوة أهل الرأي وصاحب المذهب المقتضى به الآن في أكثر الممالك الاسلامية ولد سنة ٨٠ هجرية ، من سلالة فارسية ونشأ بالكوفة ، وطاصر بعض الصحابة ،

( ١ ) القرسخ ثلاثة اميال والليل اربعة آلاف فراع هاشمي

واشتغل بالفتى ، وأخذ كل علمه عن شافى الصحابة ونقل عنهم ، واستنبط قبه  
من القرآن الكريم وما صح عنه من الحديث على فقه مع استعمال الرأى والقياس ،  
وتابعه فى ذلك أكثر أئمة العراق لقله رواته الحديث الصحيح بينهم ، وأكثرهم  
فى الحجاز . وكان من أعبد الناس وأكثرهم تهجداً وقراءة للقرآن الكريم ، وأكثرهم  
ورعاً وفوقاً للكسب من وجهٍ حل . رضى أن يعيش تاجر خبز ورغب عن وظائف  
الملوك والخلفاء ، وعرض عليه القضاء من قبل أمراء بنى أمية ثم المنصور فأبى ،  
فسجنه وأداه ، حتى قيل : انه مات فى سجنه ، وكان يتذرب أنه لا يأمن نفسه أن  
تزل ؛ وقرأ عليه علماء الكوفة ببغداد ونخرج عليه منها الأئمة من أصحابه كمحمد  
ابن الحسن وأبى يوسف <sup>(١)</sup> وزفر <sup>(٢)</sup> ومات رحمه الله ببغداد سنة ١٥٠

### الامام مالك

هو أبو عبد الله مالك بن أنس امام دار الهجرة وسيد قبه الحجاز وهو عربى  
من سلالة أقيال حمير

ولد سنة ٩٥ بالمدينة المنورة ونشأ بها ، وأدرك خيار التابعين من الفقهاء والمبدا ،  
ورحل اليهم ، وأخذ عنهم ، وما زال يدأب فى التحصيل وجمع السنة حتى صار  
حجة من حجب الله فى أرضه وضرب به المثل قيل ( لا يقى ومالك بالمدينة )  
وعرف الخلفاء قدره فأجلوه ، وحملوا اليه بترسم ؛ وسعي به الى عامل المنصور بالمدينة  
فجرده وضربه سبعين سوطاً . ولما بلغ ذلك المنصور غضب على عامله وعزله وأقدمه  
الى بغداد على قتب ، ولقى المنصور مالكا من قابل فى موسم الحج فاعتذر اليه ،  
واستسمحه وفتح له فى كثير من مسائل الدين ، وطلب منه أن يجمع ما ثبت لديه  
ويؤدنه فى كتاب ويؤمته الناس ، فاعتذر ، فلم يقبل منه عذراً فعمل كتابه الموطأ  
فى الحديث والفتى ، فجاءه ولى عمده الهذلى من قابل حاجاً فسمعه منه وأمر له

( ١ ) هو ابو يوسف يعقوب بن ابراهيم الاصهارى نسا صاحب أبى حنيفة وناصر مذهبه  
وأول من كسى بقاضى القضاة بمدينة السلام ( بغداد ) توفى سنة ١٨٢ هـ  
( ٢ ) هو ابو الهذيل زفر بن الهذيل التميمى صاحب أبى حنيفة توفى سنة ١٥٨ هـ

بخمسة آلاف دينار وألف لتلاميذه ، ولم يلبث ان مات المنصور ، وزاحم قهّ أهل العراق قهّه ، ولكن ذلك لم يمنع الرشيد أن يرخل هو وأولاده اليه بالحجاز ليسع موطنه فسمعه وأغدى عليه . وكان مالك أول أمره فقيراً ، فلما كثرت منح الخطاه له حسن حاله فأظهر نعمة الله عليه ، ووصل أهل العلم وأشركهم في ماله ومنهم الشافعي . وأخلاقه : من الكرم والطلاقة والوقار والنبل والتواضع والحب لرسول الله عليه الصلاة والسلام تجلّ عن الوصف ، حتى انه كان لا يركب دابة في المدينة اجلالاً لأرض ضمت جسد رسول الله . وتوفي سنة ١٧٩ بالمدينة ودفن بالبقيع<sup>(١)</sup>

### الامام الشافعي

هو أبو عبد الله محمد بن ادريس بن العباس بن عثمان بن شافع عالم قريش وغرهما ، وامام الشريعة وحبرها . وهو من ولد المطلب بن عبد مناف ، ولد بمدينة غرة<sup>(٢)</sup> سنة ١٥٠ وحل الى مكة وهو ابن سنتين ونشأ بها فقيراً تربيته أمه ويواسيه ذوق قرابته من قريش ، وما ميّز حتى صار نادرة الدنيا ذكاء وحفظاً : حفظ القرآن وهو ابن تسع سنين وأولع بالشعر واللغة ورحل الى البادية في تطلبها ولم يناهز سنّ البالغ حتى حفظ منها شيئاً كثيراً ، ثم تفقه وحفظ موطناً مالك وأفتى وهو ابن خمس عشرة سنة ، ثم رحل في هذه السن الى مالك وقرأ عليه الموطأ من حفظه ، فقال مالك : ان يكن أحد يطبع فهذا الغلام . وأضافه وخدمه بنفسه . ثم رجع الى مكة ، وعلم بها الريّة والفقه ، وصحح عليه الأصح شعر الهذليين . ثم ان الرشيد ولي أحد أصدقاء الشافعي عملاً باليمن فخرج معه وولى بعض الأعمال فأحسن التصرف ، ثم وُثّق به الى الرشيد ، وقبض عليه ، فلم يقبض شيئاً في أمره ، فأطلقه ثم دخل بغداد سنة ١٩٥ فاجتمع عليه علماؤها وأخذوا عنه ، وأملى بها مذهبه القديم وفي سنة ١٩٩ أو سنة ٢٠٠ خرج الى مصر فألقى بها عصاه وسكن القسطنط فسكانت

( ١ ) هي مقبرة المدينة المنورة

( ٢ ) من مرأى الشام قرية من حدود البلاد المصرية



دار هجرته ، وبها أُملي مذهبه الجديد<sup>(١)</sup> بجامع عمرو . واستنبط الشافعي مذهبه من القرآن والحديث والقياس والرأى فكان مذهبه وسطاً بين أهل الرأى من أصحاب أبي حنيفة وبين أهل الحديث من أمثال مالك وأحمد ، وتوفي سنة ٢٠٤ وقبره بمصر معروف مشهور . وكان الشافعي أفضل من رأى الناس ذكاه وعقلاً وحفظاً وفصاحة لسان وقوة حجة ، ولم يُناظر أحداً الا ظهر عليه واجمال القول انه كان اماماً في كل شيء حتى الرعي بالسهم فكان يصيب منه تسعة من عشرة

### الامام أحمد بن حنبل

هو الامام الصابر المحتسب أبو عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني نسباً ، حافظ السنة وقدره أهل الحديث وأبعد أهل زمانه . ولد ببغداد من سلالة عرية سنة ١٦٤ فتملم العلم وطلب الحديث وسمع من أئمة وقته ، وكان الحديث وقتئذ قد أُنيع وكثرت رجاله وصُنِفَت كُتُبُه وتميَّزَ صحيحُه من موضوعه ، فلقى من لا يَحصى من رجاله ، فحُجِبَ البلاد وطُوفَ في الأمصار حتى حفظَ مئات الألوف من الأحاديث واختار منها نيفاً وأربعين ألفَ حديثٍ ضمَّها كتابُه المسندُ ؛ واستنبط مذهبه من السنة مشوباً بشيء من القياس والرأى ، وظهرت في مذهبه فتنة خلق القرآن<sup>(٢)</sup> فاشتجرت بها في مجلس المعتصم ليجيئهم الى القول بخلق القرآن فلم يضل ، فضربَ سبعةً وعشرين سوطاً ضرباً موجعاً فسال منه الدم وأغى عليه ، ولما خيف عليه التفتُ أطلقَ فبقى في منزله مدةً مريضاً ثم عوفي واشتغل بالعلم والتعليم ببغداد حتى مات سنة ٢٤١ هـ

( ١ ) لأنه اتفاه اقلته بالعراق واتناه مروره بالجزيرة والشام في رحلته الى مصر لقي كثيراً من ثقات المحدثين وعلم منهم ما لم يعلم ورأى من عرف الناس في الحجاز واليمن والعراق والجزيرة والشام ما جعله يبدل من بعض آرائه في جلب المصلحة ودفع المفسدة .  
( ٢ ) كان الخليفة المأمون يكره على من يقول ان القرآن قديم لأن ذلك يقتضي تعدد التسماء الملقى الى تعدد الالهة بل يقول انه حادث مخلوق

## علم الكلام

كان السلف الصالح من الصحابة والتابعين يستدلون على عقائدهم بظاهر الكتاب والسنة . وما وقع فيهما من التشابه أو أوم التشبيه المنافي لتزويه المبود توقفوا فيه خوف أن يمجدهم تغلظهم في التأويل عن القصد ، فيقوموا فيما وقع فيه الأمم قبلهم ، فينفرد أمرهم ويكونوا شيعاً ، ومن لم يتوقف منهم لم يبعد عنهم كثيراً ، غير أن ذلك لم يقنع من دخل في الاسلام من الطوائف التي امتلأت دياناتها بالشبه والأوهام فكثرت جدلهم في شبههم بالآهسة الصناعية والعقلية ، فاضطر العلماء أن يجارهم ويعارضهم بمثل ذلك ، وساعدهم الحفقاء وأولم المهدي الذي حرصهم على تدوين علم الكلام (التوحيد) . فافترق المرضي عن مذهبهم من علماء الكلام فرقتين فرقة اعتقدت ما يقرب من مذهب السلف وسؤوا الجماعة وأصحاب الحديث ، وفرقة اعتزلتها وخالفها في بعض المسائل ومقدمها واصل بن عطاء<sup>(١)</sup> وسؤوا المعتزلة أو أصحاب العدل ، وجرى رجال الحكومة العباسية على هذا المذهب ونصروه ، حتى ظهر أبو الحسن الأشعري فألف من مذهب المعتزلة ومذهب غيرهم مذهب الكلاسي الذي سمي بعد بمذهب الأشاعرة وغلب على كل مذهب سواء الأيسر مذهب قليلة كذاهب الشيعة ، (وبقى كثير منها إلى الآن) ومذاهب الخوارج وبقى منهم إلى عصرنا بقية في الجبل الأخضر من برقة وفي جزيرة جربة على ساحل تونس وبلاد البحرين

## أبو الحسن الأشعري

هو أبو الحسن علي ابن اسمعيل شيخ طريقة أهل السنة والجماعة ، وإمام المتكلمين وصاحب المذهب الكلاسي ، المنتشر الآن في أكثر بقاع العالم الاسلامي

(١) هو أبو حذيفة واصل بن عطاء الخطيب المتكلم كان يجلس إلى الحسن البصري يأخذ منه العلم فلما تالت الخوارج بتكفير مرتكب الكبائر وقالت الجماعة بأنهم مؤمنون وإن فسقوا بالكبائر فخرج واصل عن الفريقين وقال إن الفاسق من هذه الأمة لا مؤمن ولا كافر ومنزلة بين المنزلتين . فغضب منه الحسن واعتزل مجلسه وانضم إليه عمر بن عبيد بن باب وتبعهما أقوام سمو المعتزلة

ولد بالبصرة سنة ٢٦٠ هـ ونشأ بها وأخذ علم الكلام عن أبي علي الجبائي شيخ  
المرتزلة، وتبعه في الاعتزال، واحتج له حتى صار لسان المرتزلة أكثر من ثلاثين  
عاماً، ثم هذاه البحث في الشنّة ومذاهب المتكلمين من الصفائية والفقهاء وأصحاب  
الحديث، فرأى أن كلا الفريقين من هؤلاء ومن المرتزلة غل في نظره، فتوسط،  
وتغيب عن الناس مدة ألف فيها كتبه في نصرة أهل الشنّة والرد على أكثر عقائد  
المرتزلة، ثم خرج الى المسجد الجامع بالبصرة يوم الجمعة ورقى للنبر وعزف الناس  
بنفسه وبمذهبه القديم والجديد ودفع الكتب التي ألّفها على مذهب أهل الشنّة  
للناس، فنصب له المرتزلة بالرد والتزييف فما زال يدحض حججهم حتى انقطعوا عن  
مناظراته وتبعه كثير منهم ومن غيرهم

وكان أبو الحسن من أروع الناس وأزهدهم مع دُعابة ومزاح، وكان يعيش من  
غلة قرية وقها جده بلال بن أبي بُردة بن أبي موسى الأشعري صاحب رسول الله  
على ذريته، وكان شافعي المذهب توفي سنة ٣٢٤. ويمن نصر مذهب الفخر الرازي  
والنزالى وقاربه في مذهب القاضي أبو منصور الماتريدي

### النزالى<sup>(١)</sup>

هو أبو حامد محمد بن محمد النزالى الطوسى الشافعى حجة الاسلام وصاحب كتاب  
احياء علوم الدين.

ولد سنة ٤٥٠ هـ ونشأ بطوس<sup>(٢)</sup> وتعلم بها مبادئ العلوم ثم رحل الى نيسابور ولازم  
امام الحرمين الجويني<sup>(٣)</sup> وهو يومئذ عالم الشافعية في الشرق فا زال يتلقى عنه العلم  
حتى صار من اكابر متكلى الأشاعرة وقها الشافعية. وحتى أصبح أستاذه يناخره

(١) النزالى بتشديد الزاى نسبة الى النزال قال ابن خلكان وفك هو المشهور وقيل انها  
مخففة نسبة الى خواله قرية من قرى طوس

(٢) طوس مدينة عظيمة بخراسان. دفن بها الرشيد وعلي بن موسى الرضا

(٣) هو ابو المالى منياء الدين عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجوينى القتيب الشافعى.  
توفى سنة ٤٧٨ هـ ( الجوين ) تاحية كريمة من خراسان

الماء وينتهي بتعليمه وتخريجهم؛ ولما مات الجويني ذهب الى بغداد ولقي الوزير نظام الملك<sup>(١)</sup> صاحب المدرسة النظامية الشهيرة . وانظر بحضرته العلماء فظهر عليهم وأقرله فحول العراق بالفضل فحوى التدريس بالمدرسة النظامية أربع سنوات . ثم طرأت عليه حال زهادة في الدنيا فسلك طريق الصوفية باعتدال . ورغب عن الاختلاط بالناس . ثم حج وذهب الى الشام يدرس ويسبح لزارة بعض مشاهد أنبيائها ثم دخل مصر وأقام بالاسكندرية مدة ثم عاد الى وطنه طوس واشتغل بتأليف الكتب الجليلة ثم لزم التدريس بنيسابور ثم عاد الى وطنه حيث مضى بقية عمره بين التدريس ووعظ الصوفية وعمل البر حتى مات بطوس سنة ٥٠٥هـ . ويعتبر الغزالي من مؤيدي مذهب الأشاعرة المسين بأهل السنة ومن أكبر أئمة الشافعية ، وهو يمد خير من تكلم في التصوف بحال لم تشبه تحمل غلاة الصوفية الخارجين بها عن مألوف العقل البشري المعتاد ، ويمتلك كتابه (أحياء علوم الدين) من أفضل كتب التصوف والأخلاق واطهار حكمة القرآن والشرعة . وأصبحت كتابه فيه أبلغ كتابا توخى أسلوبها علماء هذه المقاصد وغيرهم من المصلحين حتى عصرنا هذا .

## نشأة العلوم الكونية المنقولة وترجمتها

وأشهر للترجمين والمشتغلين بها من المسلمين ومواليهم

وكانت تسمى علوم الفلسفة والحكمة . وتشمل أربعة علوم - المنطق والطبيعيات والرياضيات والالهيات .

وتشمل الطبيعيات علم الطبيعة والكيمياء وفن المواليد الثلاثة والطب والصيدلة والفلاحة .

( ١ ) هو الوزير أبو علي الحسن بن اسحق بن البساس الملقب بنظام الملك قوام الدين العالم الصالح المتصوف محب العلم والعلماء وزير السلطان ألب أرسلان وولده السلطان ملك شاه السلجوقيون للتعليمين على نظام بغداد في مدرسة النظامية ببغداد وهي أول مدرسة بليت خاصة بالتدريس ، وكان يكون قيل في الساجد الجامعة وجل لها الرواتب للمدرسين ولطلبة واجرى عليهم الجرايات وقتل سنة ٤٨٥ م

وتشمل الرياضيات علم الحساب وعلم الجبر وعلم الهندسة وعلم الآلات والحيل ( الميكانيكا<sup>(١)</sup> ) وعلم الفلك الشامل للهيئة والتنجيم ، ومن متعلقاته علم الجغرافيا الرياضية

ويلحق بهذه العلوم علم السياسة وتدير المنزل والمال وعلم الأخلاق والموسيقى . وتشمل الاهليات علم ما وراء الطبيعة من الروحانيات والمدرجات العقلية كالبحث عن صفات الخالق والقوى النفسية والجن والملائكة ونحو ذلك .

وهذه العلوم فطرية في الانسان من حيث أنه متفكر متمدين لا تختص بها أمة دون اخرى فكان الاشتغال بها ضروريا لكل أمة أصبحت ذات حضارة ، ولذلك ترجم المسلمون بعضها في عصر بني أمية واستقدم المنصور العباسي كثيرا من الأطباء والمترجمين ، فترجموا له كتب اليونان والفارسي والهنود في الطب والفلك والسياسة . ومن أشهر هؤلاء جرجيس الكبير<sup>(٢)</sup> ابن بختيشوع ونوبخت<sup>(٣)</sup> وابنه أبو سهل وابن المقفع . ولما مات المنصور فترأمر الترجمة الى زمن الرشيد والبرامكة فحشوا العلماء على ترجمة الكتب اليونانية ، وصححوا بعض ما ترجم زمن المنصور .

ثم جاء عصر المأمون فزخرت بحجور الترجمة ، وبث الى بلاد الروم جماعة من المترجمين كابن البطريق<sup>(٤)</sup> وسليم صاحب بيت الحكمة ، والحجاج بن مطر ، وحنين<sup>(٥)</sup> بن اسحاق ، فاختاروا كتباً حملوها الى بغداد ، وترجمت وتعلمها الناس وصححوا أغلاطها واستدركوا عليها . ولم يمض قرن من تأسيس الدولة العباسية حتى برع المسلمون في

( ١ ) يرى بعض مهندسي عصرنا تسمية هذا العلم بعلوم القوى

( ٢ ) كان رئيس البيمارستان بمجند يسابور زمن المنصور فاستدعاه اليه وانفذه طبيباً الخاص

حتى سنة ١٥٢ فاستأذنه في العودة الى بلده فأت

( ٣ ) آل نوبخت كثيرون كلهم اشتغل بالفلك والتنجيم والحكمة ، وكانوا ينظرون من الفارسية

وكان ينقل هو واولاده من الفارسية واليونانية ، وكان نوبخت متجسداً للمنصور فلما ضط عن

الخدمة احضر ولده أبا سهل الى المنصور ليقوم مقامه فقبله وهو الذي كتبه أبا سهل

( ٤ ) هو يوحنا بن البطريق المترجم مولى المأمون كان أميناً على الترجمة تولى ترجمة كتب

ارسطو وبعض كتب بقراط

( ٥ ) هو حنين بن اسحق البهادي عربي الاصل من البهاديين نصارى الحيرة برع في

الترجمة من اليونانية وتوفي سنة ٢٦٠

هذه العلوم كلها وظهر منهم من الحكماء والفلاسفة من كاد يلحق فلاسفة اليونان . ومن هؤلاء : فيلسوف الاسلام والعرب أبو يوسف يعقوب بن اسحق بن الصباح الكندي<sup>(١)</sup> وتلميذه احمد<sup>(٢)</sup> بن الطيب السرخسي . وهو موسى<sup>(٣)</sup> بن شاكر : محمد واحمد والحسن أشهر رياضي هذا العصر وأول المختارين من المسلمين في الحيل والهندسة ومحمد<sup>(٤)</sup> بن موسى الخوارزمي مخترع علم الجبر والمقابلة . ومذيع الحساب الهندي بين العرب

ثم ذهب بطور الترجمة والتصحيح وتلاه طور التأليف والتكامل والاختراع . فأتى فيه بالعجب العجائب أبو نصر محمد بن محمد طرخان الفارابي<sup>(٥)</sup> الحكيم الكبير . مخترع آلة الطرب السبعة بالقانون . والقي استنبط الافرنج بمحركاتها آلة المزف ( البيانو ) المتوفى سنة ٣٣٩ هـ وأبو بكر محمد بن زكريا الرازي<sup>(٦)</sup> الطبيب الكيميائي

( ١ ) من سلافة الائمة بن فيس كان مترجماً وطالما بالطب والفلسفة والحساب والمنطق وتأليف الحون والهندسة وطبائع الاعداد والهيئة ، وترجم من كتب الفلسفة الكثير وأوضح منها المشكل وله اكثر من ٢٣٠ مؤلف

( ٢ ) هو العالم المتفنن في كل علم والمؤلف في كل فن كان تدبها قمصند الخليفة العباسي فأنكر عليه بعض امور فقتله سنة ٢٨٦

( ٣ ) كان بنو موسى بن شاكر وذريتهم من افضل علماء الرياضة والفلك ، وكان ابوهم موسى من اتباع المأمون فأت ترك اولاده الثلاثة متفانيا قراهم المأمون وعنى بتعليمهم الحسكة وعلوم الأوائل فبرعوا فيها للغاية ولا سيما الرياضيات والحيل والآلات والعلوم على نقل كتب اليونان وترجمتها اموالاً طاعة وهم الذين حققوا لمقادير الدرجة الارضية ومصحوه وكان اجلهم أبو جعفر محمد توفي سنة ٢٥٩

( ٤ ) ليس من اولاد موسى وكان متقطعا لحوائه كتب الحسكة لمأمون وبرع في الفلك والعدد

( ٥ ) هو حكيم المسلمين بلا منافع واقى بخرج بكتبه الرئيس ابن سينا والفارابي من اصل ترك من مدينة قراب إحدى مدن الترك فيها وراء النهر دخل بغداد فتعلم العربية ومرو بها ثم قرأ المنطق والفلسفة على أبي نصر محمد بن موسى ثم ذهب الى حران بالجزيرة فقرأ على يوحنا ابن خيلان الحسكة ثم رجع الى بغداد ودرس وألف ، ثم رحل الى الشام ومصر ، ثم أقام بدمشق ومن سيف الدولة بن حمدان فأجرى عليه لربة دولهم كل يوم حق مات بدمشق سنة ٣٣٩

( ٦ ) هو من اهل الري كان في اول امره حنارياً بالموذن ثم اكب على كتب الحسكة والطب وطاعى بطله صناعة التعليل والكيمياء فاستنبط كثيراً من المركبات الكيميائية مثل زيت الزاج ( الحامض الكبير ) والفلو ( الاسبرنو ) وكان يقيم بالري وبغداد وينقل بالبلاد ، وله اكثر من ٢٠٠ مؤلف

الشهر المتوفى سنة ٣٦٤ هـ والشيخ الرئيس حكيم المشرق أبو علي الحسين <sup>(١)</sup> بن سينا المتوفى سنة ٤٢٨ هـ وأبو الريحان أحمد بن محمد البيروني <sup>(٢)</sup> الفلكي الرياضي المتوفى سنة ٤٣٥ هـ

وكان لمؤلة الفواطم في مصر اشتغال بهذه العلوم فاشتهر في دولتهم في الفلك والرياضيات ابن يونس <sup>(٣)</sup> وفي الطب ابن رضوان <sup>(٤)</sup> وغيرهما؛ ولم يكن أهل الأندلس بهذه العلوم عناية أهل المشرق؛ وأشهر من نبغ منهم فيها أبو الوليد القاضي أحمد بن رشد وأبو القاسم الزهراوي؛ ومن كتب هؤلاء الأئمة وأمثالهم اقتبس أهل (أوروبا) كثيراً من أصول مدينتهم الحاضرة.

## ✱ الشعر

كان الشعر في عصر صدر الإسلام ينبع من المدين الذي تبع منه أئمة العربية وفحول الفصاحة أعنى جزيرة العرب والعراق والجزيرة الفراتية، فلما قوت دولة العرب في العراق والأندلس أصبحت بنداد وقرطبة قبلة الشعراء ووجهة الأدباء، ومن لم يقصدهما للقامة في ظلال الخلفاء والملوك، قصدهما للثجوة والامتيح. ولم يمس على بنداد وقرطبة قرن من تأسيس دولتهما حتى صارتا عساً للأدب وميداناً لتسابق جيايد الفحول في كل فن ولا سيما الشعر. فقد كان له عند الخلفاء والوزراء والقواد سوقاً نافذة حتى عند رؤساء الأطاغم من الديلم والترك وحتى تكلف بعضهم أن يمانية وينظفوه بل ينبغ فيه. ودام كذلك الى انتهاء الدولة العباسية. وبهذه العناية العظيمة به وكثرة قائله ومتنجليه قنن الناس وأدخلوا عليه فنوناً لم يمهّد فيه واستعملوه

(١) كان أبوه من بلغ عمل بيطارى للدولة السامانية فقتل ابنه بها وتسلم من صفره الحكمة في الاداء والاولاء ولم يبق في الملة بعده من فقه ما اهتمت الى المحدثين في الطب الحديث، وتقتل في اواسط آسيا، وغدم في الدولة السامانية والبيروية ووزر لاحد ملوكهم

(٢) يبرون من بلاد الهند

(٣) هو ابو الحسن علي العبير بن يونس صاحب الترجيح الحاكمي في اربع مجلدات كبار وكان آية في الفلك والتنجيم والرياضيات مات سنة ٣٩٩

(٤) هو الطبيب المنجم علي بن رضوان مات سنة ٤٦٠

في كل غرض حتى التعبد به، وتشكل أسلوبه وتنوعت معانيه بما يطابق أغراض استعماله ولكنهم لم يخرجوا بها في الجملة عن أسلوب العرب في ابتدائهم بالنسيب بالديار والأطلال : تذكر أوطانهم القديم ، وتطرقاً بالتشبه بالعرب. على أن النسيب يمثل هذه الأمور لم يمد ملتزماً في مطالع القصائد منذ صدر الدولة العباسية - بل كثيراً ما كان يحل محله ذكر القصور ونعيم العيش وصحة اخوان الطرب وغناء القيان والرحلة الى المدوح على السفن ونحو ذلك ، أو يستبدل به ذكر الحُر وأوصافها والحث على اصطلاحها واغتهاها ، بل لم يتوقف الأمر عند هذا الحد حتى تعداه الى التشديد بالنسيب بالأطلال وتهجين من يلجج بذكرها<sup>(١)</sup>

أما التغيرات التي طرأت على الشعر إبان الدولة العباسية فهي :

أولاً - ما يتعلق بفنون الشعر وأغراضه

ثانياً - ما يتعلق بلفظه وأسلوبه

ثالثاً - ما يتعلق بمعانيه وأخيلته

رابعاً - ما يتعلق بأوزانه وقافيته

### الأمور التي حدثت في فنون الشعر وأغراضه

( ١ ) زيادة استعماله في إثارة المصيبة والمناخرة في النسب<sup>(٢)</sup> والمذهب السياسي<sup>(٣)</sup>

والديني والعلمي<sup>(٤)</sup>

( ٢ ) زيادة استعماله في الأغراض السياسية من استحقاق الخلافة وتحريض

( ١ ) يظن ان اول من خلق هذا التقليد أبو نواس في جملة قصائده . راجع ديوانه

( ٢ ) اما بين العرب والسيح كما في شعر بشار وعبد الله بن طاهر وسعيد بن حميد وغيرهم من طوائف الشعراء ، واما بين النجانية والمفرية كما في شعر مسلم بن الوليد والحكم بن قنبر وأبي نواس وخلف الآخر

( ٣ ) كالمناخرة بين شيعة آل أبي طالب وآل عباس كما في شعر مروان بن أبي حفصة والبيد الجعفي وعلى بن الجهم ودعبل الجعفي

( ٤ ) كما في شعر أبي عمير اليزيدي وغيره



- ولاء الأمور وتهديدهم وانتقاد أعمالهم في شعر كثير من شعراء الدولة
- (٣) الإغراق في التعلق المشين في شعر أغلب شعراء الدولة ، وذلك لكثرة المشتغلين بالشعر من الأدباء وقلة موارد الكسب الشريف فلم يجد الشاعر سوقاً رائجة لبضاعته إلا أبواب الخلفاء ولا يرى لنفسه شعراً أسير ولا جائزة أربى الأبدع أغرق فيه وخرج به عن الذوق بل العقل بل الشرع
- (٤) الإقذاع في الهجاء والتصريح المريب بأسماء العورات والتعرض للمحرّم لتناقص الوانغ الديني وازدياد الزنادقة وفجّار الموالى والكتّاب بعدوى تمارج الأخلاق والعادات
- (٥) الغزل بالمذكر والاستقصاء فيه حتى غلب على ما سواه<sup>(١)</sup>
- (٦) اغراق شعراء المسلمين في وصف الحرة وتشبيها بالدعوة إليها والنشوة بها وذكر سقائها ونُدمايتها<sup>(٢)</sup>
- (٧) ازدياد المجون والتهتك وحكاية المخازي والفسوق ونحو ذلك
- (٨) ازدياد وصف الرياض والبساتين والقصور وبجاس الأتس وأحوال الطبيعة ومسايد الوحوش والطير والسك والأمور الدقيقة
- (٩) ازدياد الوعظ والتزهيد في الدنيا والحكمة وضرب المثل<sup>(٣)</sup>
- (١٠) تأديب النفس والتقصص والحكايات ، وأوّل من فعل ذلك أبان بن عبد الحميد اللاحق<sup>(٤)</sup> ناظم كليلّة ودمنة للبرامكة
- (١١) ضبط قواعد العلوم من فقه وغيره<sup>(٥)</sup>

(١) كما في شعر والية بن الحباب وإبي نواس والحسين بن الضحاك والبحتري وغيرهم

(٢) كما في شعر إبي نواس ومن تابعه

(٣) كما في شعر إبي المتاهية وبنية الصوفية

(٤) هو دولي الرافعيون يصرى ذهب الى بغداد واتصل بالبرامكة ومنحوه على نظم كليلّة

ودمنة خمسة عشر ألف دينار

(٥) وأكثر من ذلك بعد أبان بن عبد الحميد اللاحق أبو المتاهية ومن بعده

### الأمر التي حدثت في المعاني والأخيلة الشعرية

- (١) ترتيب الأفكار وأخذ بعضها بمحجر بعض بحيث قلّ الاقتضابُ وشذوذ الانتقال من معنى إلى مابن له كما كان يقع كثيراً في الشعر القديم
- (٢) استعمال الخيال الفرضي الوهمي الذي لا يتصور تحقُّقه في الخارج أو في الدهن مما يستدعيه الغلو والتغلُّل في المدح أو المجهو أو التشبيه
- (٣) اختراع الأخيلة الجميلة التصوير في التشبيه والاستعارة والأوصاف وحسن التعليل
- (٤) الاستدلال بالحكم والأمثال وقواعد الفلسفة وشعائر الدين ونحو ذلك<sup>(١)</sup>

### الأمر التي حدثت في لفظ الشعر وأسلوبه

- (١) هجر الألفاظ الغريبة بالتدرج
- (٢) زيادة دخول الكلمات الأعجمية فيه نظرًا كما في شعر أبي نواس وغيره
- (٣) رقة الأسلوب مع بقاء الجزالة ووضوح المعنى
- (٤) اختراع البديع والاستكثار من أنواعه

### الأمر التي حدثت في الأوزان الشعرية والقافية

- (١) الاكتثار من النظم في البحور التي لم تنظم منها العربُ إلا قليلاً
- (٢) اختراع أوزان ولدها الخليل من عكس دوائر بحرورة ونظم منها كثير من المؤلفين
- (٣) اختراع أوزان أخرى كبعض أوزان اختراعها مسلم بن الوليد ونظم منها

---

(١) كما في شعر صالح بن عبد القدوس وأبي التمايمية وأبي تمام والمتنبي وأبي العلاء المعري وغيرهم

وكالوالي<sup>(١)</sup> وزاد هذا الأمر ثقافة اختراع الموشحات<sup>(٢)</sup> والزجل<sup>(٣)</sup> في أواخر الدولة العباسية

ومن الأمور التي حدثت في الثقافة

- (١) الخمس: وهو أن يؤتى بخمسة أقسام من وزن وقافية ثم بخمسة أخرى من الوزن وقافية أخرى إلى آخر القصيدة
- (٢) المزدوج<sup>(٤)</sup>: وهو أن يؤتى بشطرين من قافية ثم بآخرين من قافية أخرى، واكتفوا منه جداً في نظم كتب الأدب والعلوم كما في نظم الألفية

## الشعراء

لم يقصر الشعر على الموالى في صدر الدولة العباسية كالكتابة بل اشتركوا فيه هم وغيرهم من أعراب البادية أحياناً ومن سلال العرب بالأمصار أخرى، غير أن بضعة من فحول صدر الدولة كانوا موالى مثل بشار وأبي نواس ومسلم وأبي العتاهية وابن الرومي

ومن أشهر شعراء الأمصار من العرب أبو تمام والبحتري وابن المعتز والمتنبي وأبو فواس وأبو العلاء المرعي وابن هاني الأندلسي والشريف الرضي

### ١ - بشار بن برد

هو أبو معاذ بشار المرعي<sup>(٥)</sup> بن برد أشعر مختصرى المولدين ورأس الشعراء

- (١) وأول من اخترعه مولد في راسكة كانت تربتهم به وتصبح بعد كل قطعة منه (ولمواياه) حملت إلى الرشيد، وكان قد تقدم بمصافية من تربتهم بشر فثقلت الجارية ليس هذا شعراً لاه طامى ملعون (وان جلا طى وزن البسيط) ففسى نظمها المواليا لمباحاً
- (٢) اخترعها مقدم بن صافر القريزي من الأندلسيين وأخذته أحد بن عبد ربه صاحب المقدم
- (٣) اخترع بعد التوشيح في الأندلس أيضاً ويرى في امام الزجالين أبو بكر بن قزامل
- (٤) يقال إن أول من نظم بشار ثم تبعه الجان وأبو العتاهية
- (٥) لأنه كان في اذنه (رحمة) أى قرط

المحدثين ، ومُتَمِّد طريق الاختراع والبدیع للمغتنيين ، وأحد البناء المكشوفين  
وأصله من فُرس طَخَرَسْتَان <sup>(١)</sup> من سَبِي المَهْلَبِ بْنِ أَبِي صُفْرَةَ وَوَقَعَ مِلْكُ  
أَبُوهِ لَبْنِي عَقِيلِ بْنِ كَتَب . قَتَشَا بَشَارَ فِيهِمْ ، وَتَرَبَّى فِي مَنَازِلِهِمْ ، وَاخْتَلَفَ إِلَى الْأَعْرَابِ  
الضَّارِبِينَ بِالْبَصْرَةِ حَتَّى خَرَجَ نَافِةَ زَمَانِهِ فِي الْفَصَاحَةِ وَالشَّعْرِ ، وَكَانَ أَكْبَرَ مَجْدُورِ الْوَجْهِ  
قَبِيحِ الْمَنْظَرِ ، مَفْرَطَ الطَّوْلِ ، ضَخْمَ الْحَنَةِ ، مُتَوَقِّدَ الذَّكَاءِ ، صَادِقَ الْحَسِّ ، لَطِيفَ الْهَذَايَةِ .  
شَدِيدَ الْمَجُونِ وَالْإِسْتِخْفَافِ بِالنَّاسِ ، كَثِيرَ الْإِسْتِثَارِ بِالذِّهْنِ ، قَلِيلَ الْمِبَالَاةِ بِالْوُقُوعِ  
فِيهِ ، مَتَمِّمًا بِالنَّدَقَةِ شُعُوبًا مُتَعَصِّبًا عَلَى الْعَرَبِ شَدِيدَ التَّيَرَمِ <sup>(٢)</sup> بِالنَّاسِ نَهَاشًا لِأَعْرَاضِهِمْ  
لَا يَلِمْ مِنْ لِسَانِهِ خَلِيفَةً وَلَا سَوْقَةً ، وَكَانَ مِنْ سَعَادَةِ الرَّجُلِ مَنْ أَهْلَ الْبَصْرَةِ أَلَّا  
يَعْرِفَ بَشَارًا وَلَا بَشَارًا يَعْرِفُهُ : فَانَّهُ إِنْ لَمْ يُصِيبْهُ فِي عَرْضِهِ أَصَابُهُ فِي مَالِهِ

وصف شعره وقال بشار الشعر ولم يبلغ عشرين وما بلغ الحلم الأ وهو مخشوش مرة لسانه  
وقد أجمع رواة الشعر وقدئته على أن بشاراً هو رأس المحدثين وأسبقهم إلى  
مُحَاطَةِ الْبَدِيعِ وَطَرِيقِ أَبْوَابِ الْمَجُونِ وَالْحَفْلَاعَةِ وَالْفَزْلِ الرَّقِيقِ الْحَضْرِيِّ وَالْهَجَاءِ الْمُفْدَرِ  
وَأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ جَمَعَ فِي شِعْرِهِ بَيْنَ جَزَائِلِ الْعَرَبِ وَرَقَةِ الْمَحْدَثِينَ وَفَتَقَ عَنِ الْمَعَانِي الدَّقِيقَةِ  
وَالْأَخْيَالِ اللَّطِيفَةِ حَتَّى عُدَّ شِعْرُهُ بَرْزَخًا بَيْنَ الشَّعْرِ الْقَدِيمِ وَالْحَدِيثِ وَبِحَاجَازٍ يَبْعُرُ عَلَيْهِ  
الشَّعْرُ مِنْ مَرَايِجِ الْبَدَاوَةِ إِلَى مَقَاصِدِ الْحَضَارَةِ

وقد طرق كل باب من أبواب الشعر التي عرفت قبله وأرربى عليها ، وغلب عليه  
الهجاء والتشبيب بالنساء والخروج به عن الحد المألوف عند أهل زمانه حتى أنكروه  
عليه العلماء والمتورعون لِمَا رَأَوْا مِنْ سُوءِ أَثَرِهِ فِي شُبَّانِ الْبَصْرَةِ  
وقد نهاه المهدي عن التشبيب فكان إذا مالت له نفسه يذكر منه ما يشاء  
ويقول إِنْ الْخَلِيفَةُ مَنَعَهُ مِنْ كَذَا وَكَذَا وَأَنَّهُ لَهُ مَطْبَعٌ

وَضَمَّنَ ذَلِكَ بَعْضَ قِصَائِدٍ مَدَحَ بِهَا الْخَلِيفَةَ فَلَمْ يَزِدْ عَلَى أَنْ حَرَمَهُ الْجَائِزَةُ ، وَشَجَعَهُ  
عَلَى ذَلِكَ وَزِيرُهُ يَعْقُوبُ بْنُ دَاوُدَ وَكَانَ مُتَوَرِّعًا فَهَجَّاهَا فَكَانَ ذَلِكَ إِلَى زُنْدَقَتِهِ

( ١ ) أَقِيمُ بِطَاحَةِ مَا دَرَاهِ الْتَهْر عَلَى جِيحُونَ

( ٢ ) التَّعَاقِبُ بِالنَّاسِ

سبب قتله سنة ١٦٨ هـ؛ وهاجى بشارَ الشعراءِ المنفيين ونصبَ له منهم حمادَ عَجْرِيٍّ واحتدم بينهما اللجاجُ والتقاذفُ بالأقوالِ القذعةِ ونظر حمادُ عليه في بعض أهاجيه وآلةً وإن لم يسقط منزلته

### ومن شعره في المشورة والحكم والنصائح

قوله :

إذا بلغ الرأيُ المشورةَ فاستعن      برأى نصيحٍ أو نصيحةٍ حازمٍ  
ولا تهملِ الشورى عليك غضاضةً <sup>(١)</sup>      فإن الخوافي قوةٌ للعوادم  
وما خيرُ كفتٍ أمسك <sup>(٢)</sup> أخبثاً      وما خيرُ سيفٍ لم يؤيدَ بهائمٍ  
وخللِ الهوى <sup>(٣)</sup> للضعيف ولا تكن      ثوباً فإن الحرَّ ليس بهائمٍ

وقوله :

إذا كنتَ في كلِّ الأمور معاتباً      صديقك لم تلقَ الذي لا تغائبه  
فمن واحدٍ أو جلَّ أخاك فانه      مقارِفُ <sup>(٤)</sup> ذنبِ مرءٍ ومُجانبه  
إذا أنت لم تشربْ مراراً على القذى      غلبتْ وأى الناس تصفو مشاربته

وقوله :

خليلُ لمن المال ليس بنافع      إذا لم ينلْ منه أنحٌ وصديقُ  
وكنْتَ إذا ضاقت على محلة      تيمت أخرى ما على مضيقُ  
وما خاب بين الله والناس عاملٌ      له في التقى أو في المحامد سوقُ  
وما ضاق فضلُ الله عن متعيفٍ      ولكن أخلاقَ الرجال تنصيقُ

### ٢ — أبو نواس

هو أبو علي الحسن بن هاني الشاعرُ المتبحرُ الجادُ الماجنُ، صاحبُ الصيتِ الطائرِ والشعرِ السائرِ، ورأسُ المحدثين بعدَ بشارِ

( ١ ) ملةٌ وتبسية ( ٢ ) حديد أو حبل تُشد به اليد إلى العقب

( ٣ ) تصغيرُ الهوى مؤنثُ الأهود ومساها التباطؤُ والتمهل ( ٤ ) جاد

منشؤه وهو فارسي الأصل ولد بقرية من كورة خوزستان<sup>(١)</sup> سنة ١٤١٠ ونشأ يتيمًا فقدمت به أمه البصرة بعد سنتين من مولده فتعلم العربية ورغب في الأدب فلم تقبأ أنه بحاله وأسلته إلى عطار بالبصرة ، فكثت عنده لا يفتأ عن مُعانة الشعر والاختلاف إلى الأدباء والمُجَان إلى أن صادفه عند العطار والبة بن الحُباب الشاعرُ المايجنُ الكوفيُّ في إحدى قَدَماته إلى البصرة فأعجب كلُّ منهما بالآخر ، فأخرجهُ والبة معه إلى الكوفة فبقيَ معه ومع ندمائه من خُلماء الكوفة ، ونُفِخَ عليهم في الشعر وفاقهم جميعًا . وقَدِمَ بنداَدَ وقد أربَت سنُهُ على الثلاثين فاتصل ببعض الأمراء ومدحهم وبلغ خبرُهُ الرشيدَ فأذن لَهُ في مَدْحِه فدحه قصائد طنانة

وكان يقصد بعض عمال الولايات ويمدحهم ، ومنهم الخصيب عاملُ مصر ، ثم انقطع إلى مدح محمد الأمين وثبت عنده بعض ما يوجب تعزيره فسجنه ولم يلبث بعد خروجه من السجن أن مات ينداد سنة ١٩٩

صفة شعره وكان أبو نواس جميل الصورة ، فكثرت المَحْضَرُ كثير الدُّعابة ، حاضر البديهة ، متينًا في اللغة والشعر والأدب متمسبًا لِبِائِيَّة على البُصْرِيَّة ... أكثرُ علماء الشعر وقدرته وفحول الشعراء على أن أبا نواس أشعرُ المحدثين بمدِّ بشار وأكثرهم قُتُنًا ، وأرصنهم قولًا ، وأبدعهم خيالًا مع دقة لفظ وبديع معنى . وأنه شاعرٌ مطبوع برز في كل فن من فنون الشعر ، وامتاز من كل الشعراء بخصائده الخفيات ومقطعاته ، المجونيات . وكان شعره لِقَاحُ السَّادِ والقُدوة السيئة لنفلة الغزل من أوصاف المؤنث إلى المذكر والخروج بذلك عن مألوف العرب وآدابهم ، إذ لم يكن ذلك معروفًا قبله وقبل شيطانه والبة ، وزاد على ذلك اضراءه بالابداع في وصف الخروصمًا لم يخطر ببال أحد من تقدمه من المسلمين فصار نموذجَ سوء لمن تأخر ، فَأَفْتَنَ بشعره الشبان في زمانه وبعده وسأكَوهُ ، وغلب عليهم هذا المذهبُ حتى صار الشاعرُ لا يمدُّ ظريفًا إلا إذا مزج شعره بشيء من ذلك وإن لم يقع في محظوراته

طائفة من شعريه

ومن جيد شعره قوله في التشيب والمدح :

قولُ غداةَ البينِ احدى نسايمِ      الى الكيدِ الحمرى فيروك الصبرُ  
وقد خضبتُها عبْرَةً فلامعها      على خدِّها خدٌّ (١) وفي نحرها نحرٌ (٢)  
وقالت : الى العباس ؟ قلتُ : فن اذاً ؟      ومالى عن العباس ممدى (٣) ولا قصراً  
فهل يكفلن الأبراحته الندى ؟      وهل يزهرن الأباوصافه الشكرُ  
وقوله لما حضرته الوفاة :

يارب ان عظمت ذنوبى كثرةً      فقد علمتُ بأن عفوك أعظمُ  
ان كان لا يرجوك إلا محسن      فمن يلوذ ويستجير الجرمُ  
أدعوك رب كما أمرت تضرعاً      فاذا رددتْ يدي فن ذابرحمُ ؟  
مالى اليك وسيلة إلا الرجا      وجيلُ عفوك ثم إلى مُسلمِ  
ومن آياته السائرة قوله في ذم الدنيا :

اذا امتحن الدنيا لبيبٌ تكشفت      له عن عذوقٍ في ثيابِ صديقِ  
وقوله في الشكوى وسوء الحال :  
ولو أنى استزدتُك فوق ما بى      من البلوى لأعجزك الزيدُ  
ولو عرِضتْ على الموتى حياةً      يعيش مثل عيشى لم يريدوا

### ٣ - مسلم بن الوليد

هو صريع القوافى أبو الوليد مسلم بن الوليد الانصارى أحد الشعراء الملقين والبلغاء المبدعين

قال الشعر في حياته ولم يتجاوز به الأمراء والرؤساء ، مكثياً بما يتأله من قليل منشؤه  
العلماء ، وينفق على ملذاته مع اخوانه من خلفاء الشعراء ، ثم اقطع الى يزيد بن مزيد  
الشيثاني قائد الرشيد ثم اتصل بالخليفة هرون الرشيد وعد من شعرائه ومدحه ومدح  
البرامكة وحسن رأيهم فيه ؛ ولما أصبح الحل والقدر يد ذى الرماستين : الفضل بن

( ١ ) شق ( ٢ ) شق ايضاً ( ٣ ) اي تجاوز الاء مصدر مبني من عدا بمعنى تجاوز

سهل وزير المأمون في أول خلافته، قرّبه وأدناه : لأنه كان من خاصته قبل وزارته  
 وولاه أعمالاً بمجرّجان اكتسب منها ألف ألف درهم ثم لزم منزله الى أن أنفقتها في  
 الكرم والسخاء وعاد الى الفضل فقلده الضياع بأصهبان فأكتسب منها ألف ألف  
 أيضاً، ولا قتل الفضل لزم منزله ونسك ولم يمدح أحد حتى مات بمجرّجان<sup>(١)</sup> سنة ٢٠٨  
 وصف شعره  
 ومسلم أول من تكلف البديع في شعره واستكثر منه في قوله ، وسبقه بشار إلى  
 ذلك الأئمة لم يبلغ شأواً مسلم فيه وقد عدّ العلماء هذا التصنع والتكلف إفساداً  
 للشعر اذ قد تيمّ في ذلك الشعراء مثل أبي تمام والبحرّى وابن المعتز وغيرهم  
 وقد مزج مسلم كلام البدويين بكلام الحضريين فضمّته المعاني اللطيفة  
 وكساه الألفاظ الظرفية . فله جزالة البدويين ورقة الحضريين  
 ثلاثة من شعره  
 ومن كلامه في المدح :

وَرَدَدَن رَوَاقَ الْفَضْلِ فَضِلَ بِنِ خَالِهِ      خَطُّ الثَّاءِ الْجَزَلَ نَاتِلُهُ الْجَزَلُ  
 بَكَفِّ أَبِي الْعَبَّاسِ يُسْتَعْرُ الْغَنَى      وَتُسْتَزَلُّ التَّعْنَى وَيُسْتَرْعَفُ<sup>(٢)</sup> التَّضَلُّ  
 وَيُسْتَعْفُ الْأَمْرُ الْأَبْيُّ بِجَزَمِهِ      إِذَا الْأَمْرُ لَمْ يَعْطِفْهُ نَقَضُ وَلَا قَتْلُ

ومن هجائه ليدعيل الخزاعي

أَمَا الْمَهْجَاءُ فَدَقَّ عَرْضُكَ دُونَهُ      وَالْمَدْحُ عَنْكَ كَمَا عَلِمْتَ جَلِيلُ  
 فَادْهَبْ فَأَنْتَ طَلِيقُ عَرَضِكَ إِنَّهُ      عَرَضُ عَزَزْتَ بِهِ وَأَنْتَ ذَلِيلُ

ومن جيد قوله :

أَرَادُوا لِيُخْفُوا قَبْرَهُ عَنْ عُدُوِّهِ      فَطِيبُ تُرَابِ الْقَبْرِ دَلٌّ عَلَى الْقَبْرِ

يجود بالنفس إن ضنّ الجوادُ بها      والجودُ بالنفس أقصى غاية الجودِ

#### ٤ - أبو العتاهية

هو أبو اسحق اسمعيل بن القاسم بن سُوَيْدٍ ، أطيح أهل زمانه شعراً وأكثرهم

( ١ ) بيلة عطية كانت بالقرب من بحر قزوين الى الجنوب الشرق منه

( ٢ ) وعف سال بالهم أي يستدعي السيف



قولاً وأسألهم لفظاً وأسرعهم بديهة وارتجالاً وأوّل من فتح للشعراء باب الوعظ  
والترهيد في الدنيا والنهي عن الاغترار بها واكثر من الحكمة

ولد بالكوفة سنة ١٣٠ ونشأ في عمل أهله وكانوا باعة جرار إلا أنه رباً بنفسه  
عن عملهم . وقال الشعر في صباه وامتزج بلحمه ودمه حتى صار كما قال هو عن  
نفسه ( لو شئت أن أجعل كلّ شعراً لعلت ) فذاع صيته وسلّك طريق  
خُلطاء الكوفة ثم قدم بغداد ومدح المهديّ وتعرّف ببعض خدّم قصر الخلافة وجواره  
فتعشّق منهم فتاة تدعى عُبَيْبَةً ولما ينس منها لها عنها بعض الشيء ، ودرس كثيراً  
من مذاهب المتكلمين والشيعة والنجارية والزهاد فكان يسلك كلّ مذهب منها  
مدة ثم ينتقل عنه الى الآخر حتى اختار له من كل ذلك عقيدة مختلطة أفضت به  
الى العبادة والزهد في الدنيا قولاً ومعيشة على إفراط منه في حب المال والجمع له والبخل  
به على الأهل والولد والخدم

ولم يأت عصر الرشيد حتى أضرب عن النزل وقصر قوله على الزهد في الدنيا  
والتذكير بالموت وأهواله وهو في خلال ذلك يمدح الخليفة ومولوك الدولة ويأخذ  
جوائزهم ثم عرضت له حال امتنع فيها عن قول الشعر بثّة حتى حبسه الرشيد لعدم  
تليّته ما اقترحه عليه من القول فيه ثم أطلقه بعد أن أجاب طلبته وعاد الى قول الشعر  
على عادته فيه ؛ وترك النزل والهجاء وبقي على ذلك مدة الرشيد والأمين وأكثر  
أيام المأمون حتى مات سنة ٢٩١ يقداد

ومن شعره يمدح للمهدي

أنته الخلافة مُقَادَّةٌ	اليو تجرّر أذيالها	نبذة من شعر
فلم تك تصلح الآله	ولم يك يصلح الألها	
ولو رامها أحد غيري	فزلزلت الأرض زلزالها	
ولو لم تُطع بنات القلوب	لما قبل الله أعمالها	
وان الخليفة من بغي لا	اليو ليغض من قالها	

وكتب على البديهة في ظهر كتاب

ألا إنا كلنا بائدٌ وأنى بنى آدم خالدٌ

وبدؤهم كان من ربهم وكلٌ الى ربه عائدٌ

فياصبيا كيف يعصى الاله أم كيف يحمد الجاحدُ

وفى كل تحريك وفى كل تسكين شاهدٌ

وفى كل شيء له آيةٌ تدل على أنه واحدٌ

ومن حكمه وأمثاله مَزُودُ جُتُهُ التى ضمنها أربعة آلاف مثل ، ومنها :

حبك بما تبغىه القوت ما أكثرت القوت لمن يموتُ

هى المقاديرُ ظمى أو فذرا إن كنت أخطأت فما أخطا القدرُ

ومنها :

ان الشباب والفرح والجِدْم مفسدة للمرء أى مفسدة

## ٥ - أبو تمام

هو أبو تمام حبيب بن أوس الطائي أسبقُ ثلاثة الشعراء الذين سارت بذكرهم

الركبان ، وولد شعراً الزمان . ثانيهم البحتري ، وثالثهم المتنبى . والمشهور فى نسبه

أنه عربى طائى <sup>(١)</sup> ولد سنة ١٩٠ بقرية جاسم من أعمال دمشق ، وكان أبواه

منشوء

فقيرين ، ويُقال صغيراً الى مصر فنشأ بها فقيراً وكان يسقى الماء بالجرّة فى جامع عمرو

ولعل طول مقامه بالمسجد ( وهو يومئذ عيش العلماء ) حجب اليه العلم والأدب فتعلم

العريّة وحفظ ما لا يحصى من شعر العرب ونبغ فى قوله ، ثم خرج الى مقرّ الخلافة

فدح المتصم وحظي عنده ومدح وزيره محمد بن الرّيات <sup>(٢)</sup> والحسن بن وهب <sup>(٣)</sup>

( ١ ) اختفى فى صفة نسب الى طى فكتبت يقول ان اهل طى نصرانيامن اطاعهم الشام وكان

اسمه ( قدوس ) فقير الى ( أوس ) ونحن نرجح رأى من يقول بقرية ومنهم صاحب الاغانى

اقدى يقول فيه انه ( من طى على صلبة )

( ٢ ) هو الوزير العظيم الشاعر الكاتب السياسى الجبار محمد بن عبد الملك الرّيات وزير المتصم

والوائى والمتوكل نكبه المتوكل لحقد قديم وعذبه حتى مات سنة ٢٣٣

( ٣ ) أجداد آل وهب وذريتهم أهل كتابة وبلاغة كتبوا للامراء والحلفاء منذ صدر الاسلام الى أواسط الدولة العباسية

صاحب ديوان رسائله وغيرهم، ورحل الى كبار المال بما لكمهم ومدحهم بالتصانيد  
الحالمة، وقريره منهم الى حد الصداقة والإخاء وورعوا به عن التكسب بالشرف ولأه  
الحسن بن وهب يريد الموصل فأقام بها الى أن مات (١) سنة ٧٣٩ هـ

وكان أسمر طويلاً فصيحاً حلو الكلام فيه تمتع بسيرة، حاضر ذهن، سريع  
الجواب قلماً عرّف من أهل زمانه مثله في حدة الحاطر ولطافة الحس

ويعدّ أبو تمام رأس الطبقة الثالثة من المحدثين، انتهت اليه معاني المتقدمين

والتأخرين، وظهر الدنيا قد ملئت بترجمة علوم الأوائل وحكمها: من اليونان والفروس

والهند فحصف عقله ولطف خياله بالاطلاع عليها، واستخرج من جملة ذلك طريقته

التي آثر بها تجويد المعنى على تسهيل العبارة، وكان أول من استكثر من الحكم مفة شعره

والأمثال في القصائد والاستدلال على الأمور بالأدلة العقلية، والكتابات الخفية، ولو

أفضى به ذلك الى التعقيد أحياناً، وحاول ستر ذلك بالجناس والعلاق والاستعارة

فسلمه بعضها واعتلّ عليه بعضها، فأتى من الجناس بما التث به شعره وصار كالكتف

في صفحة البدر، ومع هذا قد سلم له من كلامه جملة لم يحمْ حولها سابق، وعجز عن

محاكمتها كل لاحق

وهو الذي مهد طريق الحكم والأمثال للمتنبى وأبي العلاء وغيرهما؛ ولذلك كان

يقال ان أبا تمام والمتنبى حكيمان والشاعر هو البهترى

ولم يرزق أحد السعادة في شعره وتناول الناس له قدراً وشرحاً واشتهاراً به

مثل هؤلاء الثلاثة

وأجاد أبو تمام في كل فن من فنون الشعر. أما مرثيته فلم يعلق بها أحد جاش

صدره بشعر

وأشهرها القصيدة التي رثى بها محمد بن حميد الطائي، ومنها:

كذا فليجل الخطب وليقدح الأمر فليس لعين لم يفيض ماؤها عذراً

نموذج  
من شعره

( ١ ) في موله أبي تمام ووفاته روايت عديدة لفرقتا منها هذه

( ٢ ) هو أبو نصر محمد بن حميد وهو واخوته من شبة الدولة البساسبية وأنصارها وقرادما

قتل في إحدى وقائع الحرمية أصحاب بابك الخرمي

تُوْفِيَتِ الآمَالُ بِعَدِّ مُحَمَّدٍ وَأَصْبَحَ فِي شُغْلٍ عَنِ السَّرِّ السُّرِّ  
وَمَا كَانَ الْأَمَلُ مِنْ قَلِّ مَالِهِ وَذَخَرِ الْمَنْ أَمْسَى وَلَيْسَ لَهُ ذَخِرُ  
وَمَا كَانَ يَدْرِي بِمَجْدَى جُودِ كَفِّهِ إِذَا مَا اسْتَهْلَتْ أَنَّهُ خُلِقَ الْمُسَرُّ  
أَلَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ عَطَلَتْ لَهُ فِجَاجُ سَبِيلِ اللَّهِ وَاتْفَرَّ التَّفَرُّ  
فَتَى كَلَّمَا فَاضَتْ عَيُونُ قَبِيلَةٍ دَمَا ضَحِكَتْ عَنْهُ الْأَحَادِيثُ وَالذِّكْرُ  
فَتَى دَهْرُهُ شَطْرَانِ فِيمَا يَنْوِيهِ فِي بَاسِهِ شَطْرُ وَفِي جُودِهِ شَطْرُ  
فَتَى مَاتَ بَيْنَ الطَّمَنِ وَالضَّرْبِ مِيتَةً تَقُومُ مَقَامَ النَّصْرِ إِنْ فَاتَهُ النَّصْرُ  
وَمَا مَاتَ حَتَّى مَاتَ مَضْرِبُ سَيْفِهِ مِنَ الضَّرْبِ وَاعْتَلَتْ عَلَيْهِ الْقَنَا الشُّرُ  
وَقَدْ كَانَ فُوتَ الْمَوْتُ سَهْلًا فَرَدَّهُ إِلَيْهِ الْحِفَاطُ الْمَرْءُ وَالْخُلُقُ الْوَعْدُ  
وَنَفْسٌ تَعَاثُ الْعَارَ حَتَّى كَانَمَا هُوَ الْكَفَرُ يَوْمَ الرُّوْعِ أَوْ دُونَهُ الْكَفَرُ  
فَأُثْبِتَ فِي مُسْتَنْفَعِ الْمَوْتِ رَجُلَهُ وَقَالَ لَهَا مَنْ تَحْتَ أَخْصِيكَ الْحَشَرُ  
غَدَا غُدُوَّةً وَالْحَمْدُ نَسِجَ رَدَائِهِ فَلَمْ يَنْصَرَفْ إِلَّا وَكَفَانَهُ الْأَجْرُ  
وَمِنْهَا :

فَتَى كَانَ عَذَبُ الرُّوحِ لَا مِنْ غَضَاضَةٍ وَلَكِنْ كَبْرًا أَنْ يُقَالَ بِهِ كَبِيرُ  
فَتَى مَلَبَتْهُ الْخَيْلُ وَهُوَ حَتَّى لَهَا وَبَزَّتْهُ نَارُ الْحَوْبِ وَهُوَ لَهَا جَرُ  
وَلَهُ مِنْ قَصِيدَةٍ يَمْدَحُ بِهَا الْحَسَنَ بْنِ رِجَاءٍ <sup>(١)</sup>

لَا تَتَكْرَى عَطَلُ الْكَرِيمِ مِنَ النُّفَى فَالَسِيلُ حَرْبُ <sup>(٢)</sup> لِلدَّسْكَانِ الْمَالِ  
وَتَنْظَرِي <sup>(٣)</sup> خَيْبُ <sup>(٤)</sup> الرِّكَابِ <sup>(٥)</sup> يَنْصَهَا <sup>(٦)</sup> مَحْيَى <sup>(٧)</sup> الْقَرِيضِ إِلَى مِمَّتِ الْمَالِ

وَمِنْ قَوْلِهِ فِي الْحَجَابِ

يَأْيَهَا الْمَلِكُ النَّاسِي بِفَرَّتِهِ وَجُودِهِ لِمَرْجَى جُودِهِ كَشَبُ <sup>(٨)</sup>  
لَيْسَ الْحَجَابُ بِمَقْصُوعٍ عَنْكَ لِي أَمَلَا أَنْ السَّمَاءَ تَرْجَى حَيْثُ تَحْجُبُ

(١) مِنْ رُؤَسَاءِ الْكُتَابِ فِي دَوْلَةِ الْمَمُونِ وَالْمُتَّصِمِ

(٢) أَيُّ عِلَاقٍ (٣) انْتَهَرِي (٤) سُرْعَةُ سَيْرِ (٥) أَيْلِ السَّفَرِ

(٦) يَسُوْمُهَا (٧) يَرِيدُ تَلْسَهُ (٨) قَرِيبُ

ومن أياته السائرة قوله :

فلو صوّرت نفسك لم تزدها على ما فيك من كرم الطباع  
ومن أخفم قصائده قصيدته البائية التي هنا بها الخليفة المتعصم فتح عمورية ويسخر  
بالمنجدين وأولها :

السيف أصدق أنباء من الكتب في حده الحد بين الجد واللعب  
يبيض الصفايح لا سود الصحائف في متونها جلاء الشك والريب  
ومن قوله :

واذا أراد الله نشر فضيلة طويت أتاح لها لسان حسود  
لولا اشتعال النار فيها جاورت ما كان يعرف طيب عرف العود

## ٦ - البحتري<sup>(١)</sup>

هو أبو عبادة الوليد بن عبيد الطائي الشاعر الملقب ، أشهر من استحق لقب  
( شاعر ) على الإطلاق بعد أبي نواس

وُلد سنة ٢٠٦ هـ ناحية منبج<sup>(٢)</sup> في قبائل طى وغيرها من البدو الضاريين في شواطئ  
الفرات ، ونشأ بينهم فغلبت عليه فصاحة العرب ولازم وهو فتي أبا تمام وعليه تخرج  
واقبس طريقته في البديع بغير افراط ، وخرج الى العراق وأقام في خدمة المتوكل والفتح  
ابن خاقان محترماً عندهما ، مرّعى الجانب الى أن قُتل في مجلس كان هو حاضره فرجع  
الى منبج ، وبقي يختلف أحياناً الى رؤساء بغداد ومصر من رأى حتى مات سنة ٢٨٤ هـ  
وكان على فضله وفصاحته ورقة كلامه وبديع خياله من أنجل خلق الله وأوسعهم  
ثوباً وأوسعهم لإنشاداً ، وأكثرهم غزاً بشعره ، حتى كان يقول اذا أعجبه شعره أحسنت  
والله ، ويقول للمستمعين : ما لكم لا تقولون أحسنت ؟ هذا والله ما لا يحسن أحد أن  
يقول مثله

والكثير على أنه لم يأت بعد أبي نواس من هو أشعر من البحتري ولا بعد البحتري

( ١ ) نسبة الى بجر بطن من طى ( ٢ ) بين الفرات وحب

من هو أطبع منه على الشعر ولا أبدع منه في الخيال الشعري؛ ولنشأته البدوية ابتعد وصف شعره عن مذاهب الحضريين ونغماتهم وفلسفتهم فكان شعره كله بديع المعنى حسن الديباجة، صقيل اللفظ، سلس الأسلوب، كأنه سيل يتحدر إلى الأسباع، مجوداً في كل غرض سوى الهجاء، ولذلك اعتبره كثير من أهل الأدب هو الشاعر الحقيقي واعتبروا أمثال أبي تمام والمتنبي والمعري حكاه، ولسهولة شعره ورقته كان أكثر الأصوات التي يتقن بها في زمنه من شعره، وله ديوان كبير طبع في جزأين في الأستانة وغيرها

ومن أحسن قوله :

بلند من شعره      دنوت تواضعاً وعلوت مجدداً      فشأنك انحدار وارتفاع  
كذلك الشمس تبعدان تُساعى      ويدنو الضوء منها والشعاع

ومن قوله في مَرَى الليل وطلوع الفجر :

ولقد سریت مع الكواكب راكباً      أعجازها<sup>(١)</sup> بمزيمة كالكوكب  
والليل في لون الغراب كأنه      هو في حُلُوكته<sup>(٢)</sup> وإن لم ينعب<sup>(٣)</sup>  
والعيس<sup>(٤)</sup> تصل<sup>(٥)</sup> من دجاء كما انفجلى      صبح الخضاب عن القدال<sup>(٦)</sup> الأثيب  
حتى تبدى الفجر من جنباته      كلاله يلعب من خلال الطلح<sup>(٧)</sup>

ومن قوله في الحكمة :

إذا ما نسبت الحادثات وجدتها      بناتِ زمان أُرْصِدَتْ لبنيه  
مقَى أرت الدنيا نباهةً خامل      فلا ترقب الأُخْمُولَ نبيه  
ومن قوله في مدح الخليفة المتوكل يصف موكب خروجه لصلاة عيد الفطر وخطبته

في الناس

بالبر صمتَ وأنتَ أفضلُ صائم      وبسنة الله الرضية قَطْرُ

(١) ما أخيرها (٢) في شدة مولده وظلامه (٣) نيب الغراب صياحه

(٤) الأيل البيض (٥) يخرج

(٦) شعر مؤخر الرأس (٧) ما يطفو على وجه الماء الاسن من الحفرة

فَأَنْعَمَ يَوْمَ الْفَطْرِ عَيْنًا إِنَّهُ  
أَظْهَرَتْ عَرَّ الْمَلِكِ فِيهِ بِجَحَلٍ  
خَلَّتَا الْجِبَالَ تَسِيرَ فِيهِ وَقَدْ عَدَتْ  
فَالْخَلِيلُ تَصْبِيلُ وَالْفَوَارِسُ تَدْعَى  
وَالْأَرْضُ خَاشِعَةٌ تَجِدُ بِقَلْبِهَا  
وَالشَّمْسُ طَالِمَةٌ تَوَقَّدُ فِي الضُّحَى  
حَتَّى طَلَعَتْ بَصُورَهُ وَجْهَكَ فَانْجَلَى  
فَاقْنِي فَيَكُ النَّاطِرُونَ فَاصْبُغْ  
يَجِدُونَ رُؤْيَاكَ الَّتِي فَازُوا بِهَا  
ذَكَرُوا بِطَلْعِكَ النَّبِيَّ فَيَلْلُوا  
حَتَّى انْتَهَيْتَ إِلَى الْمُصَلَّى لَا بَسَا  
وَسَيِّتَ بِشَيْءٍ خَاشِعٍ مُتَوَاضِعٍ  
فَلَوْ أَنَّ مُشْتَاكَ تَكَلَّفَ فَوْقَ مَا  
أَهْدَيْتَ مِنْ فِصْلِ الْخَطَابِ بِحِكْمَةٍ  
وَوَقَفْتَ فِي بُرْدِ النَّبِيِّ مَذْكِرًا

يَوْمَ أَغْرُ مِنْ الزَّمَانِ مُشْهَرٌ  
لَجِبَ يُحْلَطُ الَّذِينَ فِيهِ وَيَنْصَرُ  
عُدَدًا يَسِيرُ بِهَا الْعَدِيدُ الْأَكْثَرُ  
وَالْيَضُّ طَمَعٌ وَالْأَسْنَةُ تَزْهَرُ  
وَالْجَوُّ مَعْتَكِرُ الْجَوَانِبِ أَغْيَرُ  
طَوْرًا وَيُطْفِئُهَا الْمِجَاجُ الْأَكْدَرُ  
ذَاكَ الدُّخَى وَفِتْجَابِ ذَاكَ الْعَيْبَرُ  
يَوْمًا إِلَيْكَ بِهَا وَعَيْنٌ تَنْظُرُ  
مَنْ أَنْعَمَ اللَّهُ الَّتِي لَا تُكْفَرُ  
لَمَّا طَلَعْتَ مِنَ الصَّفُوفِ وَكَبَّرُوا  
نُورَ الْهُدَى يَدْعُو عَلَيْكَ وَيُظْهِرُ  
لَهُ لَا يُرْهِى وَلَا يَتَكَبَّرُ  
فِي وَسْمِهِ لَسَى إِلَيْكَ الْمُنْتَهَى  
تُنْبِي عَنِ الْحَقِّ الْبَيِّنِ وَتُنْخَبِرُ  
بِاللَّهِ تَنْذِيرَ تَارَةٍ وَتُبَشِّرُ

## ٧ - ابن الرومي

هو أبو الحسين علي بن العباس بن جريج الرومي مولى لبي العباس، الشاعر الكثير المطبوع، صاحب النظم العجيب، والتوليد الغريب، والمعاني المختصرة، والأهالي المقدعة ولد ببغداد سنة ٢٢١ ونشأ بها، وأقام كل حياته، وكان كثير التأليف جدًا وله فيه أخبار غريبة حتى كان أصحابه إذا أرادوا أن يعيشوا به، أرسلوا إليه من يتطهر من اسمه فلا يخرج من بيته، ويتمتع من التصرف سائر يومه، وكان القاسم بن عبيد الله وزير المعتز يحاف جهوه وقتلت لسانه، فيقال أنه دس عليه من أطعمه خُسْكَانَةً<sup>(١)</sup> مسمومة فأكلها ثم أتى منزله وأقام به أيامًا ومات سنة ٢٨٣ ببغداد، وقيل بل مرض

(١) تروادف ما يسمى الآن (بسكروتا)

صورة شعره ووصف له الطبيب دواء فيه سُم فَنَلَطَ في مقداره وأكثر منه فمات. وقال ابن الرومي الشعر في كل غرض ولا سيما الوصف والهجاء، وتنبَّع في الشعر نبوغاً لم يقصُر به كثيراً عن درجة البحترى، وربما فاقه في اختراع المعاني النادرة أو توليدها من معاني من سبقه بشكل جديد، ووضعا في أحسن قالب؛ وكان إذا اخترع المعنى أو ولده من كلام غيره لا يزال يستقصي فيه وينظمه بوجوه مختلفة حتى لا يدع فيه بقية؛ وهو ممن جمع صِقال اللفظ وإجادة المعنى، ويكفيه فضلاً أن يكون المتنبّي أحد رواة ديوانه والأخزين عنه؛ وكان يكثر القول في مطولاته. فيرذل منها الكثير. وله ديوان كبير يطبعه الوزير الخطير أحمد حشمت باشا، ويشرحه الأستاذ الجليل محمد سليم شريف بلده من شعره ومن معانيه البديعة قوله :

وإذا امرؤ مدح امرأ لنواله      وأطال فيه فقد أطال هيجاءه  
لو لم يقدر فيه بعد المستقى      عند الورود لما أطال رشاءه<sup>(١)</sup>

وقوله :

كأن آذرتُها<sup>(٢)</sup>      والشمسُ فيه كالبة<sup>(٣)</sup>  
مذهبان<sup>(٤)</sup> من ذهب      فيها بقايا غالية<sup>(٥)</sup>

وقوله في صانع الرقاق :

ما أنس<sup>(٦)</sup> لا أنسَ خبازاً مررت به      يدحو<sup>(٧)</sup> الرقاقة مثل اللح بالبصر  
ما بين رؤيتها في كفه كوة<sup>(٨)</sup>      وبين رؤيتها قوراء<sup>(٩)</sup> كالقمر<sup>(١٠)</sup>  
الأبجداد ما تتداح<sup>(١١)</sup> دائرة      في لجة الماء يلقي فيه بالحجر

(١) جله (٢) هو نوع من زهر الانحواك يختلف لونه، ومنه ما لونه ذهبي في وسطه  
رأس صغير اسود (٣) من كل بصره في العين، ودَّه فيه  
(٤) جمع مدمن (بضم الميم والماء) وهي حقة الدمن ووطاؤه  
(٥) هو نوع من الطيب مركب من عدة أخلاط، قيل أنها اخترعت لمأوية بن أبي سفيان  
(٦) (ما) شرطية و (أنس) فعل الشرط و (لا أنس) جوابه - والمعنى إن نسيت  
شيئاً لا أنس كذا (٧) يبسط (٨) واسعة (٩) في حسن الاستدارة والياض  
(١٠) تعظم وتبسط



وقال في بغداد وقد غاب عنها في بعض أسفاره :

بلد صَحِبَتْ به الشَّيْبَةُ والصَّبَا      ولبستُ ثوبَ اللهو وهو جديد  
فإذا تَمَثَّلَ في الضمير رأيتُه      وعليه أغصانُ الشباب تيمد  
وقال وهو يحود بنفسه :

غَلَطَ الطَّيِّبُ على غِلْطَةِ مُورِدٍ      عَجَزَتْ موارِدُه عن الإصدار  
والناسُ يُلَحِّقُونَ الطَّيِّبَ وإِنَّمَا      غَلَطَ الطَّيِّبُ إصَابَةُ الأقدار

## ٨ — ابن المعتز

هو أمير المؤمنين أبو العباس عبد الله ابن أمير المؤمنين محمد المعتز بالله، أشعر بني هاشم ، وأبرع الناس في الأوصاف والتشبيهات

وُلِدَ سنة ٢٤٩ هجرية في بيت الخلافة، وتربى تربية الملوك، وأخذ عن المبرد<sup>(١)</sup> وشلب<sup>(٢)</sup> ومؤدبه أحمد بن سعيد<sup>(٣)</sup> الدمشقي وغيرهم، ومهر في العربية والأدب وكل علم يعرفه أئمة عصره وفلاسفة دهره، حتى هابه وززاه الدولة وشيوخ كتابها وعملوا على أن لا يقلدوه الخلافة خشية أن يكف أيديهم عن الاستبداد بالملك، وولوا القندر صبيًا، ثم حدثت فتنة عظيمة فسرع محمد بن داود بن الجراح<sup>(٤)</sup> (وكان من أفاضل الكتاب والأدب) وجمع العلماء والكتاب والقضاة وخلعوا القندر، وبايعوا ابن المعتز بالخلافة على غير طلب منه، فلما رأى غلمان القندر أن الأمر سيخرج من أيديهم حكموا على أتباع ابن المعتز فاخنى في دار بعض<sup>(٥)</sup> التجار قبض عليه وخنى من ليلته ودفن بخرقة بجوار داره سنة ٢٩٦ هجرية

( ١ ) هو النحوى البصرى العظيم والأديب الكبير أبو العباس محمد بن يزيد المبرد الأديب المتوفى سنة ٢٨٥ صاحب الكامل والروضة والمقتضب

( ٢ ) هو النحوى العظيم الكوفى أبو العباس أحمد بن يحيى المشهور بشلب، توفى سنة ٢٩١

( ٣ ) كان أديبا متفلسفا أدب عبد الله وروى عنه أخباره وشعره

( ٤ ) كان كاتباً عارفاً بأخبار الناس ودول الملوك له عدة مصنفات، قتل سنة ابن للمعتز سنة ٢٩٦

( ٥ ) هو أبو عبد الله الحسين المروفي بابن الجعاسى التاجر الموهرى أخذ منه القندر في سادته ابن المعتز إلى ألف دينار وسلم له بعد ذلك سبعمائة ألف دينار، وكان فيه غفلة وله على يحيى مرقط، توفى سنة ٣١٥

وصف شعره وكان ابن المعتز سهل العبارة، كثير مراعاة البديع في قوله مع رشاقة وقلة تكلف وتصنع، ولما كان مقامه يميل عن الاكتساب بالشعر قل المدح في كلامه إلا في أهل بيته من الخلفاء وبعض وزراء الدولة، وزاد في التشبهات البديعة، وأوصاف محاسن الطبيعة، وبجالات الأكنس ومراسلة الإخوان في الدعوة إليها، ووصف الصيد وكلاهما وبواشقه وفهوده والقلم والقرطاس، ونحو ذلك والمتأمل في شعره يعرف فيه نضرة النعم، وترف الملك، ورقة الخيال، ولطف الوجدان

نبذة من شعره ومن ابتداءاته الجميلة قوله :

أخذت من شبابي الأيام وتولّى الصبا عليه السلام  
وارعوى باطلي فإن حديث النفس منى وعفت الأحلام

وقوله :

ما الثاني من يدمم بالمعاني فليكن شأنك البكاء وشاني  
أمتحى ربههم وكان جديداً ونأى منهم الذي كان دافى  
ما مرزنا على لوى فيه نعم<sup>(١)</sup> مذ مرزنا على لوى نعمان<sup>(٢)</sup>

ومن شعره قوله :

تقدّ مساقط لحظ الرّيب فان الميون وجوه القلوب  
وطالع بوادره في الكلام فانك تجنى ثمار النيوب  
ومن تشبهاته قوله في الملل :

وانظر إليه كزروق من فصة قد أتهلته حولة من عنبر  
وقوله :

انظر الى حسن هلال بدا يهتك من أنواره الحنديسا<sup>(٣)</sup>  
كنجّل قد صيغ من فصة يحصد من زهر الدجى نرجسا

(١) من أسماء نسائهم (٢) مكان وجيلان ببلاد العرب  
(٣) الظلام

## ٩ - أبو الطيب المتنبى

هو أبو الطيب أحمد بن الحسين الجعفي الكندي الكوفي المتنبى، الشاعر الحكيم صاحب الأمثال السائرة والمعاني النادرة، وخاتم ثلاثة الشعراء وآخر من بلغ شعره غاية الارتفاع.

وهو من سلالة عربية من قبيلة جُعْفَى بن سعد المشيرة إحدى قبائل البجاية ولد بالكوفة سنة ٣٠٣ في محلة كِنْدَةَ ونُسِبَ إليها ، وليس بكندى . ونشأ بها وأولع بتعلم العربية من صباه ، وكان نادرة في الحفظ لا يسأل عن شيء إلا استشهد فيه بكلام العرب من النظم والنثر ، وكان أبوه فيما يُقال سقاء فخرج به الى الشام . ورأى أبو الطيب أن استتمام علمه باللغة والشعر لا يكون إلا بالمعيشة في البادية فخرج الى بادية بني كلب وهو بعد قتي لا يزيد عمره على عشرين سنة فأقام بينهم مدة ينشد من شعره ويأخذ عنهم الفنة إذ كانت لا تزال صحيحة بالبادية حتى أحاط بفريها وخوشها ، فظم شأنه بينهم ؛ وكانت الاغراب الضاريون بمشارف الشام شديدي الشغب على ولائها فوشى بعضهم الى لؤلؤ أمير حمص من قبل الاخشيدية <sup>(١)</sup> بأن أبا الطيب ادعى النبوة في بني كلب <sup>(٢)</sup> وتبعه منهم خلق كثير ويخشى على ملك الشام منه، فخرج لؤلؤ الى بني كلب وحاربهم وقبض على المتنبى وحبسه طويلاً ثم استأبته وأطلقه <sup>(٣)</sup>

فخرج من السجن وقد لصق به اسم المتنبى مع كراهته له ، ثم تكسب بالشعر مدة

( ١ ) الدولة الاخشيدية هي دولة استقلت بمصر والشام والحجاز استقلالاً داخلياً من سنة ( ٣٢٤ - ٣٥٨ هـ ) ورأسها ( محمد بن طنج الاخشيد ) مات سنة ٣٣٥ وخطه ابنه ابو التلم أنجور وكان صغيراً جيل الأستاذ ابو السك كافور الحصى الاسود قتلها طغ فأتان وأنجور سنة ٣٤٩ وخطه ابنه علي ولم يكن له مع كافور من الامر شيء . ومات سنة ٣٥٥ قتل كافور ملك مصر وجاءه تقليد الخليفة ومات سنة ٣٥٧ قتل احمد بن علي بن الاخشيد فقام شهوراً حتى جأت الدولة الفاطمية وفتحت مصر

( ٢ ) راجع مصور جزيرة العرب المرفق بهذا الكتاب

( ٣ ) راجع كتاب تاريخ أدب اللغة في العصر العباسي

اتهمت بلحاقه بسيف الدولة بن حمدان <sup>(١)</sup> فدحه بما خلد اسمه أبدا الدهر، وتعلم منه الفروسية وحضر معه وقائمه العظيمة مع الروم حتى عُذ من أجال القتال رجاء أن يكون صاحب دولة . وبقى أثيراً عنده مُقدماً على جميع حاشيته وبطائته مع صلته وتبته فوشوا به الى سيف الدولة وكان أشدّهم حسداً له ابنُ خالويه <sup>(٢)</sup> النحوى مؤدّب سيف الدولة : فجرت مناظرة بينه وبين أبي الطيب في مجلس سيف الدولة فضربه ابن خالويه بمفتاح حديد في وجهه فشجّه ولم يُنصفه سيف الدولة منه قصصاً أبو الطيب كافورا الاخشيدى أمير مصر طمعاً أن ينال عنده ما لم ينل عند سيف الدولة ومدحه بقصائد منية ووعده كافور أن يقتله اماره أو ولاية ولكنه لما رأى تفاليه في شعره وفخره بنفسه عدل أن يوليه ، وعابه بعضهم في ذلك فقال : يا قوم من ادعى النبوة بعد محمد صلى الله عليه وسلم أما يدعى الملكة بعد كافور فحسبكم ، فصاتبه أبو الطيب عتاباً أمضه وآلمه ، واستأذن في الخروج من مصر فأبى ، فتغفله في ليلة عيد النحر وخرج منها يريد الكوفة ، ومنها قصد عضد الدولة بن بويه بفارس ماراً ببغداد ، فدحه ومدح وزيره ابن العميد فأجزل صلته وعاد الى بغداد ، وخرج الى الكوفة فخرج عليه أعراب بنى ضبة وفيهم فاتك بن أبي جهل ، وكان المتنبى قد هجاء هجاء مقذعاً فقاتلهم قتالاً شديداً حتى قتل هو وابنه وغلّاه سنة ٣٥٤

### منزله في الشعر

لاخلاف عند أهل الأدب في أنه لم ينبغ بعد المتنبى في الشعر من بلغ شأوه أو دانه ، والمعترى على بعد غوره وفرط ذكائه وتوقد خاطره وشدة تعمقه في المعاني والتصورات الفلسفية يعترف بأبي الطيب ويقدمه على نفسه وغيره

( ١ ) هو ابو الحسن على اشهر أمراء الدولة الحمدانية من قيلة تغلب ، وكان سيف الدولة يملك حلب والواصم ثم أخذ دمشق من الاخشيدية ومات سنة ٣٥٧ وكان أخوه الحسن ناصر الدولة يملك الموصل والجزيرة وخلف سيف الدولة ابنه سعد الدولة وخلف ناصر الدولة ابنه ابو تغلب ثم أخوه الفضل

( ٢ ) هو ابو عبد الله الحسين بن احمد بن خالويه كان اماماً في الفقه والنحو توفي سنة ٣٧٠

على أنهم مجمعون أن البحترى من حيث رقة اللفظ وحسن التخيل فضل أبا تمام والمتنبى ويختلفون في المفاضلة بين الأخيرين من حيث الحكيم والمعنى ولعل المتنبى أرجحهما . وقد قال المتنبى الشعر في كل غرض من أغراضه ، وأجاد في وصف المعارك والعتاب والمراثي ، أما مدائحهم فهي أكثر بضاعته وقلماً ترك فيها معنى لم يطرقه . ولتقته بنفسه في اللغة وعلوم العربية جعل غاية في شعره إبراز معانيه الشريفة وأفكاره الدقيقة على أى لفظ كان وبأى أسلوب تيمأ له ولو لم يجز على مشهور القياس أو ينطبق على وجهه البلاغة والأساليب الشعرية السهلة ؛ ولذلك نجد في كلامه كثيراً من الترابية والتعقيد اللفظي ؛ وله من الحكم والأمثال ما يربو به على كل شاعر تقدمه ، وقد أصبح للغة العربية من كلامه ثروة لم تكن لها لولاه ، وما من كاتب أو خطيب أو متكلم أو مناظر أو مدرّس إلا وله من حكم المتنبى مدد أيما مدد

شيء من شعره

ومن قوله :

إذا رأيت يُوبَ اللَّيْثِ يَارِزَةً	فلا تظنَّ أن اللَّيْثَ ينسَمُ
أعيذهَا نظراتُكَ منك صادقةٌ	أن تحسبَ الشَّحْمَ فيمن شحمُهُ وِدْمُ
وما انتفاعُ أخى الدنيا بناظرِهِ	إذا استوتَ عنده الأَنوارُ والظُّلُمُ
يا من يعزُّ علينا أن تارقهمْ	وجِدائنا كلُّ شيءٍ بهدِّكمْ عِدْمُ
إن كان مَرَّكمْ ما قال حاسدُنَا	فما لجرحٍ إذا أرضاكمْ أَلَمُ
وينبأ لو رعيتمْ ذاكَ معرفةً	إن المعارفَ في أهلِ التَّغْيِ دِمْمُ
كم تطلبونَ لنا عيًّا فيمُجِرْكمْ	ويكره اللهُ ما تآتونَ والكرُمُ
إذا ترحلتَ عن قومٍ وقد قدروا	ألا تارقهمْ فالراحلونَ هُمُ

ومن قوله :

ذو العقلِ يَشْتَقِي في النعمِ بقله	وأخو الجمالةِ في الشقاوةِ ينعمُ
لا يخذلُكَ منْ عدوٍّ دمه	وأرحمُ شياكُ منْ عدوٍّ ترخُّمُ
لا يسلِّمُ الشرفُ الرفيعُ من الأذى	حتى يراقَ على جوانبه الدَّمُ
والظلمُ من شيمِ النفوسِ فإن تجدُ	ذا عَمَّةٍ فليقلْ لا يظلمُ

ومن البلية عذل من لا يرعوى عن غيه وخطاب من لا يفهم  
ومن المداوة ما ينالك فمه ومن الصداقة ما يضرب ويؤلم  
ومن قوله :

ما كنت أحسب قبل دنك في الثرى أن الكواكب في التراب تمور  
ما كنت أمل قبل نسيك أن أرى رضى<sup>(١)</sup> على أيدي الرجال يسير  
خرجوا به ولكل بالك حوله صمقت موسى يوم ذلك الطور  
حتى أنوا جدًا كأن ضريحه في كل قلب موجد محفور  
كفل الله له برد حياته لما انطوى فكأنه منشور  
وديان شعره مشهور شرح وانتقد وكتب فيه أكثر من أربعين تأليفاً ومن  
شروحه المطبوعة شرح المكبري في جزأين

## ١٠ — ابن هاني الأندلسي

هو أبو القاسم محمد بن هاني الأزدي الأندلسي، شاعر القرب وشيبي، والمؤثر  
خاتمة الفاتحة على رقة ممانيه، وأحد المفرطين في غلو المدح واستعمال الاستعارة والتشبيه  
وُلد بأشبيلية سنة ٣٢٦ ولما بُنِي شأنه انصل بمامل اشبيلية زمن المستنصر  
الأموي<sup>(٢)</sup>، ومدحه بضر القصائد فأحلّه منه منزلة سنّية وأغدى عليه المطايا فأكب  
على اللهو والطرب والاشتغال؛ واتهم بالزندقة والكفر لاشتغاله بمذاهب الفلاسفة  
وظهور أثرها في شعره باستعمال الغلو المفرط في وصف ممدوحه بصفات المعبود  
وغير ذلك

ولما شاع ذلك عنه قه عليه أهل اشبيلية واشركوا علمها في التهمة وكادوا  
يهمون به فأشار عليه بالمهجرة من اشبيلية فاجتاز البحر إلى عدوة المغرب، ومدح

(١) راجع مصور جزيرة العرب للرفق بهذا الكتاب

(٢) هو الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل بالأندلس والمؤسس بها دولة بني أمية  
للعزية تولى المستنصر سنة ٣٢٦

ولاته من قبل المعز الفاطمي؛ ثم نعى خبره إلى المعز<sup>(١)</sup> فوجه في طلبه فوجد عليه بأفريقية ومدحه فبالغ في الانمام عليه ودخل في دعوة الفاطميين وأغرق فيها فاصطفاه المعز واتخذ شاعر دولته

ولما فتح جوهر مصر وبني القاهرة ورحل إليها المعز لبيتخذا دار ملكه شيعة ابن هاني ورجع لأخذ عياله والالتحاق به فتجهز وتبعه؛ فلما وصل إلى بركة نزل على بعض أهلها فأقام عنده أياما في مجلس أنس يقال أنهم عربدوا عليه وقتلوه سنة ٣٦٢ وعمره ٣٦ سنة، وقيل في سبب موته غير ذلك.

### منزلته في الشعر

لم ينبغ في شعراء جزيرة الأندلس ولا بر المغرب جميعها من متقدمهم أو متأخرهم من يوفق ابن هاني في صناعة الشعر أو يساويه قد كان عندهم في الشهرة والامادة وشرف الشعر بمنزلة المتنبّي عند المشارقة لا في الطريقة والمال وكان في عصر واحد، ويسميه كثير من الأدياء بمتنبّي المغرب

ولما بلغ المعز الفاطمي خبر وفاته وهو بمصر تأسف عليه كثيرا وقال (هذا الرجل سنة شعره كنا نرجو أن فاضحه شعراء المشرق فلم يُقدّر لنا ذلك) ويمتاز شعره بكثرة غريبه ونحمة لفظه وطنطنة تراكيبه وجبلة عبارته وهول وقها في نفس سامعها وإن لم تكن كل معانيه مشاكلة لفظه في العظم والزوعة كما امتاز بحسن تصوير الخيال وإجادة التشبيه والاستعارة المتلازمة الملائق والقرائن وكثرة الفلوات التي يعرّب من الكفر في المديح ونحوه مع شدة تحامى الأندلسيين ذلك في شعرهم وانشائهم. وابن هاني ممن يبيد المطولات من القصائد ولو كانت صعبة القوافي

(١) هو أبو محمد محمد بن اسماعيل راج خلفاء الدولة الفاطمية وباعت القائد جوهر لفتح مصر ففتحها وأسس القاهرة وانتقل إليها المعز ومات بها سنة ٣٦٥ وأوائل خلفاء هذه الدولة كانوا بالمغرب ورأسهم عبيد الله المهدي تولى سنة ٣٢٢ ثم خلفه ابنه القائم بأمر الله أبو القاسم محمد وتولى سنة ٣٨٤ ثم خلف هذا ابنه المنصور اسماعيل تولى سنة ٣٢٦ ثم ابنه المعز المذكور آنفا وحكم بمصر من أولاده وأحفاده أشهرهم ابنه العزيز ثم ابن العزيز الحاكم بأمر الله ثم ابنه الظاهر ثم عدة منهم وافتقرت دولتهم سنة ٥٦٧

ومن قوله في وصف الخيل :

وصواعلي لا الهضب<sup>(١)</sup> يوم متأرها<sup>(٢)</sup> هضب ولا اليد الحزون<sup>(٣)</sup> حزون  
عرفت بساعة سبها لا أنها علفت بها يوم الزمان عيون  
وأجل علم البرق فيها أنها مرت بمجاحتيه وهي ظنون

ومن قوله الموم الكفر في مطلع قصيدة يمدح بها المعز :

ما شئت لا ما شئت الأقدار فاحكم فأت الواحد القهار

وقوله من قصيدة في مدح المعز ويخاطب حامل مظلة

أديرها من حيث دار لشد ما زاحت تحت ركابه جزيلا

ومن قوله في مبدل قصيدة رثاء :

صدق الفناء وكذب العمر وجلا العطات<sup>(٤)</sup> وبالغ الندر

إننا وفي آمال أنفسنا طول وفي أعمارنا قصر

لنرى بأعيننا مصارعنا لو كانت الأبواب تستر

مما دهانا أن حاضرننا أجاتنا والفتاب الفكر

وإذا تدبرنا جوارحننا فأكلهن العين والنظر

أى الحياة ألد عيشتها من بعد على أنى بشر

خرست (لعمرك الله) ألسنا لما نكلهم فوقنا القدر

## ١١ — أبو العلاء المعري

هو أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان المعري التنوخي<sup>(٥)</sup> الشاعر الفيلسوف

المتقن، الزاهد، صاحب التصانيف والرسائل المأثورة

وهو عربي النسب من قبيلة تنوخ من بطون قضاة ويلة بيت علم وقضاء

(١) الهضب والهضبة الجبل المنبسط على الارض (٢) أى يوم افترقا

(٣) جمع حزن ضد السهل

(٤) اللؤلؤ محذوف أى جلا العطات الشهوات والنغلات في أمر الدنيا

(٥) راجع مصور جزيرة العرب في هذا الكتاب



وُلِدَ بِمَعْرَةِ النِّعْمَانِ <sup>(١)</sup> سَنَةَ ٣٩٨ هـ وَجُدَ فِي الثَّلَاثَةِ مِنْ عَمَرِهِ فَكُفَّ بِصَرِهِ، وَتَعَلَّمَ النُّحُو  
وَالْعَرَبِيَّةَ عَلَى أَبِيهِ وَغَيْرِهِ مِنْ أُمَّةِ زَمَانِهِ، وَكَانَ يَحْفَظُ كُلَّ مَا يَسْمَعُهُ مِنْ مَرَّةٍ، وَاتَّعَنَ كَثِيرًا  
مِنْ دَارِ كُتُبِ آلِ عِمَارٍ <sup>(٢)</sup> بِطَرَابُلسِ الشَّامِ، وَقَالَ الشُّعْرُ وَعَمَرُهُ أَحَدَى عَشْرَةَ سَنَةً  
وَدَخَلَ بَغْدَادَ وَأَقْبَلَ عَلَيْهِ السَّيِّدُ الْمُرْتَضَى <sup>(٣)</sup> أَقْبَالًا عَظِيمًا ثُمَّ جَنَاهُ

وَلَمَّا رَجَعَ إِلَى الْمَعْرَةِ أَقَامَ وَلَمْ يَرْحَ مَنْزِلَهُ وَتَسَكَّ وَتَمَيَّ قَسَمَهُ رَهْنَ الْحَبِيشِينَ: مَحْبِسِ  
الْعَمَى وَمَحْبِسِ الْمَنْزِلِ. وَفَدَّ عَلَيْهِ الطُّلَّابُ وَالْأُدِيَاءُ وَالرُّوَاةُ وَالتَّفَلُّسُونَ، وَكَاتِبَةُ الْوُزَرَاءِ  
وَالْعُلَمَاءُ وَبَقِيَ فِي مَنْزِلِهِ مَكْبَأٌ عَلَى التَّدْرِيسِ وَالتَّأْلِيفِ، وَنَظَّمَ الشُّعْرَ مَقْتَمًا بِمَشْرَاتٍ مِنْ  
الدُّنَايَا فِي الْعَامِ يَسْتَغْلِيهَا مِنْ عَقَارِ لَهُ، مَجْتَنِبًا أَكْلَ الْحَيَوَانِ وَمَا يُخْرِجُ مِنْهُ مَدَّةَ ٤٥ سَنَةً،  
مَكْتَنِيًا بِالنَّبَاتِ وَالْفَاكِهِةِ وَالدَّرْبَسِ <sup>(٤)</sup> مُتَعَلِّقًا بِأَنَّهُ قَدِيرٌ وَأَنَّهُ يَرْسُمُ الْحَيَوَانَ، وَطَاشَ  
عَزَبًا إِلَى أَنْ مَاتَ سَنَةَ ٤٤٩ هـ بِالْمَعْرَةِ. وَأَوْصَى أَنْ يَكْتُبَ عَلَى قَبْرِهِ  
هَذَا جَنَاهُ أَبِي عُلَى وَمَا جَنِيَتْ عَلَى أَحَدٍ

وَلَهُ كَثِيرٌ مِنَ الشُّعْرِ يَنَاقِضُ بَعْضُهُ فِي حَقِيقَةِ الْعَالَمِ وَالشَّرَائِعِ وَالْمَعْبُودِ، وَلِلنَّاسِ فِي  
اعْتِقَادِهِ أَقْوَالٌ كَثِيرَةٌ وَالظَّاهِرُ أَنَّهُ كَانَ شَاكًّا مُتَحِيرًا

وَكَانَ أَبُو الْعَلَاءِ الْمَعْرِيُّ أَحْكَمَ مَنْ رَأَى النَّاسُ بَعْدَ الْمُتَنَبِّئِيِّ، وَيَزِيدُ عَلَيْهِ فِي الْغَرِيبِ  
وَالْأَخْيَلَةِ الدَّقِيقَةِ وَالتَّكَلُّمِ فِي الطَّبَائِعِ وَوَسَائِلِ الْاجْتِمَاعِ وَطَوَاتِ النَّاسِ وَأَخْلَاقِهِمْ وَمَكْرَمِ  
وِظْلَمِهِمْ وَنِظَامِ الْحُكُومَاتِ وَالْقَوَانِينِ وَالشَّرَائِعِ وَالْأَدْيَانِ، وَهُوَ مِنْ هَذِهِ الْوَجْهَةِ يَمْتَازُ  
مِنَ الْمُتَنَبِّئِيِّ؛ وَلِذَلِكَ يُفَضِّلُهُ الْإِفْرَنْجِيُّ وَمُسْتَرْبُومٌ عَلَيْهِ؛ وَهُوَ فِي هَذِهِ الْأُمُورِ مَدْمُومُ التَّظْيِيرِ  
وَلَمْ يَنْظَمْ فِي الْمَلَّةِ أَحَدٌ غَيْرَهُ فِيهَا. وَشُعْرُهُ فِي الْمَدَامِخِ وَالرَّائِي وَالْوَصْفِ وَبَقِيَةِ أَنْغَرَاضِ  
الشُّعْرِ الْأَدَبِيَّةِ أَرْقَى مِنْ شُعْرِهِ فِي النِّقْدِ وَالْفَلَسَفَةِ، إِلَّا أَنَّهُ أَكْثَرَ شُعْرَهُ مِنْ هَذَا التَّيْلِ

( ١ ) بَلَدٌ بَيْنَ حِمَاةٍ وَحَلَبَ امْتَدَّتْ إِلَى السَّمَاءِ بَيْنَ بَشِيرِ الصَّطَّاحِيِّ لِأَنَّهُ اجْتَلَى بِهَا دَفْنَهَا  
وَلَدَا لَهُ ثُمَّ أَقَامَ بِهَا

( ٢ ) هُمُ اسْرَةُ اسْتَقْبَدُوا زَمَنًا بِطَرَابُلسِ الشَّامِ وَطَلَعَتْهَا وَجُودًا مِنَ الْكُتُبِ مَا لَا يَحْصِي  
فَأَحْرَقَهَا الصَّلَاحِيُّونَ عِنْدَ اسْتِيلَاتِهِمْ عَلَى طَرَابُلسَ، وَأَشْهَرُ هَذِهِ الْاسْرَةِ أَبُو طَالِبِ بْنِ عِمَارٍ قُتِلَ  
طَرَابُلسَ الْمُتَوَلَّى سَنَةَ ٤٦٤ هـ ثُمَّ ابْنُ أَخِيهِ جَلَالُ الْمَلِكِ أَبُو الْحَسَنِ بْنِ عِمَارٍ

( ٣ ) هُوَ السَّيِّدُ الْغَرِيبُ أَبُو الْقَاسِمِ عَلَى بْنِ الْحُسَيْنِ أَخُو الْغَرِيبِ الرَّضَى وَهُوَ صَاحِبُ  
( ٤ ) آمَالِ السَّيِّدِ الْمُرْتَضَى ( تَوَلَّى سَنَةَ ٤٣٦ هـ )

( ٤ ) هُوَ صِلُ الْغُرِّ وَالْفَاكِهِةِ

ضمنه ديوانه المسمى لزوم ما لا يلزم فتجيد فيه قيود حبست أفكاره ونهكت معانيه  
لجأت الفانلة فيه غريبة وأساليبه معقدة . وعندنا أن هذا أمقت شذوذ له والألفا  
لفيلسوف والقيود ؛ وقد كان له في نظم الأفكار التي لم تخطر على قلب أحد سواه  
غنية وشهادة على براعته وسبقه ؛ وقَّه في خلقه شؤون

ومن مراثيه مرثيته المشهورة ، ومنها :

غَيْرُ مُجِدِّ فِي مِلَّتِي وَاعْتِقَادِي    تَوْحُّ بِالِكِّ وَلَا تَرْتُمُ شَاد  
وَشَيْبَةُ صَوْتِ النَّحْيِ إِذَا قَيْسَ بِصَوْتِ الْبَشِيرِ فِي كُلِّ نَاد  
أَبَكْتُ تِلْكَ الْحَمَامَةَ أَمْ غَنَسْتُ عَلَى فَرْعِ غُصْنِهَا الْمِيَادُ (١)  
صَاحِ هَذِي قُبُورُنَا تَعْلَا الرَّحْصَبَ فَأَيْنَ الْقُبُورُ مِنْ عَهْدِ عَاد  
خَفِيَ الْوُطَاءُ مَا أَظُنُّ أَدِيمَ الْإَرْضِ الْآنَ مِنْ هَذِهِ الْأَجْسَادِ  
وَقَبِيحُ بِنَا وَإِنْ قَدُمُ الْعَهْدُ هَوَانُ الْآبَاءِ وَالْأَجْدَادِ  
سِرَانِ اسْطَلَمْتُ فِي الْهَوَاوِ رَوَيْدَا لَا اخْتِيَالًا عَلَى رُفَاتِ الْعِبَادِ  
رُبُّ لَحْدٍ قَدْ صَارَ لِحْدًا مِرَارًا    ضَاكُ مِنْ تَزَاكُمِ الْأَضْدَادِ  
وَدَفِينِي عَلَى بَقَايَا دَفِينٍ    فِي طَوِيلِ الْأَزْمَانِ وَالْآبَادِ  
فَاسْأَلِ الْفَرَقْدَيْنِ (٢) عَنْ أَحْسَا    مِنْ قَيْسِلٍ وَأَنْسَا مِنْ بِلَادِ  
كَمْ أَقَامَا عَلَى زَوَالِ نَهَارٍ    وَأَقَامَا لِمُدَّلِجٍ فِي سَوَادِ  
تَعَبُ كُلُّهَا الْحَيَاةُ فَا أَعْجَبُ الْآنَ مَنْ رَاغِبٍ فِي ازْدِيَادِ  
إِنْ حَزْنَا فِي سَاعَةِ الْمَوْتِ أَضْمَا    فُ سُرُورٍ فِي سَاعَةِ الْمِيلَادِ  
خُلِقَ النَّاسُ لِلْبَقَاءِ فَضَلَّتْ أُمَّةٌ    يَحْسَبُونَهُمْ لِلتَّنَادِ  
أَمَّا يَقُولُونَ مِنْ دَارِ أَعْمَا    لِي إِلَى دَارِ شِقْوَةٍ أَوْ رِشَادِ

(١) أي أني لا أعرف الفرق بين صوت النحى وصوت البشير كما لا يعرف الناس صوت  
الحمامة فيضهم يسيه بكاء ويضهم يسيه غناء

(٢) هما نهجان في بساتن نض الصغرى ( الفلب الاسمر )

وهي طويلة ومنها :

بان أمرُ الإله واختلف الناسُ فداع إلى صلال وهاد  
والذي حارت البرية فيه حيوانٌ مستحدثٌ من جاد  
فاللييبُ اللييبُ من ليس ينة — بكونٍ مَصرِه لفساد  
ومن قوله الموم في الزوميات :

ضحكتنا وكان الضحكُ منا سفاهةً وحقٌ لسكان البسيطة أن ييكوا  
تخطئنا الأيام حتى كأننا زجاج ولكن لا يادُ لنا سبك

## ١٢ - ابن خفاجة الأندلسي

هو أبو اسحق ابراهيم بن عبد الله بن خفاجة ، شاعر شرقي الأندلس ، وأشهر  
وصاف الطبيعة

ولد بجزيرة شقر<sup>(١)</sup> من أعمال بلنسية سنة ٤٥٠ هـ فعمل وتأدب ونظم الشعر  
وأحسن فيه ، وكتب الرسائل الاخوانية البليغة ؛ وما زالت شمس أدبه في صعود حتى  
صار واحد زمانه في الأندلس : شعراً وثقراً ، وحلاوة منطلق ، وحسن محاضرة ، وعلو همة  
فقلاً تعرض لاستراحة ملوك الطوائف<sup>(٢)</sup> مع تهاقهم على أهل الأدب ؛ وكان في صباه  
طروباً حاكماً على الملهات ثم أقطع في كهولته عن صباهه وغلب على شعره وصف  
الحوادث الجوية ومناظر الطبيعة ؛ وله غزل رقيق ، ومدح بارع ، ورواء بليغ ؛ ويمتاز  
شعره بالجزالة وكثرة الماتى وازدحامها في اللفظ حتى يحتاج في فهمها الى التأمل على  
خلاف مذهب الأندلسيين في ذلك . وتوفي سنة ٥٣٣ هـ

ومن قوله يصف زهرة :

ومائسة تزهى وقد خلط الحيا عليها جلّ حمرًا وأردية خضرا

طائفة من شعره

( ١ ) هي بلدة بين شاطئة وبلنسية من شرق الأندلس ، وسيت جزيرة لان الماء يحيط بها

من أكثر جهاتها

( ٢ ) لا اقرضت دولة بنى أمية بالأندلس تقسم ولايتها نواحها واستبد كل منهم بمثل وسوا

ملوك الطوائف

يَذُوبُ لَهَا رِيْقُ النَّهْمِ فِضَّةً وَيَجِدُ فِي أُعْطَافِهَا ذَهَبًا نَضْرًا  
وقوله :

يَا هَلْ أُنْدَلِسُ لَكَ دَرَكُومٌ مَاءٍ وَظِلٌّ وَأَنْهَارٌ وَأَشْجَارٌ  
مَا جَنَّةُ الْخُلْدِ إِلَّا فِي دِيَارِكُمْ وَلَوْ تَخَيَّرْتُ هَذِي كُنْتُ أختَارُ  
لَا تَحْشَوْا بَعْدَ ذَا أَنْ تَدْخُلُوا سَعْرًا فَلَيْسَ تُدْخَلُ بِعَدِ الْجَنَّةِ النَّارُ  
وقوله في تربية الصبي :

نَبِيَّةٌ وَلَيْدَكَ مِنْ صِبَاهِ بَرْجَرَةٍ فَلَرْبَمَا أَخْبَى هُنَاكَ ذَكَوَةٌ  
وَأَنْهَرَهُ حَتَّى تَسْتَهْلَ دُمُوعُهُ فِي وَجْتِيهِ وَتَلْتَفِي أَحْشَاؤُهُ  
فَالسِّيفُ لَا تَذْكُوكَ بِكَفِكَ نَارُهُ حَتَّى يَسِيلَ بِصَفْحَتَيْهِ مَآؤُهُ (١)

## الرواية والرواية

جاءت الدولة العباسية وقد اتسع نطاق الرواية واختص كل فريق من الناس  
برواية شيء : فبعضهم من اقتطع لرواية القراءات ، ومنهم من اقتطع لرواية الحديث ،  
ومنهم من اقتطع لرواية المروية والشعر والأخبار ، ومنهم من اقتطع لرواية الفتوح والسير  
وغير ذلك

فلما دَوَّنت الكتب في عصر الدولة العباسية أفرغ الرواة ما حفظوه في هذه  
الكتب خوفاً عليه من الضياع فكان عصرهم الأول عصر جمع وتدوين حتى  
إذا ما جمعت كل هذه العلوم في بطون الكتب ، أخذ أمر الرواية يضمحل شيئاً فشيئاً  
في أكثر العلوم ولا سيما الأدب ثم اقتصر في الرواية على تصحيح النطق والأداء  
فقرأ التلميذ على الشيخ القراء أو الحديث أو الفقه أو الشعر وهو يُجيز له أداؤها  
كما سمع

وكانت الرواية الشغل الشاغل للعلماء في صدر الدولة العباسية لاهتمام الأمة بها  
وبذل الحفلة المونة لأربابها ، فاندس بين الرواة كثير من الوضّاعين وأدخلوا كثيراً

من الروايات المكذوبة في الحديث وغيره واضطر العلماء الى البحث عن تمحيص الصحيح فغنوا شديدة العناية بتاريخ الرجال ومراتب الأخذ عنهم ، ويؤثروا ما أمكن تمييزه من الموضوع . ولكل علم رواية مشهورون . وقد سبق الكلام على رواية العلوم والفنون في تاريخ وضعها وتزايد هنا من ذكر بعض رواة الأدب اذ كان هو غاية درسا

فن رواية الأدب والشعر خاصة حماد الراوية الكوفي<sup>(١)</sup> وحفص الأحمري<sup>(٢)</sup> البصري<sup>(٣)</sup> ، وأبو عمرو الشيباني<sup>(٤)</sup> الكوفي<sup>(٥)</sup> ، والسكري البغدادي<sup>(٦)</sup> ومن رواية الأدب بجميع فنونه لغة وشعراً وأخباراً أبو عمرو بن العلاء وأبو عبيدة معمر بن المثنى والأصمعي وأبو زيد الأنصاري وأبو عبيد<sup>(٧)</sup> القاسم بن سلام ومحمد ابن سلام الجعفي<sup>(٨)</sup> وغيرهم . ونذكر على سبيل الاختصار ترجمة أشهرهم في الرواية وهو الأصمعي فنقول :

( ١ ) هو ابو القاسم حماد الراوية ابن أبي ليلى ساجد الكوفي المديني مولى بكر بن وائل كان اعلم الناس بلم العرب واشهرها واخبارها وانسابها وهو الذي جمع السبع الطوال السبعة بالمطقات تولى سنة ١٥٥

( ٢ ) هو أبو محرز خلف الاحمر بن حيان مولى بلال بن أبي بردة بن أبي موسى الاشعري وفيه يقول الاخفش لم تدرك أحداً اعلم بالشعر من خلف ، مات في حدود سنة ١٨٠ هـ

( ٣ ) هو أبو عمرو اسحق بن مزار الشيباني الكوفي كان رواية اهل بغداد واسع العلم بالغة والشعر ثقة في الحديث نبلاً فاضلاً جمع اشعار العرب في عدة دواوين لكل قبيلة ديوان لسكان بغداد ثمانين قبيلة . عمر كثيراً حتى أتى عليه ١١٩ سنة وتولى سنة ٢٠٦

( ٤ ) هو أبو سعيد الحسن بن الحسين كان رواية ثقة من كبار الجامعين الشعر جمع شعر جماعة من الشعراء منهم امرؤ القيس والثابتة القبياني والمجدي وزهير وليد وأشعار بني هذيل وبني شيان وبني عديروب وبني ضبة والازد وبني نهشل وتولى سنة ٢٧٥

( ٥ ) كان أبوه عبداً رومياً لجبل من اهل حراء اشتهل بالحديث والأدب وقلته فبرع في جميعها . وكان ثقة دينا تولى سنة ٢٢٤

( ٦ ) هو أبو عبد الله محمد بن سلام الجعفي البصري صاحب كتاب طبقات الشعراء وكان من اعلم الناس بالشعر والاخبار تولى سنة ٢٢٢

### الأصمعي

هو شيخُ رُواةِ الأدبِ الإمامُ اللَّيْتُ الحُجَّةُ التَّمِيُّ، أبو سعيد عبد الملك بن قُرَيْب بن عبد الملك بن علي بن أصمَعِ الباهلي البصري  
نسب إلى جدِّه أصمَع. وولد سنة ١٧٣ هجرية من بيت عربي قديم العهد  
في الكتلة

ونشأ بالبصرة فأخذ العربية والحديث والقراءة عن أئمة البصرة كأبي عمرو بن  
الملاء والخليل بن أحمد، وأخذ عن فصحاء الأعراب الذين كانوا يهدون على البصرة .  
وأكثر الخروج إلى البادية وشافه الأعرابَ وسأكَنْهم . وربما استفرقت بعضُ رحلاته  
سنواتٌ يخرج في أثائها ويلتقي بالفصحاء في المواسم حتى اجتمع له من الأخبار  
والنوادير والغريب ما لم يجتمع لغيره

وتعلم من خلف الأهر قَدَّ الشعر ومعاينه . وكان أحفظَ أهل زمانه حتى قال  
مرةً لني أحفظُ ألفَ عشرٍ ألفَ أرجوزةٍ فقال له رجلٌ : منها البيتُ والبيتان . فقال :  
ومنها المائةُ والمائتان . وراحت بضاعهُ الأصمعي عند الرشيد وأخذ جوائزَه الكثيرةَ  
ورزق السادةَ في رواية الأخبار والملح دونَ أهل زمانه قهافت الناسُ على تقلبها  
في كتبهم لرضام عن مذهبه وقسنته<sup>(١)</sup> . وكان يُحجِمُ عن تفسير القرآن الكريم  
والحديث نحرًا<sup>(٢)</sup> وخوفًا من الزلل . وكان مع كل صفاته الحسنة بخيلًا مخشوشنا  
ومعمر حتى أدرك زمن المأمون . وأراد المأمون أن يُقدِّمه إليه فاعتذر بكبر السن ، ومات  
سنة ٢١٦ هجرية وله من الكتب المؤلفة والرسائل والأمالى شيء كثير

(٣) أي اخذه في أعماله بالسة النبوية المطهرة

(٤) أي ابتعداً من المخرج والام

## العصر الرابع عصر الممالك التركية

٦٥٦ - ١٢٢٠ هـ

### حالة اللغة العربية وأدبها في ذلك العصر

لما اكتمسح التارُ ممالك الدولة العباسية وغربوا البلاد وقتلوا العباد وأبادوا الكتب، افترقوا الى ممالك متعددة بآسيا وشرق أوروبا، ولم يلبثوا أكثر من نصف قرن حتى أسلموا وشرعوا يخضعون للإسلام: بتقريب العلماء اليهم وترغيبهم في التأليف فأفاد ذلك في ادامة الحركة العلمية في الجملة وإن لم يجد اللغة العربية فائدة تذكر لمكان العُجبة منهم؛ أما علوم العرب وأدبها فلم يكن لها مباءة ترجع اليها إلا البلاد العربية كالشام ومصر، فأصبحت القاهرة هي المثابة الأخيرة للعرب والعربية، نعم إن حكومتها كانت تركية أو شركسية ولكن لم يكن لرجالها وجنودها عصبية قوية تجعل لغتهم تزاحم العربية فبقيت بطيئة الحال اللغة الرسمية هي العربية، وأصبح العلماء هم رجال الإدارة والكتابة والقضاء وغيرها من المناصب الملكية، إذ كان أكثر الممالك جنوداً أميين، غير أن تلك الحال لم تدُم أكثر من مدة الممالك وصدت الدولة العثمانية الوارثة لهم، ثم أصبحت اللغة التركية العثمانية هي اللغة الرسمية للأعمال الدبلوماسية والسياسية في جميع الممالك العثمانية، فزاحمت العربية مزاحمة ظهر أثرها بينا في تحرير الرسائل الدبلوماسية والمعااهدات السياسية، ودخل في اللغة أثناء دولتي الممالك والعثمانيين كثير من الألفاظ التركية والفارسية<sup>(١)</sup>

(١) من ذلك: الأتابكي، الجاهنكير، النوادر، الحواجة، اسفهلاره، شراب خاتاه، قرأش خاتاه، طيلخاناه

قال في صبيح الاعمى: (الطيلخاناه) ومعلم بيت الطبل، ويشتمل على الطبول والايواق وتوايها من الآلات، ويحكم على ذلك أمير من امرأه المعزات يمزف (بأمر علم) يقف عليها عند شربها في كل ليلة، ويتولى امرها في السفر ولها (ممتاز) مقسم لحواصلها يعرف (بممتاز الطيلخاناه) الوسيط (١٦)

وعاصر دولة المماليك بمصر والشام دولة بني الأحمر<sup>(١)</sup> بالأندلس ودولة بني مرين<sup>(٢)</sup> والدولة الحفصية<sup>(٣)</sup> بشمالى افريقية فكانت حالة لغة الأدب فيها وخاصة الأندلس خيراً منها فى مصر إذ كانت جبهة السلالة العربية فيها حافظة صبغتها لقلة طروء العناصر الأجنبية عليها

## النثر

### لغة التخاطب

- كادت تحل محل اللغة العامية العربية ( فى أعلى الجزيرة وشرق العراق ) : اللغة الفارسية والتركية والكردية ممزوجة بشئ من الألفاظ العربية أما فى بقية الجزيرة والعراق ومصر والشام فقد بقيت العامية العربية لسان الجميع فيها حتى الملوك والسلاطين لنبله العناصر العربية فيها ولما لم يتبعاً لرؤساء المماليك وسلاطينهم اعادة العربية الفصحى عضدوا العامية باقبالهم على أدبائها واحسانهم الى من ينظم بها : فكان ذلك سبباً فى اتساع دائرة الزجل والمزمايا ومزاحمتها للشعر الفصحى ، بل دون بها بعض العلماء وان لم يكن ذلك كثيراً فأصبحت بذلك لغة أدب وكتابة وقراءة ، ثم أخذت العناية بها فى الانحطاط فى أواخر هذا العصر حتى صارت أخطأ ما كانت عليه فى عصر من العصور ، وكادت تنساوى فيها لغة النساء والرجال

---

وله رجال تحت يده ما بين ( دبندار ) وهو الذى يضرب على الطبل و ( منفر ) وهو الذى يضرب بالبوب ( وكوسى ) وهو الذى يضرب بالصنوج النحاس بعضها على بعض وغير اولئك من الصناعات . ومن ذلك أيضاً أن بانا وبريك بانا ويوز بانا وبرنجى وآخر نجي ونهوجى ونوبنجى وبلطجى وخستاق وكتيتاق وأدب خانة

- ( ١ ) هى آخر دولة عربية بالأندلس ويسمى سلاطينها بنى نصر
- ( ٢ ) هى دولة بربرية احدى الدول المتفرعة من دولة الموحديين ، كانت تحكم الغرب الافعى
- ( ٣ ) هى احدى الدول المتفرعة من دولة الموحديين ورثها الترك المنانيون



## الخطابة

لم تُنْهَر الخطابة عما كانت عليه أواخر الدولة العباسية من حيث قُصُورُها على  
خطب الجمع والأعياد وتلاوة بعض المرسومات والمنشورات  
، وبقيت لهُنَّ الخطابة العريية وحدها أو مع الترجمة إلى الأعجمية في الممالك التي  
استعجم لسانها لمكان : العريية من الدين . ولم يبق من أمرها أواخر هذا العصر إلا  
ما كان يُقرأ مكتوباً في الكتب ، بل قلَّ حفظها واستظهارها في غير القاهرة ، وانتقل  
وعظها من حسن الذكرى في أمر الدين والدنيا إلى التخويف من القبر وروحته  
ووصف الجنة ونعيمها وجهم وأهوالها

## الكتابة

### الكتابة الخطية

دَرَج الخط في هذا العصر في الطريق التي مهدها ابن مقلة وابن البواب ، وياقوت  
الملسكي وياقوت المستعصي ، واستعملت فيه أكثر أنواعه ، إلا أنه اشتهر من بينها  
تسعة أنواع :

- ( ١ ) الجليل ( على قاعدة الثلث المعروفة لنا ) وتشاهد نماذجه المتعددة على  
جدران مساجد القاهرة ، ومدارسها ، وأربطتها ، وخرائب قصور أمرائها
- ( ٢ ) قلم الطومار ( على قاعدة الثلث أيضاً ) وكان تكتب به أسماء السلاطين  
وعلاماتهم على المنشورات والعهود ونحوها ( راجع صبح الأعشى جزء ثالث )
- ( ٣ ) قلم الثلث ويشبه قلم الثلث عندنا ، ومنه الثلث المبسوط الحروف المسى  
الآن بالريحاني كما في هذا الشكل



- (٤) النسخ على قاعدته المعروفة الآن يعض حروفه معلق الأطراف الى فوق ويقرب مما نسميه الآن خط التعليق ، وكانت تكتب به كتب العلم والأدب
- (٥) التعليق - وكان يطلق على الثلث الخفيف عندنا مع تعليق خراطيم الحروف الى أعلى
- (٦) قلم الرقاع - وكان وسطاً بين النسخ والتوقيع ، وكان تكتب به كتب العلم والأدب والرسائل

(٧) القلم المسلسل المشبك الحروف ، وكانت تكتب به عامة الرسائل المطولة والعقود وكتب الوقت ونحوها  
(٨) الخط الفارسي ، وكان استعماله عاماً في أواسط آسيا وفارس  
(٩) الخط الأندلسي - وكانت أنواعه لا تختلف إلا بالصغر والكبر ، وربما مال الجليل عنه الى بعض قواعد الثلث في أواخر عصورهم كما يشاهد على جذران الحمراء بقرطاجنة

وكان النقط والشكل في هذا العصر قليلي الاستعمال في الرسائل الديوانية والإخوانية كثير يهما في كتب العلم  
وما زال الخط يجري في مضماره حتى قبض على عنانه مکتبوا الترك العثمانيين فحولوا بعض أنواعه وخاصة قلم الرقاع ( الرقعة ) الى ما نعرفه ، وارتقوا بالمسلسل الى الغاية وولدوا منه خط العلامة السلطانية ( المايوتى ) وأبدعوا في بقية الأنواع بما جعل جميع العالم يعترف لهم بالسبق  
ومن أشهرهم الشيخ حمد الله الأماصي إمام الخطاطين العثمانيين وجمال الدين والحافظ عثمان

## الكتابة الانشائية

### كتابة الرسائل

اثبتت في كتابة الرسائل أثناء هذا العصر طريقة القاضي الفاضل ، التي أساسها المعاني الخيالية والتزام النسيج والاستعارة والبطاق ، ومراعاة الظهير والطيح والمؤلفي التورية والجناس ؛ وعضد هذه الطريقة من كُتاب هذا العصر شهاب الدين محمود الحلبي<sup>(١)</sup> ومحيي الدين بن عبد الظاهر ، وابن فضل الله العمري وأولاده. وبقيت هذه الطريقة رعية في مصر والشام حتى نهاية دولة المماليك وصدر حكومة العثمانيين

(١) ولد بدمشق وتخرج على ابن ملاح النعوى وعطاء الشام ثم انتقل الى مصر وأقام بها مدة يتقلب في مناصبها ثم جاز الى دمشق رئيساً لديران انتقلت الى ان تولى سنة ٧٥٥

ولما غلبت اللغة التركية العثمانية على كتابة الدواوين وأصبحت رسمية في الحواضر والأقطار، أخذ شأن الكتابة العربية في الاضمحلال، وتناقصت الرغبة في إحسان صناعتها، وقل الناقدون فيها، ولم يعد في استطاعة الكاتب العربي إصاغة وجوه البلاغة فضلاً عن إحسان استعمال المحسنات اللفظية فأصبحت الكتابة بذلك مجرد قمار من السجع المتكلف، خالية من كل مزية إلا المبالغة والتحويل وأكثر ما كانت تستعمل في الرسائل الإخوانية وما أشبهها، بل عجز الكتاب في أواخر هذا العصر أن يكتبوا لآخواتهم من انشائهم فوضعت دواوين كاتبة تشمل عدة صور من المكاتبات المعتادة، يستمر منها المراسل صورة قد تناسب غرضه وقد لا تناسبه - أما كتابه من عصر المماليك من أهل الأندلس فكانت أمثلة كتابته في هذا العصر على ما فيها من التكلف أيضاً بحيث يمكن قياسها بكتابة المتأخرين من أهل العصر الماضي

## الكتاب

الفاضل محي الدين بن عبد الظاهر

هو الكاتب الشاعر عبد الله بن عبد الظاهر الجذامي المصري، يؤيد الطريقة الفاضلية ورأس المترسلين في دولة المماليك البحرية  
ولد سنة ٦٢٠ ورباه والده تربية شريفة جمع بها بين علوم الفقهاء وبلاغة الأدباء وظرف الشجراء: فكان في زمانه زعيم كل هؤلاء. وبرع في كتابة الرسائل سالكاً طريقة الفاضل، وخدم في ديوان الإنشاء مدة الملك الظاهر بيبرس البندقداري<sup>(١)</sup> وولديه وبعض أيام المنصور قلاوون<sup>(٢)</sup> ويعتبر محي الدين وابنه محمد فتح

(١) هو أشهر سلاطين المماليك البحرية توفى سنة ٦٧٦  
أما ولده فيها لكان السيد محمد بركة، تولى الملك ستين شهراً وخلع، والملك المادل سلامش ملك خمسة أشهر وخلع الأمير قلاوون وتولى بدله

(٢) هو الملك المنصور قلاوون الصالح النجدي من أعظم ملوك المماليك توفى سنة ٦٨٩

الدين من واضعي اصطلاح الاشياء ونظام ديوانه الذي بقي مرعياً في مصر والشام حتى نسخه النظام التركي العثماني ، وتوفي سنة ٦٩٢ وله تأليف ورسائل ومكاتبات سلطانية كثيرة ، وشعر رائق

ومن فصوله فصل من رسالة كتبها على لسان الملك المنصور قلاوون يردُّ على صاحب المين في تمزيته على موت ابنه ، ويظهر التجلُّد على قتله

«ولنا (والشكر لله) صبرٌ جميلٌ، لا نأسفُ منه على قاتٍ، ولا نأمنُ على مفقودٍ،  
واذ علم الله (سبحانه) حسنَ الاستنابة الى قصاته، والاستكانة الى عطائه، عوَّضَ كلَّ  
يومٍ ما يقولُ المبشرُ به : هذا مولى مولودٍ ، وليست الايلُ بأغلظَ أكباداً ممن له قلبٌ  
لا يُبالى بالصدِّماتِ كثرَتْ أو قلَّتْ ، ولا بالتباريحِ حرَّتْ أو جلَّتْ ، ولا بالآزِماتِ  
إن هي توالَتْ أو تولَّتْ . ولا بالجنونِ ان ألْقَتْ ما فيها من الدموعِ والمجعرجِ وتخلَّتْ  
ويخافُ من الدهرِ من لاحتْ أشطُرُهُ ، وأسفُ على القاتِ من لا باتَ بفناً المخلوبِ  
الخطوره . على أنَّ القادحَ بموتِ الولدِ الملكِ الصالحِ (رضى الله عنه) وإن كان مُنيكاً ،  
والنافعِ بشجوه وإن كان مُبيكاً ، والنافعِ بذلك الأسفِ وإن كان لنارِ الأسفِ مُدْكِكاً ،  
فإن وراءَ ذلك من ثلثتِ الله عز وجل ما يَنْسِفُهُ نَسْفاً ، ومن إلغاه الصبرَ ما يُجَدِّدُ  
لتعزيقِ القلوبِ أحقَّ ما به تُرْفى ، وبكتابِ الله ( تعالى ) وسنة رسوله ( صلى الله  
عليه وسلم ) عندنا حسن اقتداء يضرب عن كل رثاء صفحا »

## شهاب الدين

### ابن فضل الله العبري

هو الشاعر الكاتب المصنف القاضي أبو العباس شهاب الدين احمد بن يحيى بن  
فضل الله العبري ، سليل عمر بن الخطاب ، وصاحب كتاب مسالك الألبار  
ولد بمدينة دمشق سنة ٧٠٠ هـ وافته وتأدب على أبيه وغيره من أئمة وقته فخرج  
واحدَ زمانه علماً وأدباً وترشلاً وتصفياً وشعراً ، ولم يكن بين عصره وعصر القاضي  
الفاضل من يدانيه في شيء من ذلك على كثرة التافهين فيها ، وكان أعلم أهل

القطرين بتاريخ الملوك وطبقات العلماء، والأدباء وعلم وصف الأرض وأحوال الممالك  
النائية : كالهند والصين والترك وغيرها ، فوق الفقه الذى نال فيه مرتبة الافتاء ؛ وكان  
أبوه وعمه يتناولان كتابة السر فى مصر والشام لسلطين آكل قلاوون وتوابهم ،  
وخلفهما فى ذلك شهاب الدين وأخوه وأولادهما فى مناصب رياسة دواوين الانشاء  
وكتابة السر وغيرهما لآكل قلاوون وآكل برقوق ؛ وتوفى ابن فضل الله سنة ٧٤٩

ومن انشائه فى وصف قِطْ زَبَاد من رسالة طويلة ( وقط الزباد الذى لا تحكيه  
الأسود فى صورها ، ولا تسمح غزلانُ المسك بما يجزئه من عَرَفه الطَّيْب فى سُورِها ،  
كم تنقل فى بيوت طابت موطناً ، وشئ من دار أصحابه فقالوا (ربنا عَجَلْ لنا قِطْناً)  
ومن فصول رسائله فصل كتبه من رسالة عن لسان سلطانه الى نائب الشام مع  
طيور صيد جوارح أرسلها اليه :

صدرت هذه المكتابة الى الجنب المالى بسلام جيل الافتاح ، وثناء يطير اليه  
وكيف لا تطير قادمة بفتح ، ونُمله ان مكاتبه المتقدمة الورود تضمنت التذكار من  
الجوارح بما بقى من رسمه ، وجرت عادة صدقاتنا الشريفة أن تُحسب فى قسمه ، وقد  
جهزنا له الآن منها ثلاثة طيور لا يبعد عليها مطار ، ولا يوقد لئيرى فى غير حال يقها جذوة  
نار ، ولا تؤم طيراً الأ وترش الأرض بدمه فلا يلحق لها بنبار ، وهى طائر كَمْ لها من فتك  
أخذ الطير من مأمنه ، وسلب ما تحلى به من ريش الریش ثم تزياً بأحسنه .

ومن تأليفه كتاب «سالك الأبصار فى ممالك الأمصار» فى بضع وعشرين مجلدة  
ولا يعلم قبله كتاب وسيع من علوم التاريخ ووصف الأرض والفلك والأدب ما وسعه ،  
وكتاب «التعريف بالمصطلح الشريف» فى فن انشاء الدواوين وكتاب «فواصل  
السم فى فضائل آكل عمر»

### لسان الدين بن الخطيب

هو ذو الوزارتين ، الكاتب الشاعر ، الفقيه ، المصنف ، الحكيم المتطبيب ، أبو عبد الله  
لسان الدين محمد بن عبد الله المعروف بابن الخطيب  
ولد سنة ٧١٣ بمدينة غرناطة من بيت عرنى عريق فى العلم والأدب والخطابة

والرياسة وقيادة الجند ، وقرأ وتأدب وتمعن على مشيختها . واجتمع له من الحكمة والأدب ملكة بذ بها أدها الأندلس كتابه وشعرا وتصنيفا وسياسة

واشتهر بادئ أمره بنظم الشعر فأنشأ القصائد البليغة ، وأشاد بمدح السلطان أبي الحجاج يوسف أحد ملوك بني الأحمر فجعله في عداد كتّابه ، ثم اجتبه وأضاف إليه الوزارة وفوض إليه جميع شؤون المملكة ؛ وما برح على هذه الحظوة حتى مات سلطانه وتولى ابنه مكانه فأقره على الوزارة ، ثم وشى به حساده من الفقهاء والكتّاب عند السلطان ، وكادوا له المكائد ، وأتهموه بالإلحاد في الدين حتى أحفظوه عليه فلما أحس بتفكره له فر إلى المغرب الأقصى فأكرمه سلطانه ثم ابنه من بعده ، إلى أن ثار عليه ثائر وساعد ملك بني الأحمر هذا الثائر بشرط تسليمه ابن الخطيب له فقم له أمره ، وسجين بفاس وخُنيق في سجنه ثم دفن من القدي بها سنة ٧٧٦

وكان ابن الخطيب خاتمة بلفاء الأندلس وآخر الرؤساء الأعيان من كتاب الرسائل والتأليف ، وكان في عدوة الأندلس يضارع ابن خلدون في عدوة إفريقية ؛ قهًا ولغة وأدبا وتاريخًا وشعرا . غير أن ابن خلدون كان قليل الحفل بالسجع والزخرف ، وكان بابن الخطيب لؤثة منهما

وكانت عبارة رسائله مشوبة بصيغة يسيرة من أسلوب الفقهاء ورسوم العلماء . وتشفع غالبًا بشيء من شعره إما متخللاً لها أو متقدماً صدرها ، وقلبا صدرت عنه رسالة موجزة ، شأن أكثر كتاب الأندلس .

ومن قصار رسائله رسالة في الشوق كتبها إلى ابن خلدون وهي بعد الديباجة ( أما الشوقُ فحدث عن البحر ولا حرج ، وأما الصبرُ فسل به أيّهُ درج ، يد أن تجاوز الآوي والمنعرج ، لكن الشدة تشق الفرَج ، والمؤمن ينشق من روح الله الأريج ، وأنى بالصبر ، على لمر الدبر ، بل الضرب الهبر ، ومطاوله اليوم والشهر ، حتى حكم القهر ؛ وهل للمعين أن تسلسلوا المقهر ، عن إنسانها المنبر ، أو تذهل ذهول الزاهد ، عن سرها الرائي والمشاهد ، وفي الجسد مضغة يصلح إذا صلحت ، فكيف حاله ان رحلت عنه ونزحت ، وإذا كان الفراق هو الهيام الأول ، فلما

المعول ، أعيّتْ مُراوضةُ الفِراق ، على الرّاق ، وكادتْ لوعةُ الاشتياق ، أن تُفنى  
الى السّياق

تركتُموني بعد تشييعكم      أوسّعُ أمرَ الصبرِ عصيانا  
أفرغُ سقًى ندماً تارةً      وأستسيحُ الدمعَ أحياناً

### التدوين

ألف علماء هذا العصر تأليف جمة أخلفت على العربية بعض ما أباده التار  
والصليبيون : من الكتب النفيسة ، ويرجع أكثر الفضل في ذلك الى علماء مصر  
والشام وجالية الأندلس . أما أعاجم المشرق وإن ألقوا في العلوم الاسلامية والفلسفية  
فإن تأثير يتيهم الأعجمية جعل كتبهم على شرف موضوعها وجلال مباحثها صعبة  
التناول ، ضعيفة الأثر في تقدّم اللسان العربي  
ونذكر هنا لمّا يسيرة من أحوال العلوم العربية ومؤلفيها في هذا العصر

### الأدب

قد كان لأدباء القاهرة من الكتاب السبق في وضع الكتب الجامعة التي تبحث  
في عدة علوم أدبية أو ملحقّة بها : ومن هؤلاء  
شهاب الدين التّويزي صاحبُ نهاية الأرب<sup>(١)</sup> وابنُ فضل الله العمري صاحب  
مسالك الأيصار ، وشهاب الدين القلقشندي صاحب صبح الأعشى<sup>(٢)</sup> .  
ومن ألفت في الأدب بمناحٍ مختلفة  
جمال الدين الوطواط صاحب الرّعرر والرر وشهاب الدين الحلبي صاحب منازل

---

( ١ ) هو شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب بن أحمد البكري التويزي المؤرخ الاديب ، نسب  
الى نورية احدى قرى مديرية بني سويف توفي سنة ٧٣٣

( ٢ ) هو شهاب الدين أحمد بن علي بن أحمد القلقشندي تزيل القاهرة ، فقه ومهر وطاني  
الادب وكتب في الانشاء وكتابه صبح الاعشى لى صناعة الانشا احسن ما كتب في تاريخ الانشاء  
طبع في مصر في ١٤ مجلدة ، وتوفي سنة ٨٢١ و ( قلقشنده احدى قرى مديرية القليوبية )



الأحباب، وحسن التوصل الى صناعة الترس، وشهاب الدين احمد الأبيهي صاحب المستطرف، والنواجي<sup>(١)</sup> صاحب حلبة الكيت

### بقية العلوم الاسلامية

لم تكن مصر ولا الشام في المصور الأولى ميداناً لتسابق جياذ علماء القلة كما كان العراق والأندلس

ولما أباد التتار بقية العلماء والنحاة في الشرق، كاد أفق المشرق والشام ومصر يصغر من النحاة وأهل القلة لولا أن تداركها الله بدخول التتار في الاسلام ومعاذتهم هم والدول التي خلفتهم للعلم والعلماء، وبجلاء بعض كبار النحاة والعلماء من الأندلس والغرب قيل حادث التتار بعده كابن مالك<sup>(٢)</sup> والشاطبي<sup>(٣)</sup> وأبي حيان<sup>(٤)</sup> وابن منظور الأفريقي، فجددوا النحو والقلة بمصر والشام، وتخرج عليهم تلاميذ أفاضل كانوا كوكبا المصور المتأخرة، فدوتوا العلم وحفظوه لمن أتى بعدهم ممن نشأوا في المصور المظلمة

على أن أكثر هؤلاء العلماء المتأخرين لم يكونوا منقطعين للعربية وحدها بل كان لهم تخرج في كثير من العلوم ولا سيما الشرعية التي كانت الرغبة فيها حينئذ فوق كل رغبة. ولم يكن في مصر والشام والغرب من العلوم الكونية إلا بالرياضة العملية من الهندسة والحساب والميقات وهجرت العلوم الفلسفية والمنطق، بل حكم بعضهم بكفر متحليها، وبقي كثير من علماء المشرق من الفرس والأفغان والمنود يزاووا الى وقتنا هذا من غير تأثير لهم في ترقية شأنها عما كانت عليه

- (١) هو شمس الدين محمد بن حسن بن علي بن أهل مصره في الادب وألف كتباً كثيرة فيه تولى سنة ٨٥٩ و (نواج) إحدى قرى مديرية الغربية
- (٢) هو العلامة جمال الدين ابو جده الله محمد بن عبد الله بن مالك الطائي، الجبائي، تزيل دمشق الشام امام النجاة ومجدد النحو في المشرق، وحافظ القلة وصاحب الآلية والتسهيل توفي سنة ٦٧٢ و (حيان) بفتح الجيم وتشديد الياء مدينة من مدن الأندلس شرق قرطبة
- (٣) هو الشاطبي النحوي محمد بن علي بن يونس الأندلسي البليسي صدر في القاهرة في القلة والنحو وروى عنه ابو حيان وتوفي سنة ٦٨٤
- (٤) هو الامام أبو الدين محمد بن يوسف النيربالي نحوي مصره وكتوبه ومقره توفي سنة ٧٤٤

## كتابة التدوين والتصنيف

أما كتابة التدوين فكانت في المتون ونحوها موجزة جداً، جارية على أسلوب الآفيسة المنطقية، وكانت في الشروح والمطولات مبسطة، كثيرة النقل عن الأئمة، غزيرة الاستدلال بالبراهين والأدلة العقلية والنقلية؛ وكان للشافعية في الإيجاز وتبسيط التحرير الباعث الطولي، وبقيت هذه الحال حتى أوائل الحكم المماني، ثم اخترع تأليف الحواشي والقررات والرسائل الخاصة بشرح قاعدة أو جملة أو قصيدة، وضُمَّت عبارتها وازدادت تنقيداً وعموماً حتى أصبح ذلك مما يتنافس فيه ويظن في صاحبه العلم والدقة ومن أشهر المؤلفين في هذا العصر ابن خلكان - وابن خلدون - والسيوطي - وابن مكرم - والفهرزبادي - وعز الدين بن عبد السلام <sup>(١)</sup> - وابن حجر العسقلاني <sup>(٢)</sup> وابن هشام النحوي <sup>(٣)</sup> - ولسان الدين بن الخطيب - وسعد الدين التتازاني <sup>(٤)</sup> - والسيد الجرجاني <sup>(٥)</sup> والشهاب الخفاجي

## ابن خلكان

هو قاضي القضاة شمس الدين أبو العباس أحمد بن إبراهيم بن أبي بكر خلكان الإربلي

- (١) هو الفقيه المجتهد الشافعي علامة الزمان عز الدين، نشأ في الشام وتعلم بها وتصدر، وقدم مصر فأقام بها أكثر من ٢٠ سنة وتوفي سنة ٦٦٠
- (٢) هو امام الحفاظ في زمانه قاضي القضاة أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد الكنتاني السقلافي ثم المصري صاحب شرح البخاري والاصابة في الصحابة توفي سنة ٨٥٢
- (٣) هو امام النحويين، وفهر المصنفين، عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن هشام الانصاري صاحب مفتي اليب، عن كتب الأتارب، ولد سنة ٧٠٨ وتوفي سنة ٨٧٦ هـ ودفن بجوار باب النصر ولا يزال قبره مبروراً
- (٤) هو سعد الدين مسعود بن عمر بن عبد الله العلامة في النحو والتصريف والبلاغة والتوحيد والفلسفة والفقه والاصول، انتهت اليه معرفة العلوم بالشرق توفي بسمرقند سنة ٧٩١
- (٥) هو علامة المشرق السيد الشريف علي بن محمد بن علي الحنفي الجرجاني، كان نظير سعد الدين في أكثر العلوم ويؤيد عليه في فصاحة المنطق، وجرت مناقشات بينهما في مجلس الطائفة تيمود لك وتوفي بشيراز سنة ٨١٦

وُلد سنة ٦٠٨ بمدينة إزبيل<sup>(١)</sup> من بيت كبير عريق في الفضل، وتوفي والده وهو ابن سنتين . قنشا بإربل وأقام بها الى سنة ٦٢١ فرحل الى حلب ومكث بها سنتين ثم الى دمشق وأقام مدة، ثم أقام بمصر وتولى القضاء بها، وفيها ألف أكثر تاريخه العظيم ( وفيات الأعيان ) ثم تقلبت به الأحوال بين مصر والشام الى أن مات بدمشق سنة ٦٨١

وكان كاتباً بليغاً، وشاعراً مجيداً، حسن المحاضرة، لطيف المفاخرة، واسع الاطلاع شديد التحري والضبط

( وتاريخه وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ) أفضل ما بأيدي الناس من كتب التراجم لشدة عنايته بضبط الأعلام وأسماء البقاع والبلدان، وتحقيق الحوادث بحسب الامكان، هذا فوق مزينه الكبري، وهي ينالوه على تعيين الوفيات، وتزئمه عن رواية أقوال الفحش والعتا، وان كان يؤخذ عليه رواية لكثير من الأخبار التي لا تخلو من مبالغة أو وضعها على علاتها متوخياً في ذلك أمانة القتل . وقد اشتهر هذا التاريخ على ٦٤٦ ترجمة ثم تم عليه محمد بن شاكر الكنتي المتوفى سنة ٧٦٤ بكتابه الذي سماه فوات الوفيات ولكنه لم يدرك شأواً سابقه لافي الضبط ولا في ذكر تاريخ الوفيات

### ابن خلدون

هو حكيم المؤرخين ، وعلم المحققين ، النقيب القاضي الكاتب الشاعر المصنف عبد الرحمن بن محمد المعروف بابن خلدون  
وكان بيت خلدون هذا من أشرف بيوتات الشرف والرياسة وقادة الجند بأشبيلية من قديم الزمان، ولم ينقطع منهم الى خدمة العلم والأدب غير المترجم وأبيه . وكان أهله قد انتقلوا الى تونس عند تغلب الأسبان على إشبيلية . ويتصل نسبهم بوائل بن حنجر من أقيال المين من حَضَرَمَوْت

وُلد ابن خلدون بتونس سنة ٧٣٢ هجرية لحفيظ التمران الكرمي وقرأه بالسبع

وتلقى العلم والأدب من أبيه ومن كبار العلماء، وقرأ العلوم العقلية والفلسفية على بعض حكماء المغرب

ولم يزل مسكياً على تحصيل العلم حتى دهم إفريقية طاعونٌ جارف مات فيه أبواه وأكثر ذوى قرابته وشيوخه فاحترف بصناعة الكتابة وهو شاب لم يطرَّ شاربه . فكتب لبعض ملوك الدولة الحفصية بتونس ودولة بنى مرين بفاس ، ثم وصل بعد ذلك الى ملوك بنى الأحمر فخطى عندهم على ذلك مديقه لسان اللدين ابن الخطيب فأقنع عنها ، وذهب الى صاحب بجاية بالمغرب الأوسط فوزَّره له ، وبقي يتردد بين المغرب الأوسط والأقصى وإفريقية والأندلس حتى حسن في عينه التخلي عن السياسة والاهتمام الى العلم فزل على بعض قبائل الغرب على حدود الصحراء أربعة أعوام ألف فيها تاريخه ومقدمته التي لم ينسج أحد من المتقدمين ولا المتأخرين على منوالها ، ثم عزم على الحج فدخل مصر سنة ٧٨٤ هـ زمن سلطانها بروق<sup>(١)</sup> . ثم استقدم أهله وولده من المغرب ففرقت بهم السفينة فأقام بمصر حزيناً وجلس للتدريس بالجامع الأزهر وولى قضاء المالكية سنة ٧٨٦ هـ وأظهر العدل في أحكامه ، واستقال من القضاء ثم عاد اليه ، وخرج مع كثير من علماء مصر في جيش السلطان فرج<sup>(٢)</sup> ابن بروق لمداغة تيمورلنك<sup>(٣)</sup> عن الشام فوقع مع كثير من العلماء في أسر تيمور فأدخل عليه قلبه بحريانه فأكرمه ووسَّره الى مصر ليأتي له بتاريخه ومقدمته فذهب ولم يعد اليه ؛ وبقي بمصر يشغل بالتدريس تارة والقضاء أخرى حتى مات وهو قاضى المالكية بمصر للمرة السادسة<sup>(٤)</sup> سنة ٨٠٨ هـ

(١) هو الملك الظاهر سيف الدين بروق بن اخن الجركسي أول ملوك الجراكسة وسعى بروق لجوهر ميه ، حكم مصر والشام ثم خلع ثم حكم ثانية وبقي سلطاناً حتى توفي سنة ٨٠١

(٢) هو الملك الناصر فرج بن الظاهر بروق حكم ثم خلع ثم حكم ثم قتل سنة ٨١٥

(٣) هو الطاغية الجبار تيمورلنك من سلالة جنكيز خان من جهة النساء ملك أواسط آسيا وأعلى الهند وپارس وكاد يقضى على الدولة النائية في بدء نشأتها مع إسلامه وللام بكثير من العلوم توفي سنة ٨٠٧ هـ ودفن بمرقد

(٤) سكنها في حسن الحضارة السيوطي

### مترلته فى الكتابة والتارىخ والشعر

أحيا ابن خلدون فى عصره الكتابة المرسله الفطريه الحاليه من السجع وتكلف البدع فى عصر بلغ فيه غايته، والى ذلك عمد فى كثير من فصول مقدمه تاريخه فجاء بعض كتابه فيها بمنزله من البلاغه لا تقل عن كتابة فحول القرن الثالث، ولم يكن الانتفاع بالمقدمه وكتابه فى وقت أظهر مما كان فى المصر الحاضر، اذ كانت هى الأسلوب الأكبر لكتاب الصحف والمجلات فى نهضتنا الأخيرة

وكان ابن خلدون إماماً حكيماً فى التاريخ أكثر مما كان إماماً فى الكتابة فانه يعتبر أكبر واضع على العمران والاجتماع بما خطه فى مقدمته، ولم تمد أحكامه فى سياسة الممالك الاستبدادية التى ذكرها فى مقدمته مطردة فى عصرنا هذا اذ أصبحت طريقة حكومة ممالك عصرنا دستورية فضلاً عن أن معدات الحروب وظواهر المدنية الحاضرة تختلف كثيراً عما كان قبل

ويؤخذ على ابن خلدون فى مقدمته انحاءه على العرب وقسوته فى الحكم عليهم فى كثير من سياسة الملك

ويمتاز تاريخه بأنه التاريخ الوحيد الذى فصل الكلام على دول الغرب من البربر وغيرهم

وكان ابن خلدون شاعراً، طويل النفس، وشعره بالاضافة الى شعر عصره غاية فى الجودة وإن وصفه هو بأنه متوسط بين الجودة والقصور تواضعاً منه

### جلال الدين السيوطى

هو عبد الرحمن جلال الدين ابن الانام كمال الدين الحَضْرَى السيوطى العالمُ المحدثُ المفسر المتقن الجامع المختصر، صاحب التصانيف المشهورة، وروائل العلم الماثورة

ولد سنة ٨٤٩ هـ ونشأ يتيمًا وحفظ القرآن وعمره دون الثمان، ثم حفظ متونَ التفقه والنحو، وأخذ العلمَ عن مشايخ وقته وابتدأ فى التصنيف سنة ١٧ سنة ثم لازم الأشياء

وطلب العلم في قلاع الأرض فدخل الشام والحجاز واليمن والهند والمغرب والتكرو<sup>(١)</sup>  
ونبع في كثير من العلوم ، ورزق التبخر في التفسير والحديث والفقه والنحو والمعاني  
والبيان والبديع

وتولى التدريس والافتاء ولم يكن أشهر منه في زمانه . ويُعد السيوطي من الأئمة  
الذين حفظوا العلم للخط وسهلوا سبله للتأخرين ، وقد ترك للناس أكثر من  
ثلاثة مئتين ، ولو لم يكن له إلا الإحسان في علوم القرآن ، والمزهر في أصول اللغة ، والأشباه  
والنظائر في دقائق النحو وأصوله ، والهنوع على الجمع في فروع النحو والصرف ، لكفاه  
ذلك خيراً

وتوفي سنة ٩١١ هجرية ودفن بالمقبرة المنسوبة إليه شرق القاهرة الجنوبي

## الشعر<sup>(٢)</sup>

لما كان أكثر سلاطين الاسلام وملوكه وأمرائه في هذا العصر بالمشرق والشام  
ومصر أطمع بالفترة ، كان ميلهم الى الشعر العربي غير طبعي ، وعظمهم على فحول  
الشعراء البلاء ضعيفاً ، ولذلك اقترض الشعر العربي من أواسط آسيا وقيت صباغة  
منه بالعراق والجزيرة ، وبقي على شيء من الروق في الشام ومصر والأندلس والمغرب  
غير أنه قل التكسب به فيها . قال أكثر الشعراء الى احتلال الكتابة في الدواوين  
صناعة ، واستعملوا الشعر في تلقى الملوك والرؤساء وفي إظهار التفصيح والتسلي . فحجز  
قوله في الأغراض الهامة ، وعُدل به الى أغراض مبتدعة غير طبيعية إما مستحسنة في  
الجملة كمدح النبي صلى الله عليه وسلم والشكوى اليه أو مدح بعض الأولياء أو اللهيج  
بأحوال الصوف والزهاد ونحو ذلك . وإما تافهة كالأغراض الآتية :

( ١ ) هي جزء من السودان الغربي يتأهل بلاد مراكش جنوباً والسنغال شرقاً وهي المسماة  
عند الأوربيين بأعلى ( النيجر ) وكان من أعظم بلادها مدينة ( تمبكتو ) بضم فسكون مكرولين  
بلاطة ومدينة ( مالي ) وهي البلاد التابعة لغربنا الآن

( ٢ ) يبحر بمن يريد التوسع في معرفة أحوال الشعر غرضاً ولفظاً ومعنى في هذا العصر  
ان يقرأ على الأقل شرح بدوية ابن حجة المسلة بخرانة الادب

( ١ ) النزول غير الحقيقي وبخاصة المذكور، وزاده مقنناً وسماجة صدورده عن كبار العلماء ومشايخ الصوفية

( ٢ ) اظهار البراعة بنظم مقطعات تتضمن غزلاً أو وقائع خيالية لمجرد العنود على لفظ تصح فيه تورية أو يلثم معة جناس

( ٣ ) ازدياد المجانة والسفالة والهجاء المقذع بذكر المورث وأوصافها

( ٤ ) وصف كثير من الأشياء والآلات التي لا يؤبه لها : كالبروكة والسكين والدواة والسراج والمبخرة ورقعة المصل

( ٥ ) الألفاظ والأحاجي .

أما ما به قل فيها الاختراع ودقة التصوير وضرب الأمثال وإيراز الحكمة ، وإن كثير تنوع التشبيه وتخيل الاستعارة .

وأما ألفاظه وأسلوبه فحدثت فيهما ما يأتي :

( ١ ) الاقتصار على الألفاظ السهلة ، وهجر الغريب بل اللفظ الجزل حتى استعمالوا الألفاظ العامة أو التركيب الفاشية في ذلك الزمان

( ٢ ) الاقتصار على التراكيب السهلة ، واستعمال كثير من الأمثال العامة

( ٣ ) تكلف البديع ولا سيما التورية والجناس ، ثم قل ذلك في أواخر هذا العصر : لضعف الشعراء عن استخراجهم والترفق في استعماله

( ٤ ) اظهار الحذق بالاستكثار من الألفاظ المصغرة أو المهمة أو المعجمة جملة أو بصورة خاصة ، أو لزوم ما لا يلزم ، أو ما لا يستحيل بالانعكاس ، أو التاريخ الشعري ، ولا سيما آخر هذا العصر الذي بلغ فيه التاريخ الشعري غايته

( ٥ ) كثرة تضمين الشعر المشهور ، وكذلك التشطير والتخمين

( ٦ ) كثرة الاقتباس من القرآن الكريم والحديث ، وقلما يكون بغير تورية

أما أوزان الشعر فلم يحدث فيها في هذا العصر أوزان جديدة ، وإنما شاع فيه استعمال الأوزان المولدة ونظم كثير من الموشحات الفصيحة والعامة وكثير جداً من

الموالي<sup>(١)</sup> والزجل<sup>(٢)</sup> والقومة<sup>(٣)</sup> وكان وكان<sup>(٤)</sup> ونحوها، وأعجب ذلك ملوك مصر ولا سبأ بنى قلاوون<sup>(٥)</sup> وبرقوق فأتاوا الزجالين وقروهم، وراج الزجل في أيامهم حتى كاد ينسخ الشعر الفصيح. ومن أشهر هؤلاء الزجالين شيخهم الشيخ خلف الفباري زجال آل قلاوون الذي استخدم الزجل في كل أغراض الشعر

## الشعراء

ظهر في هذا العصر شعراء كثيرون، من أشهرهم:

- ( ١ ) شيخ شيوخ حاة شرف الدين الانصارى المتوفى سنة ٦٦١
- ( ٢ ) جمال الدين بن نباتة المصري وسنترجم له
- ( ٣ ) شهاب الدين التلقفري المتوفى سنة ٦٧٥
- ( ٤ ) الشاب الظريف المتوفى سنة ٦٨٧
- ( ٥ ) الامام البوصيري وسنترجم له
- ( ٦ ) ابن الوردى المتوفى سنة ٧٤٩
- ( ٧ ) أبو بكر بن حجة المتوفى سنة ٧٧٦
- ( ٨ ) صفي الدين الحلبي وسنترجم له
- ( ٩ ) فخر الدين بن مكاسس المتوفى سنة ٧٩٤
- ( ١٠ ) ابن معنوق الموسوي وسنترجم له

---

( ١ ) ختم الكلام في اللواليا

- ( ٢ ) لاحد لأوزاء وانما اشهرها ( مستظلم فطن فطن ) اربع مرات لكل دور، وربما قالوا ( فطلان ) بدل ( فطن ) الأخيرة
- ( ٣ ) نوع من الزجل كان يوقف به الناس للسجود في رمضان ووزنه ( مستظلم فطلان ) اربع مرات لكل دور
- ( ٤ ) نوع من الزجل ودوره مركب من أربعة شطوط: الاول وزنه ( مستظلم فطلان ) والثاني ( مستظلم مستظلم ) او ( مستظلم مستظلم ) والثالث مثل الاول والرابع ( مستظلم فطلان )
- ( ٥ ) هم اولاد الملك النصور قلاوون الصالحى النجاشي سابع سلاطين المماليك البحرية واشهرهم الملك الناصر محمد بن قلاوون



# ١ - البوصيرى

هو الكاتب الشاعر المتصوف، شرف الدين محمد بن سعيد بن حماد الصنهاجى<sup>(١)</sup>  
البوصيرى صاحب البردة والمهزية

كان أحد أبويه من بوصير والآخر من دلاص، ولد بدلاص<sup>(٢)</sup> ونشأ ببوصير<sup>(٣)</sup>  
ثم انتقل الى القاهرة، وتعلم علوم العربية والأدب فقال الشعر البلغاء في جده وهزله  
ونظم من جزله ومرذوله وفصيحه وطاميه، وكتب الرسائل الأنيقة، واتخذ كتابة  
الدواوين صناعة فتصرف في مناصب كثيرة بالقاهرة والأقاليم، وباشر مديرية الشرقية  
مدة، وله في ذم مباشرى الشرقية قصيدة طويلة

ومن أشهر شعره قصيدة البردة الشهيرة التي وقع الاجماع على أنها أفضل مدائح نبذة من شعره  
الرسول صلى الله عليه وسلم بعد بآنت سعاد ونحوها من مدائح الصحابة؛ قيل انه فليج  
فمنظها في مرضه وتوسل بها الى رسول الله فشفى من مرضه  
وأولها:

أَمِنْ تَذَكُّرِ جِبْرِانَ هَذَى سَلَمٍ مَرَجَتْ دَمْعًا جَرَى مِنْ مُقْلَةٍ بِذَمِّ  
أُمِّ هَبَّتِ الرِّيحُ مِنْ تِلْقَاءِ كَافِلَةٍ<sup>(٤)</sup> وَأَوْمَضَ الْبَرْقُ فِي الظُّلُمِ مِنْ رَاسِمٍ<sup>(٥)</sup>  
فَمَا لِعَيْنِكَ إِنْ قُلْتَ أَكْفَأُ هَمَّتَا وَمَا لِقَلْبِكَ إِنْ قُلْتَ اسْتَفْقَى يَهْمِ  
أَيَحْسَبُ الصَّبُّ أَنْ الْحَبِّ مُنْكَتِمٍ مَا بَيْنَ مَنْسَجِمٍ مِنْهُ وَمُضْطَرِمٍ

ومن حكمها البديعة المشوبة بمحاسن البديع قوله

والنفس كالطفل أن تُهمله شب على حُب الرضاع وإن قطعتة ينظم  
فاصرف<sup>(٦)</sup> هواها وحاذر أن توليه إن الهوى ما تولي يصم<sup>(٧)</sup> أو يصير

- (١) صنهاجة إحدى قبائل البربر وأصل وطنها الصحراء جنوب المغرب الأقصى  
(٢) قرية من قرى مديرية بني سويف (٣) هي بوصير قوريس من قرى بني سويف  
أيضا (٤) راجع مضمون بلاد العرب بهذا الكتاب (٥) واد يمتد من غربي المدينة  
ويصب في بحر القلزم (البحر الأحمر) (٦) العرف في حرف زماهم النزل عن الحكم  
ضد التولية (٧) من أصعبت الصيد إذا قتلتها وأنت تراه  
(٨) من وصم السود إذا صده أو من الوصم بمن السيب

وراعها وهي في الأعمال سائمة<sup>(١)</sup> وإن هي استحلّت المرعى فلا تيسم  
 كم حست لقة للره قاتلة<sup>(٢)</sup> من حيث لم يدرك السهم في الدسم  
 واخسر الناس من جوع ومن شيع فرب مخصصة شر من التخيم  
 واستفرغ الدمع من عين قد امتلأت من الحارم والزمن حمية الندم

وقد اتخذ شعراء المدايح النبوية هذه القصيدة نموذجاً ينسجون على منواله  
 فكانت من أقوى الأسباب التي حلت شعراء هذا العصر وما يليه على الإكثار  
 من المدايح النبوية، وكذلك اتخذها أصحاب البديعيات مثلاً يحتذونه فعارضوها  
 بقصائدهم وزناً وقافية فلم يلحقوا لصاحبها غباراً

وقصيدة البوصيري الحمزية في مدح النبي صلى الله عليه وسلم لا تقل عن البردة  
 في فصاحتها  
 وأولها :

كيف رَفَى رُفَيْكَ الأنبياء يا سماء ما طاولتها سماء  
 لم يساورك في علّك وقد حا ل سنا منك دونهم وسناه

وله قصيدة أخرى على وزن هانت معاد ، وأولها :

الى متى أنت بالذات مشغول وأنت عن كل ما قدمت مشغول

وتوفي البوصيري سنة ٦٩٥ بالاسكندرية وقبره بها مشهور يُزار

## ٢ - صفى الدين الحلبي

هو الشاعر البديع عبد العزيز بن علي الشهير بابن سرّايا الطائي الحلبي شاعر الجزيرة  
 ولد سنة ٦٧٧ ونشأ بمدينة الحلة من مدن الفرات فتأدب ونظم الشعر وأجاده  
 وأصبح قِيد أشهر شعراء عصره ، وخدم به الملك المنصور نجم الدين غازي بن قره

( ١ ) يلح الى ما يستعمل في رمي الايل

( ٢ ) الايات الامية يلح فيها الى ستاعة الطب والاستخراج والامتلاء والحية من الفاظها

ارسلان : أحد ملوك الدولة الأرتقية ملوك ماردين<sup>(١)</sup> وديار بكر<sup>(٢)</sup> من ذيل الدولة السلجوقية فخطى عنده ومدحه بكثير من القصائد، ومنها جملة بعدد حروف المعجم أوائل حروف أبياتها كرويتها ونسى القصائد الأرتقيات، وطبعت على حديثها ومع ديوانه واتصل بعده بابه الملك الصالح شمس الدين ثم ذهب إلى الحج، وعرج منصرفه منه على مصر فدمج الملك الناصر بن قلاوون، وأشار عليه كاتب مره القاضي علاء الدين بن الأثير بجمع ديوانه فجمعه مرتباً على اثني عشر باباً

وتوفي سنة ٧٥٠ ويعتبر صفى الدين من أئمة البديع المتدعين في أنواعه المغالين شعره في استعماله في شعرهم بلا كبير تكلف، وهو أول من نظم القصائد النبوية الجامعة لأنواع البديع السماة بالبدييات على مثال برودة البوصيري. وقد نظم من كل فنون النظم الفصيح والعامي من جذبيهما وهزليهما قال القصائد الملوثة والمقطعات والموشحات والمحسنات والمشرطات والمواالي والزجل والقومة وكان وكان، وغيرها، وله جملة مصنفات غير ديوانه

ومن قوله في الأدب :

نبذة من شعره

اسمع مخاطبة الجليس ولا تكن عجلاً بنطقك قبلما تنهم  
لم تنط مع أذنك نطقاً واحداً إلا لتسمع ضعفاً ما تتكلم  
وقوله :

إذا الجد لم يك لي مسعداً فاحركاني الآسكون  
إذا لم يكن ما يريد القى على رنمه فليرد ما يكون  
وقوله :

بقدر لغات المرء يكثر فقهه فكل له عند اللغات أعوان  
تهافت على حفظ اللغات مجاهداً فكل لسان في الحقيقة انسان  
وقوله في وصف عود الطرب :

وعود به عاد السرور لأنه حوى الهوى قديماً وهو ريان ناعم  
يفرب في تفرده فكأنه يمد لنا ما لفتته الحانم

وقوله يصف القاهرة المِزِيَّة :

لله قاهرة المِزِيَّة فانها      بلد تَخَصُّص بالمسرة والهنا  
أو ما ترى في كل قطر مُنِيَّة<sup>(١)</sup>      من جانيها وهي مجتمَع النى

وقوله يصف نيل مصر حين وفاته :

وفي النيل اذ وقى البسيطة حقها      وزاد على ما جاده من صنائع  
فما إن توفى الناس من شكر مُنعم      يُشار الى انسامه بالأصابع

### ٣ - ابن نباتة

هو الشاعر الأديب والكاتب المصنف، جمال الدين محمد بن محمد المعروف بابن نباتة، أشعر شعراء المصريين زمن المماليك، وصاحب شرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون، ووارث القاضي الفاضل في التصبُّب للتورية

وهو من سلالة ابن نباتة الخطيب عبد الرحيم خطيب سيف الدولة الحمداني ولد رحمه الله تعالى بمصر الفسطاط سنة ٦٨٦ ونشأ بالقاهرة، وتلقى العلم والأدب على كبار مشيختها ورؤساء دواوينها، واكب على قراءة شعر القاضي الفاضل ورسائله فرسخت فيه طريقتيه من الوُلوغ بالتورية والتلميح والطباق، فعَمِلَ على تأييدها والإشادة بها، فكان بعد الفاضل إما ما لهذه الطريقة نظماً ونثراً، وحاكاه آخرون من أدباء عصره كصلاح الدين الصفدى<sup>(٢)</sup> وكثيراً ما أنار على معانيه وتورياته، وكثرين الدين بن الوردي وغيرهما، ولم يأت بعده من شعراء مصر والشام من بلغ غايته في لطف التصوير ورقة اللفظ وانسجام العبارة واستعمال المعاني البلدية

وابن نباتة ممن لا يُعْنَى باستعمال الجناس، ولا يحفل به كابن الوردي وابن حجة وان وقع أحياناً في شعره، واختلط في أواخر عمره ومات بالجارستان المنصوري بالتحسين سنة ٧٩٨<sup>(٣)</sup>

(١) كُتِبَ ابن الحُصْب ومِنِيَّة الشِرج ومِنِيَّة عَمَر

(٢) هو خليل ابن أبيك المتوفى سنة ٧٦٤ هـ

(٣) هو المشهور الآن بمسشفى تلاوون ولم يبق منه الا قسم الرمد

ومن شعره قوله :

يا مستكبي الهمم دعه وانتظر فرجا  
ودارٍ وتك من حين الى حين  
ولا تعانذ اذا أصبحت في كدر  
فالما أنت من ماء ومن طين  
وقوله في رثاء ولده عبد الرحيم :

يا لهف قلبي على عبد الرحيم ويا  
شوق اليه ويا شجوى ويا داني  
في شهر كانون واغاه الحجام لقد  
أحرق بالناار يا كاتون أحشائي

وله ديوان عظيم طبع في مصر ، وله عدة مصنفات منها شرح العيون في شرح  
رسالة ابن زيدون ، وكتاب مجمع الفوائد ، وكتاب القطر النباي ، والفاضل من انشاء  
الفاضل ، وفرائد السلوك في مصابيد الملوك

#### ٤ ابن معنوق الموسوي

هو شهاب الدين بن معنوق الموسوي شاعر العراق في عصره ، وسابق حلبته في  
رقة شعره

ولد سنة ١٠٢٥ ونشأ بالبصرة وبها تعلم وتأدب وقال الشعر وأجاده ، وكان في  
نشأته فقيرا فاتصل بالسيد علي خان أحد أمراء البصرة من قبل الدولة الصفوية  
الایرانية وكانت وقتئذ تملك العراق والبحرين ، ومدحه مدحا رفيعة واكثر شعره  
مقصود عليه وعلى آكل يته فغمره باحسانه

وابن معنوق من كبار شعراء الشيعة لنشونه في دولة شيعية غالبة فأفرط في التشيع وصف شعره  
في شعره ، وجاء في مدح علي والشهيدين بما يخرج عن حد الشرع والعقل ؛ ويمتاز شعره  
بالرقة وكثرة الاستعارات والتشبيهات حتى لتكاد الحقيقة تُهمل فيه جملة

وله ديوان شعر مشهور طبع مرارا بمصر وغيرها ، ويشتمل على قصائد ومقطعات  
ودوييت ومواليا وبعض فصول من النثر سماها ابنه جامع ديوانه بنودا

ومن قوله : يهين أميراً بالنصر على أعدائه ويصف إيقاعه بهم ويلجح لآيات  
من القرآن الكريم

وأخرجهم في زعمهم عن ديارهم	وما اعتقدوا هذا إلى أول الحشر
وألقوا جبال المنكرات وخيلوا	فعارضتهم في آية السيف لا السحر
كفى الله فيك للمؤمنين لدى الوغى	قتال البدا حتى سلمت من الأزر
ولو لم يكف البأس غفوك عنهم	لعدت وقد عاد الحديد من التبر <sup>(١)</sup>
فألبسوا الأ قليلاً فكم ترى	لم من ظليم <sup>(٢)</sup> فرعن بيضة الحنجر
تولوا مع الخفاش في غسق الدجى	وخافوا طلاب الشمس في عقب الفجر
إذا ما لم عقبان راياتك انجلت	أعبروا من الغربان أجنحة الغر
رمتهم في فيلق قد تفردت	به طائرات النجح في عذب الشهر

وله من قصيدة :

لله أيام لهو بالعقيق وارف	كانت قصاراً وساءت في قصارها
أوقات أنس كأن الدهر أغفلها	إذ من صروف الليالي عرقناها
لم نثك من محن الدنيا إلى أحد	من البرية إلا كان إحداها



## العصر الخامس

وهو عصر النهضة الأخيرة

من ١٢٢٠ - الى الوقت الحاضر

حالة اللغة العربية وآدابها في هذا العصر

كانت حالة البلاد العربية في أوائل القرن الثالث عشر غاية ما وصلت اليه من الفساد والاضمحلال حكومة وأخلاقاً ولغة وآداباً، فرأت أوروبا أن قد آن الأوان لأن تُجَدِّد غاراتها عليها ففعلت، ولكن لا بشكل الحروب الصليبية المبقوطة، بل بدعوى نشر متاجرها وبث علومها وآدابها، وبمحاربة الواقفين لها في طرقها، فابتدئ ذلك بحملة نابليون على مصر والشام، فكانت هي أول ناشر لعلم أوروبا وآدابها في البلاد العربية وإن سبقها بقليل بعض النطاة المسيحيين من أممها



محمد علي باشا

فما استولى ساكنُ الجنان محمدُ على - باشا على مصر بمحقه ودهائه ، كان أولُ قاعدة أراد أن يبنى عليها مملكته وسلطانه متابعهُ الأوزيين في الإدارة والتربية وتنظيم الجيش : لما رآه من آثار الفرنسيين بمصر ، ولما شاهده من قُدسهم أثناء اشتراكه في حربهم مع الترك والامخيلين ، فاستعان بفرنسا وبعض ممالك أوروبا على ادخال المدنية الأوروبية في بلاده فم - له بعضُ ذلك ، إلا أن أحوال البلاد الطبيعية والدينية واللغوية لم تكن تُسهّل على مستخدمى الأوزيين ومن مِمّه من الألبانيين والترك أن يستقلوا البعث الى أوروبا بجميع أمور البلاد . فرأى بمحكته أن يرقى من أبناء البلاد وجليّة الترك والألبان من يكونُ خيرَ واسطة لنقل معارف الأوزيين اليها ، فبعث الى أوروبا بثلاثة بُعوثٍ علمية في أزمنة مختلفة كونت بعدُ ثلاثَ طبقات من العلماء والأطباء والمهندسين والضباط فقلّوا الى اللغة العربية عشرات الكتب الجليلة في العلوم المختلفة فأحدث ذلك في اللغة العربية انقلاباً عظيماً ، وأكتسبت من سعة الأغراض والمعاني والألفاظ العلمية والأساليب الأجنبية وطرق البرهنة والاستنباط وترتيب الفكر ثروة طائلة ، وعهد الى هؤلاء الاساتذة ومن سبقهم ومن لحقهم من الأوزيين انشاء المصانع الوفيرة ، والمدارس الكثيرة من ملكية وحرية ، وحاول أن يجعل اللغة التركية أساسية أو شبه أساسية في التعليم والسياسة والإدارة فتمدّر عليه ذلك ، واضطرّ الى مُجاعة طبيعة البلاد فأصبحت العربية لغة كل ذلك ، وظهرت على اللغة التركية واللغات الأوروبية المختلفة التي كانت تدرسُ وجوباً معها ، وكان من الأزهر الشريف كلُّ المدد الذي استمده محمد على لتربية البعث العلمية وتدريب العلوم العربية بالمدارس ، ورأى العلماء والأدباء أنه صارت لهم دولة منظمة متحضرة تتقبل منهم بقبول حسن كلُّ ما يُحسنونه من نتيجة كدّهم وثمرة أفكارهم ، فالتفتوا حولها وصاروا الدولة كتاباً وشعراء ومنشئون في جريدتها الوقائع أول جريدة عربية

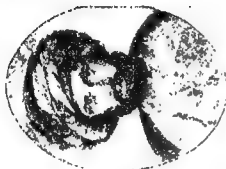
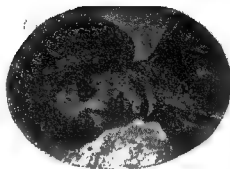
أثر البعث  
في اللغة

أثر الأزهر

أثر السورين واقدى بمصر أهل الشام وصادف ذلك امتداد نفوذ دعاة المسيحية من الاربيكان البروتستانت واليسوعيين الكاثوليك وغيرهم فهاجر كثير من السورين الى مصر وانتظم في سلك الحكومة والمدارس المصرية ، ودخل كثير من نصاراهم مدارس



رجال البتة العلمية الى نوريا



الدُّعَاة الذين كان أكثرهم من المستعربين الممارفين باللغة العربية فدرسوا العلوم وألفوا الكتب باللسان العربي، ونبغ من مدارسهم رجال كانوا زهرة سوريّة، وغلب عليهم الأدب؛ من الشعر والكتابة وترجمة الروايات الأدبية، واتخذوا ذلك صناعة لهم يتكسبون بها في الشام ومصر، فساد ذلك على القطرين بالتقدم في الفصاحة وسعة الخيال وحرية الفكر والإرادة

أثر  
اسماعيل باشا  
في النهضة

ومن الأسف أن هذه النهضة لم يستمر سيرها في مصر كما استمر في الشام بل ركبت ريحها زمن عباس باشا الأول وزمن سعيد باشا، ثم تنسفت في عصر اسماعيل وما لبثت أن صارت رُخاء طيبة فأعاد رحمه الله سيرة جده في نشر العلم فافتتح المدارس والمكاتب وأنشأ الجسور والقصور والمصانع، ووجد أكثر رجال البعث العلمية الذين رباهم جده على قيد الحياة فالتفت منهم المدرسين ورؤساء الإدارة، وزاد على جده في ارسال البعث العلمية الى أوروبا، وظهرت ثمرة أعماله في حياته، وكادت مصر توشك أن تكون قطعة من أوروبا كما قال هو في بعض حديثه

وباخطراد سيرها على هذا النظام تصبح زهرة الشرق كله ان شاء الله تعالى  
ويمكننا تلخيص أسباب النهضة الأدبية في الأمور الآتية :

( ١ ) اتصال المدينة العربية بالمدينة الشرقية من أوائل القرن الماضي وابتداء ذلك بحملة يونانرت واتخاذ الدعاة المسيحيين من الأمريكان البرونستنت واليوسوعيين وغيرهم بلاد الشرق مجالاً لأعمالهم، وجعلهم اللغة العربية في أول أمرهم اللغة الرسمية لنشر تعاليمهم وأدبهم، وكان لعلمهم في سورية أثر أبين منه في مصر، فأنشؤا المستشفيات والمدارس وانتظم فيها كثير من نصارى الشام، فخرجت عدة طبقات منهم كان لهم الفضل في نشر اللسان العربي وتوسيع دائرته وعلومه وآدابه

ومن أركان هذه النهضة في سورية فاصيف البازجي وابنه الشيخ ابراهيم والدكتور فديك المترب الأمريكاني واحمد فارس وأديب اسحاق وغيرهم

( ٢ ) ازدياد عدد المستعربين بأوروبا والشرق وسعيهم للتواصل في إيجاد المطابع العربية وطبعهم فيها فأنشأ كتب العرب وعنايتهم بطبعها وتنقيحها . وإنشاء الجمعية

الأسبوية الباحثة في أحوال الشرق وعلومه؛ وتعد مجلتهما الأسبوية من كنوز العلم والأدب ( ٣ ) إيجاد المدارس النظامية المتعددة التي أنشأها المغفور له محمد علي باشا بمساعدة الأساتذة الأوربيين ثم علماء المصريين ، والمدارس التي أنشأها المغفور له الخديو اسماعيل وأعظمها خدمة للمرية وأدائها مدرسة دارالعلوم التي أنشئت في زمنه باقتراح رجل معر وطلها المرحوم علي مبارك باشا فتخرج في هذه المدرسة مئات من المعلمين والقضاة والمحامين وكتاب الدواوين، وتربي على أيديهم إماما مباشرة أو بواسطة جميع متعلمي العصر الحاضر وفيهم أفاضل الأمة من محرريها وكتابها وقضاةها ومحاميها وشعرائها ، ولا ينمطها هذه الفضيلة الأكل جاحد مكابر، ويمكن دليلاً على إثبات هذا الفضل لها ما أورده حكيم المصريين الأستاذ الامام المرحوم الشيخ محمد عبده في تقريره عن الامتحان النهائي للمدرسة الذي رأسه سنة ١٩٠٤ قال : « وافي أتميز هذه الفرصة لتتضح بمكانة هذه المدرسة في نفسى وما اعتنقه من منزلتها في البلاد المصرية ومن اللغة المرية . ان الناس لا يزالون يذكرون اللغة المرية وإهمال أهلها في قلوبها ويوجهون العرم الى الحكومة لعدم عنايتها بأمرها ولم أسمعمهم قط ينصفون هذه المدرسة ولا يذكرونها من حسنات الحكومة، فإن باحثاً مدققاً لو أراد أن يعرف أين تموت اللغة المرية وأين تحيا لوجدها تموت في كل مكان ووجدها تحيا في هذا المكان، وإن أول فضل في تهمم اللغة المرية بتسهيل طرق تناولها وتأليف بعض الكتب المفيدة للمتعلمين في المدارس الابتدائية كان للمتخرجين منها ، ثم هم أساتذة المدارس الابتدائية والثانوية ولا يشك حافل في أن تلامذة تلك المدارس يكتبون وينطقون على نمط أقوم مما كان يكتب وينطق عليه أساتذتهم من قبل » ١ والفضل كل الفضل في تأهيل طلابها لقبولهم فيها راجع للأزهر الشريف الذي كان ويكون ان شاء الله المورد المذهب لطلاب المرية وفنونها

( ٤ ) البعوث العلمية الذين أرسلهم محمد علي باشا ثم اسماعيل باشا الى ممالك أوربا لتلقى العلوم المختلفة ، وقد كانت مدد هذه البعوث تعمل أحياناً الى ١٢ سنة ( ٥ ) شيوخ تعلم اللغات الأجنبية وجعل تعليمها اجبارياً بمصر والشام في مدارس الحكومة والجمعيات ومدارس الرهبان والدعاة فنشأ من ذلك ثقل كثير من الماعى

والأساليب الافرنجية التي يقبلها النوق العربي فائزت بذلك اللغة وحصفت أفكار أهلها واتسعت أغراض القول في وجوهم ، وترجم منها ألوف الكتب والروايات والمقالات السياسية والعلمية الى العربية ، فاستفاد منها أيضاً من لا يعرف اللغات الأجنبية علماً جاً وأدباً غزيراً

(٦) ايجاد المطابع العربية بمصر والشام والقسطنطينية والعراق والهند وتونس وطبعها كثير من الصحف السيرة وكتب العلم والأدب؛ ومن أهم الكتب المطبوعة التي جددت حياة اللغة والأدب كتب المعجمات اللغوية مثل الصحاح والقاموس وشرحه ولسان العرب والمختصص، وكتب الأدب مثل الأغاني والعقد الفريد وكامل المبرد والمقامات للحريزي والبديع وأمالى القالى والمرتضى ودواوين الشعراء والرسائل الكثيرة وأهمات كتب التاريخ كتاريخ الطبري وابن الأثير وابن خلدون ومقدمته الجليلة ذات الأثر العظيم في رقى الكتابة في العصر الحاضر وفتح الطيب ومروج الذهب وغيرها وأقدم مطبعة عربية وصلت الى الشرق كانت مع اللجنة العلمية التي صحبت حملة بوناپرت، ثم أسس محمد علي دار الطباعة ببلق قطع فيها ألوف الكتب العلمية والأدبية ثم فشت المطابع في الشام ثم القسطنطينية ثم شرع المصريون فأنشئوا مطابع كثيرة كان لها أعظم فضل في نشر الكتب المتداولة الآن

(٧) انشاء الصحف والمجلات العربية بمصر والشام والقسطنطينية وأول صحيفة عربية هي الوقائع المصرية التي أسست سنة ١٨٢٨ وحرر أول أعدادها باللغة التركية ثم حررت فصولها بالعربية والتركية ثم اختصر فيها على العربية وتصدر نسخة منها بالفرنسية . ومن محرري الوقائع الشيخ المطار ، والشيخ شهاب ، والشيخ رفاعة ، والشيخ محمد عبده ، والشيخ عبد الكريم سلمان .

ومن أول الجرائد التي ظهرت في مصر بمسد الوقائع جريدة وادى النيل لأبي السعد افندي ثم تلتها جرائد أخرى بعضها باق الى الآن ، وأول جريدة عربية ظهرت في سوريا الأخبار الصادرة في سنة ١٨٥٨ وفي القسطنطينية الجوائب

( ٨ ) تنظيم التقاضى والترافع منذ انشاء المحاكم الأهلية ونشأ عن ذلك صناعة مستقلة أداؤها فصاحة اللسان وقوة الحجة فى الخصومة ؛ وهى صناعة المحاماة ونشأ بجانبها نظير لما فى مناصب المحاكم هى مرافعة وكلاء النيابة فى إثبات التهم واستتبع كلتاهام الأجدادة فى تحرير القضاة صَوَرُ الأحكام ووجدت لغة قانون قضائية اكسبت العربية ثروة عظيمة

( ٩ ) حدوث الأندية والجمعيات العلمية والأدبية لإلقاء الخطب والمحاضرات وللسيد جمال الدين الافغانى الفضل فى احداثها بمصر

( ١٠ ) حدوث فن التمثيل باللغة العربية - وأول ما ظهر فى الشام ثم انتشر فى مصر، يد أنه لم يؤثر الغرض المطلوب منه لجل أكثر الممثلين صناعته وضعفهم فى العربية الفصيحة وسوء اختيار القصص الممثلة

( ١١ ) احداث الشهادات الدراسية واعتبار الحصول عليها شرطاً فى خدمة الحكومة ، والاحتراف بالحرف العلمية كالطب والهندسة والمحاماة

( ١٢ ) تنظيم التعليم بالأزهر الشريف والمعاهد الدينية وادخال كثير من العلوم الحديثة بين مواد دراستها وللشيخ محمد عبده جليل الفضل فى اقتراح هذا الإصلاح الذى جعل مساعدة الأزهر بالمال والآراء السديدة وضمان مستقبله موضوع عناية حكومتنا السنية - هذا وقد سبقت مصر والشام غيرهما من البلاد العربية ثم اتفقت أثرهما العراق والحجاز واليمن والهند وتونس

## النثر

### المحادثة أو لغة التخاطب

كانت العامية فى أوائل هذه المصور غاية فى الانحطاط ثم لما انتشر التعليم بين طبقات المصريين دخل فى عبارتهم كثير من الفصحى وانتقل ذلك لعاشرهم من الأميين وبعض النساء، وما ساعد على ذلك أيضاً جعل التقاضى باللغة الفصيحة وكثرة

الصحف والمجلات والروايات وترقى الزجل والموااليا والواو<sup>(١)</sup> وبلغ الزجل في عصر اسماعيل باشا وتوفيق باشا غايته ، ومن أشهر رجاله المرحوم محمد عثمان جلال بك ، والمرحوم السيد عبد الله النديم ، والمرحوم الشيخ محمد النجار ، والمرحوم الشيخ أحمد القوصي وغيرهم ألا أنه أخذ يضمحل في عصرنا هذا بظلمة الشر الفصيح عليه وترفع كبار الرجال عن استماعه

### الخطابة

كان المصريون والسوريون وأوائل هذا العصر لا يستعملون الخطابة في غير الأغراض الدينية ، ثم اتسعت دائرة الأفكار في عصر اسماعيل باشا ، وصادف ذلك مجيء السيد جمال الدين الأفغاني الى مصر ، والتف حوله كثير من الأزهريين ولغيف من أدباء المصريين والسوريين ، فأدخلهم في عداد جمعيته وألف منهم أندية كاتوا ينتابون الخطابة فيها في الأمور الدينية والأخلاق ، ثم تعدت ذلك الى الأمور السياسية وانتشرت الخطابة بين شبان مصر وفشت بعد عصر اسماعيل في زمن توفيق باشا

وولدت رجال الثورة المرابية

ومن أشهر خطبائهم السيد عبد الله النديم وكان لا يجازي في سرعة البديهة وشدة التأثير في سامعيه ، ويحسن الخطابة بالفصيحة والعامية والشيخ محمد عبده وغيرهما ولما أسست الجمعيات والأندية الأدبية بمصر ، شغلت موضعاً عظيماً في حالم الخطابة وبلغت في عصرنا هذا مبلغاً عظيماً وأصبحت بهبا الخطابة في حال زاهرة لاقول كثيراً عما كانت عليه في عصور الدول العربية القديمة

### الكتابة

#### الكتابة الخطية

وقف الخط في سبيل تقدمه عند الحد الذي رسمته له الطبعة الناشئة في القرن<sup>١٩</sup> العاشر والحادي والثاني عشر من خطاطي الترك ، وكل من نشأ بعدهم فانما هو متبع طريقهم وحاذي حذوهم

( ١ ) هو نوع من الرجل وزنه مثل بجر<sup>١</sup> (مستطيل فاطلاق) أو فاعلان أربع مرات وإقتوح هذا النوع أو آخر العصر الماضي وقتنا جداً في سبيلهم مبدع العصر الحالي ومنه قول ابن

عبد مرقى من حديد  
وعبد من لا يريده

من يطبخ القاس  
مسكين من يحب الناس

وأشهر من نبغ في العصر الذى نحن بصدد الكلام فيه عبد الله الزهدى وهو الذى خط بالقلم الجليل جدران المسجد النبوى وجدران سيلب والدع عباس باشا الأول بالصليبة بالقاهرة، ومحمد مؤنس افندى وتخرج عليه وعلى تلميذه محمد جعفر<sup>(١)</sup> بك جميع خطاطى قطرنا المصرى

### الكتابة الانشائية

مضى العصر المتقدم وليس لكتاب الدواوين فى أواخره شأن يذكر لجل التركية هى اللغة الرسمية ، وأقبل العصر الحاضر والحال لم تتغير فى المالك الثمانية الأقبلا وشرعت تتغير فى مصر إلا أنه لم يكن تربى بها من فتيان المسلمين من يتولى الكتابة فى مناصب الحكومة، فكانت مقاليدها فى يد كتبة القبط واشتهر من بينهم المعلم خالى<sup>(٢)</sup> ثم استخدمت الحكومة رجال البحوث العلمية وتلاميذ المدارس المنشأة بمصر والسوريين فى أعمال الكتابة فتقدمت شيئا ما . ويعرف ذلك من صورها السقيمة المدرجة فى أعداد الوقائع المصرية لذلك العصر، ثم لما أنشئت المدارس النظامية وقوى التدريس بها مشايخ الأزهر ثم متخرجو مدرسة دار العلوم نشأت طبقة من كتاب الدواوين رقوا كتابتها . وقد هجر السجع الذى أكثر منه الأقدمون إلا أن عبد الله باشا فكرى أشهر المصلحين للكتابة الديوانية الفصيحة ألم به فى كثير من مكاتباته الرسمية ومن أهم البواعث على اجتناب زخرف البديع فى الانشاء تعلم اللغة الأجنبية والترجمة عنها لأنها أقرب الى الطيعة من الطرق الموروثة عن مستعربى الغرب فى العصور الوسطى

أما كتابة التأليف والصحف فأخذت تنحصر منحنى كتابة ابن خلدون فى مقدمته لالتكباب كثير من المدرسين والقارئين والمحررين على دراستها ومحاكاتها . ولما ولت الحكومة الشيخ محمد عبده تحرير الوقائع الرسمية والإشراف على تحرير الجرائد ، ترقى كتابتها كثيرا ودرجت فى سبيل التقدم الى الآن

(١) كان مدرسا للخط بمدرسة دار العلوم وهو الذى كتب حروف المطبعة الاميرية المسماة

الآن (٢) كان رئيسا لكتاب وكتب سر محمد على باشا وقتل سنة ١٨٢١

## كتابة التدوين

كان أكثر الكتب التي ألفت أو ترجمت في مصر علمية؛ لشدة احتياجها إليها في تأييد حكومتها وأدخال إصلاحات في زراعتها ومالياتها وإدارتها وقضاها؛ أما سورية فكانت حالة الأدب فيها في النصف الأول من العصر الحاضر خيراً منها في مصر ولكن مصر نهضت في النصف الثاني واسترجعت حياتها الأدبية وأدخلت دراسة أدب اللغة في مدارسها وألف فيه عدة كتب، وانحط شأن سورية في العربية ولا سيما بين طوائف النصرانية؛ لمدول جمعيات البعث الدينية عن التعليم باللغة العربية إلى اللغة الأجنبية فلم ينبغ في اللغة من السوريين في السنوات الأخيرة من يضارع سابقيهم ويصير عصرنا الحاضر أزهى عصور العربية بمصر فقد أصبحت قبلة العالم العربي ومركز حضارته وبلاغته بمن نشأ فيها؛ من كبار العلماء والمؤلفين والمترجمين والمهندسين والقضاة والمحامين وكتاب الجرائد والمجلات والخطباء والشعراء والمدرسين، وسلك العلم في سيره طريقاً حديثاً غير طريق أهل الأزهر ومن أشهر العلماء الأزهريين في هذا العصر الشيخ الجبرتي والشيخ حسن المطار والشيخ المروسي والشيخ التيسبي والشيخ الباجوري والشيخ عليس والشيخ الأياري والشيخ السقا والشيخ الاتباني والشيخ الأحموني الأخير والشيخ الشريف وغيرهم ومن غير الأزهريين من أهل النهضة الحديثة رفاعة بك شيخ المترجمين والمؤلفين وعلى مبارك باشا مؤسس دار العلوم وأشهر المؤلفين المصريين، والنظامي الشهير محمد علي باشا، والسيد صالح مجدي بك، ومحمود باشا الفلكي، واحد ندا بك، وعبد الله باشا فكري، وقدرى باشا، ودري باشا

## رفاعة بك رافع الطهطاوي

هو الكاتب الشاعر الأديب المترجم السيد رفاعة بك الحسيني الطهطاوي شيخ الترجمة وإمام النهضة الحديثة  
وُلد بطهطا من أسرة شريفة اقتصرت بعد غنى فتقل به والده في بعض بلاد



مديرية ومديرية قنا بضع سنين تعلم في أثنائها القرآن الكريم ودرس مبادئ العربية وحفظ كثيراً من المتن على أحواله

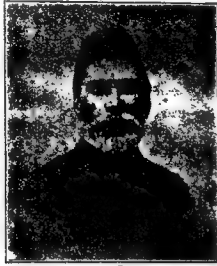
ثم توفي والده فتولت والدته تربيته فأرسلته الى الجامع الأزهر فأكمل دراسته فيه، ثم انتخب إماماً لبعض فرق الجيش، ولم يلبث أن اختاره المرحوم محمد علي باشا إماماً ومعلماً لأول بحث علمي أرسل الى فرنسا سنة ١٢٤١، فراقته علوم أوروبا وعظمها فأكب بنفسه على تعلم اللغة الفرنسية حتى أجادها فيها وإنشاء وإن لم يجدها نطقاً وارتجالاً، وكتب أثناء إقامته يباريس كتاب رحلته الى أوروبا، وترجم قلائد الفاخر في غرائب الأوتال والأواخر، فسر بذلك محمد علي باشا فلما عاد الى مصر سنة ١٢٤٧ اختاره رئيساً للترجمة بمدرسة أبي زعبل، فترجم بها كثيراً من الكتب والدروس واشترك هو وأستاذه الشيخ حسن المطار في اقتراح إنشاء الوقائع المصرية وتحريرها ثم نقل الى مدرسة المدفعية (الطبيعية) بطر لترجمة الكتب الهندسية، ثم صار مديراً لمدرسة الألسن والترجمة فبلغ عدد تلاميذها ٢٥٠ تلميذاً، ثم على أيديهم ترجمة أكثر ما نقل من علوم أوروبا الحديثة الى العربية زمن محمد علي باشا وإسماعيل باشا، ولما ألغيت مدرسة الألسن زمن عباس باشا الأول، قلب في عدة مناصب ثم بقي مدة بلا عمل الى أن أعيد زمن إسماعيل باشا الى نظارة قلم الترجمة، وانتخب عضواً بلجنة المدارس وتولى ادارة مجلة روضة المجالس، وعكف على الترجمة والتأليف حتى توفي سنة ١٢٩٠ تاركاً لمصر كتباً ورجالاً هم أركان النهضة الحديثة .

وقد ألف وترجم رفاعة بك غير ما هدم كتباً تزيد على عشرين كتاباً، أهمها ترجمة جغرافية ( ملطرون ) والتعريفات الشافية لمريد الجغرافية، والمرشد الأمين في تربية البنات والبنين

وترجم القانون المدني الفرنسي، وكتاب هندسة (سامير)، ورواية تليلاك، وكتاب مناهج الألباب المصرية، وله كتب شتى في الأدب وعلوم العرب وآخر ما ألفه نهاية الإيجاز في سيرة ساكن الحجاز، وكان في ترجمته وتأليفه ينتج أحياناً طريق السجع، واضطر لانحياز ما يكلفه من الترجمة أن يستعمل بعض الألفاظ التركية أو العامية الشائعة في زمنه

## عبد الله فكرى باشا

هو الكاتب الشاعر الأديب المترجم عبد الله فكرى باشا أحد أركان النهضة الأدبية في الديار المصرية



عبد الله فكرى باشا (استمرت الصورة من الهلال)

وكان أبوه محمد بليغ افندى ضابطاً بالجيش المصرى وهو ابن الشيخ عبد الله أحد علماء الأزهر

ولد سنة ١٢٥٠ وتوفى والده وهو فى سن الحادية عشرة فكفله بعض أقاربه فعلمه القرآن وبعث به الى الأزهر فأكسب على تعلم علومه مشتقلاً أيضاً باللغة التركية واستخدم من أجلها مترجماً للعربية والتركية فى عدة مناصب آلت الى نقله الى حاشية سعيد باشا ثم اسماعيل باشا، فبعد اليه بتأديب بنيه الكرام وغيرهم من أمراء بيت الملك ثم تقلب فى جملة مناصب آخرها نظارة المعارف سنة ١٢٩٩ وبقى بها حتى زمن الثورة العرابية فسقط مع الوزارة، وآتمهم فى الثورة قبض عليه ثم اتضحت برأه فأطلق ورده اليه معاشه بعد أن استعطف الخديو توفيقاً بمصيدة طويلة وتوفى سنة ١٣٠٧

وكان فكرى باشا كاتباً بليغاً سلك فى كتابته طريقة كتاب القرن الرابع كالبديع الحميدى والحوارزى؛ من التزام السجع القصير القليل التكلف للمحسنات البديعية

في أكثر رسائله الصادرة عن القصر والنظارات، وبذلك يقول فيه المرحوم الشيخ حسين الموصفي مدرس الأدب والعربية بدار العلوم (لو تقدم به الزمان لكان فيه بديعان ، ولم ينفرد بهذا القب علامة هذان ) وبعد عبد الله فكروى من واضعى الاصطلاحات والألفاظ الديوانية المصرية الحديثة ، وبعضها مقتبس من اصطلاح دولة المماليك ، وله شعر وسط في الجودة ، ومن كتابته ما كتب به وصاية بشخص قال بعد الديباجة

رافعُ هذا القيم ، الى جنى المقام الكريم ، يذكرُ أنْ مسألتَه طال فيها المُلْدَى ،  
وبقى في انتظارها على مثل رُؤوس المُلْدَى ، ويشكو من الفقر المُلْدَق ، والضَّر المُلْضَج  
ما أخرِجَ صدره ، وأخرج عنه صبره ، وأشرف به على اليأس ، والاستسلام لخالِب  
البأس ، لولا أمل من مولاي يُثَقِّى على حَوْبائه ، وينشرُ تذكَّاره مِيتَ رجائه ، وله  
في سيدي ثناء يبارى فضحات الأَزهَر ، ويَبْقَى على صفحات الدهر الفاهر ، ثم هو  
بِقِيَّةٍ يَبْتَ حِفْظَتِ الأَيَّامِ نَسْبَةً ، وإن أضاعت حوادثُها نَشْبَةً ، وهو أَوَّلُ من تَعَلَّفَ  
عليه عواطفُ كرمه ، وتنمطف اليه جيا دهمه ، وأرجو أن يُحَقِّقَ مولاي في تلك  
الشيم الكريمة ما أمله ، وأهدى من التناء أَنَّمَهُ وأَكَلَهُ

### على مبارك باشا

هو أبو المعارف المصرية العالم المؤرخ المؤلف المترجم الربى العظيم على بن مبارك  
ابن سليمان بن ابرهيم ، مصلح العلم والادارة بالديار المصرية ، ومؤسس دارالعلوم ودار  
الكتيب السلطانية

ولد سنة ١٢٣٩ هجرية برمال الجديدة من مديرية الدقهلية ، وكان والده الشيخ  
مبارك من أهل الققه والعلم ببلده فضاق به العيش فانتقل الى مديرية الشرقية وشغل  
بالمعاش عن تربيته بنفسه فكان يرسله الى معلم قاس يتعلم عليه القرآن الكريم  
لحفظه وهرب من المعلم لقسوته وضربه ، وأخذ يتلم الكتابة على بعض كتاب المراكز  
والقرى ، ويفر من قسوة هذا الى ظلم ذاك ، حتى عثر في بعض خرجاته بتلاميذ ذاهبين  
الى مدرسة أبى زعبل فصحبهم ودخل المدرسة



على مبارك باشا

ثم اختير في جملة من تلاميذها الى مدرسة قصر العيني وسنه ١٢ سنة ، ودرس  
الرياضة فبرع فيها فاختير طالباً بمدرسة الهندسة فأكمل في خمس سنوات درس فن  
الهندسة وأُرسل الى أوروبا سنة ١٢٦٠ ليتم دراسته بها، فكثت نحو أربع سنوات  
درس فيها فن الهندسة والحرب ، ثم عاد الى مصر ضابطاً بالجيش ، ثم قدّم لعماس  
باشا الأول مشروعاً بتنظيم المدارس المصرية فأعجبه وعهد اليه رياسة ديوانها فقام به  
خير قيام ، وألف بعض الكتب الدراسية فكان أول من نظم المدارس المصرية ؛ وفي  
زمن سعيد باشا وُثِّقَ به البه فساء حظه وُيُسِّت الى البلاد العثمانية في الحملة التي  
وُجِّهت لمحاربة روسيا فعاد منها بعد أهوال ، وبقي يستزل الخدمة طويلاً ويخدم آخر

ويتجر أحياناً ويعلم أخرى حتى كان زمن اسماعيل باشا فألحق بحاشيته وتقلد عدة مناصب هندسية جرى على يده فيها عظيم الأعمال  
ثم عين سنة ١٢٨١ وكيلاً لديوان المدارس وسافر الى فرنسا لمهمة فأحسن أداها وأنتم عليه برتبة الباشا ( الميرميران ) وزااحت عليه المناصب فكان مديراً للسكك الحديدية وناظرًا للمعارف والأشغال والأوقاف والتقاطر الخيرية فقام بذلك جميعاً في آن واحد خير قيام

ومن أعماله العظيمة انشاء دار الكتب باقتراح عبدالله باشا فكري، وانشاء مدرسة دار العلوم ليؤتق بين طلبة العلم القديم وطلبة العلم الحديث، ويحسن تعليم العربية فجاءت هذه المدرسة بأحسن ما يطلب منها . وتجديد مدينة القاهرة وأهيات مدن القطر بانشاء شوارعها وميادينها العظيمة وانشاء كثير من الترع والجسور كترعة الإبراهيمية والاسماعيلية

وبقي ينقلب في النظارات ووكلاتها حتى جاءت الثورة العراقية فكان من شيعة توفيق باشا، ثم قلد نظارة المعارف وغيرها حتى اعتزل الأعمال قبيل وفاته وتوفي سنة ١٣١١ وله مؤلفات جليلة منها الخطط التوفيقية وكتاب علم الدين وكتاب نجبة الفكر في تدبير نيل مصر، وكتاب الميزان في الأقيسة والأوزان، وكتاب الهجاء والمسامرات وغيرها

### الشيخ محمد عبده

هو المصلح الكبير والمجتهد الخطير والكاتب البليغ والخطيب المصقع الأستاذ الامام الحكيم الشيخ محمد عبده أحد أركان النهضة العربية ومؤسسى الحركة الفكرية ولد سنة ١٢٦٦ بأحدى قرى مديرية الغربية ونشأ بين أسرته بمحلة نصر من مديرية البحيرة وترك بلا تعليم حتى ناهزت سنه العاشرة ثم رغب في التعلم فحفظ القرآن الكريم ، وطلب العلم بالجامع الأحمدي ، ثم انتقل الى الأزهر ونبغ في علومه ولما قدم مصر السيد جمال الدين الافغانى سنة ١٢٨٦ وأعاد الى مصر دراسة الفلسفة وعلوم الحكمة والكلام بعد نُصوب ميعنها عدة قرون، لزمه المترجم هو وطائفة



الشيخ محمد عبده ( استعيرت الصورة من الهلال )

من نابغى الأزهر كانوا يُعدُّون ألسنة الفصاحة وأئمة الحركة الفكرية ، وكان الشيخ محمد عبده أنبغ تلاميذه ، وأحرصهم على ملازمته والاستفادة منه ، ونال درجة العالمية سنة ١٢٩٤ و اختير سنة ١٢٩٥ مدرِّساً للأدب والتاريخ العربى بدار العلوم ومدرسة الألسن ، ثم فصل منها ولزم بلده الى أن أُشير على رياض باشا باختيار المترجم لاصلاح لغة الوقائع المصرية ثم صار رئيس تحريرها ، وفى هذه المدة جعله رياض باشا مراقباً على كتابة الجرائد وتحريرها

وحدثت عقب ذلك الثورة العرابية فاشتراك فيها ونفى من مصر فذهب الى سورية وتولى التدريس بمدارسها ، ثم انتقل الى أوروبا فالتقى بالسيد جمال الدين بياريس فأنشأ جريدة العروة الوثقى . ثم عاد الى مصر ووضى عنه الخديو توفيق باشا فصبح قاضياً بالحكام الأهلية ، وبقي مدة طويلة مثلاً للمدلل الى سنة ١٣١٧ فأُسند اليه بمقتضى قضاء الديار المصرية ، وتولى التدريس بالأزهر ، وما زال كذلك حتى توفى

سنة ١٣٢٢. وكان رحمه الله من خير من ظهر في مصر من شيوخ العلم منذ قرون عديدة ويستبر بجتهاده في كثير من مسائل العلم من أئمة الدين كما يستبر بكتابه البليغة من غول الكتاب. وله القدم الراسخة في كتابة الجدل والنقد، ولم يترك الشيخ كاستاده كثيراً من المؤلفات لكثرة مشاغله بالمناصب العلمية والإدارية ولما كسب الزمان له في أكثر حياته. ومن مؤلفاته رسالة التوحيد، وشرح نهج البلاغة، وشرح مقامات بدیع الزمان. وأملی تفسير سورة البقرة وآل عمران والنساء بطريقة لم يسلكها مفسر في انطباقها على مقاصد الاسلام وتفسير جزء عم. وله رسائل بليغة منها ما كتب به من مصر الى بعض الأصدقاء الفضلاء قال فيه :

وتناولت كتابك ولم يدرك مني ناسيا، ولم ينه لي ذكر لا هيا. فاق من يوم عرفتك لم ينس عني مثالك، ولا تزال تثبت لي خلالك، ولو كشف لك من نفسك ما كتبت منها لي لفتنت بها ولحق لك أن تلية على الناس أجمعين، ولكن ستر الله عنك منها خيرا ما أودع لك فيها لتزيينها بالتواضع وتجميلها بالوداعة، وتلجس الى ما لم يلفه ساع، فتكون قدوة لخواصك في علو الهمة، وبكل ما يبرز على النفس في نفع الأمة، زادك الله من نعمه، وأوسع لك من فضله وكرمه، وستغني بصدق ولائك، وجعلك لي عوناً على الحق الذي أدعو اليه ولا أحيا إلا به وله والسلام

## الشعر

كانت حالة الشعر في النصف الأول من هذا العصر لا تزيد شيئا مذكورا على ما كانت عليه في العصر الماضي؛ إذ كانت حكومة محمد علي باشا في أول أمرها تركية الصبغة، وكان هو أميا لا يميل عنده الأدب عمل العلم الذي عليه مدار تأسيس المملكة ولكن الشعر أخذ بعد ذلك في الترقى، وسارت مصر في طريقه وانتشرت فيها العربية حتى زمن اسماعيل باشا وكان هو أدبيا وعصره غاصا بالأدب. فتقدم الشعر في عصره خطوات تمثلت في شعر السيد علي أبي النصر والشيخ علي الليثي وعظيم الشعراء البارودي

ولم يزل العلم والعلماء مع ذلك لهم المقام الأول في مصر حتى كان العصر الحاضر ونالت مصر بعض حاجاتها من العلم وكتبه فبها أهله يتفكرون بالأدب وكتابتها والتأليف فيه ويستمعون الشعر ويحضرُونَ المَجامعَ المَظيِّمةَ لانشاده، فأقبل الشعراء على نظمهِ في كل أغراضه القديمة والحديثة ونحوًا به نحو الشعر الفرنسي؛ من وصف المناظر الطبيعية، وأحوال الوجودان والمواطف النفسية، وكثير من الشعراء لم يحاكِ القدماء في نَدْب الديار ووصف الظمائِ وحث المطايا مستغنياً عن ذلك بوصف القطار والكهرباء والمِسرَّة والبرق. ويقول الآن الشعر على هذه الطريقة مئات من الشعراء في مصر والشام والراق الأ أن المصريين سبقوا السوريين بمراحل في هذا العصر وما يمتاز به شعرُ هذا الوقت خلوُّه من تكلف البديع والجناس، والرجوع به إلى حالة القديمة الطبيعية حتى صار شعرُ لغولهِ يشبه شعر أهل القرن الرابع والخامس

## الشعراء

شعراء هذا العصر كثيرون وانك لترى شعرهم منشورًا في الصحف والمجلات، وإن ساقى حليتهم وقادهم في هذا العصر محمود باشا سامى البارودى. وهالك ترجمته

### البارودى

هو رب السيف والقلم أمير الشعراء وشاعر الأمراء محمود سامى باشا بن حسن حسنى بك البارودى أحد زعماء الثورة العرابية وأشعر الشعراء المتأخرين بالديار المصرية وُلد سنة ١٢٥٥ هـ وتولى أبوه تربيته حتى إذا بلغ سبع سنين توفاه الله وكفله ذوو قرابته حتى بلغ الحادية عشرة فأدخل المدرسة الحربية فتعلم فنون العسكرية ودرَّجَ منها ضابطًا بالجيش وما زال يترقى فيها حتى كان أجد ضابط الحملة التى أمدَّت بها مصرُ الدولةَ العلية أثناء ثورة البلقان وإفريقطش، وكان له في مواقعها الحربية شهرةٌ دائمة، ورجع إلى مصر فقلب في مراتب الجيش وغيرها حتى وُلِّدَ المرحوم الحديرو توفيق باشا نظار في الحربية والأوقاف، ثم استقال منها واعتزل العمل حتى وُلِّى رئاسة النظار قبل الثورة العرابية، فلما اضطرت نيران الثورة أرغعه زعماءُها





محمود سامى باشا البارودى

على اصطلاحها نازها فحبب فيها ووضع . وحكم عليه بعد اقتضاها بالنفى الى جزيرة  
سرنديب ( سيلان ) حتى عمى وشنع فيه فأذن له بالتقدم الى مصر بعد مضي  
١٧ سنة من منفاه وبقي في منزله كفيفاً يشتغل بالأدب الى أن مات سنة ١٣٢٢

وقد عانى نظم الشعر من صغره بدون معلم ولا تخرج في العروض والثقافية به  
النحو والصرف والبلاغة بل كان ينظمه محاكاة ومعارضة لشعر الأقدمين حفظ من  
كلامهم كثيراً ، ونسج على منواله ، ولذلك صدر شعره في رتبة شعر فحول القرن الثالث  
والرابع خالفاً من تكلف البديع ، ضخيم المادى ، جزل الألفاظ ، متين الأسلوب ؛  
وخير ما صدر عنه أيام شبابه وأثناء محنته ؛ ثم ضعف شعره قليل وفاته لكلال ذهنه  
ولخود قريحته ؛ وله شعر كثير جمع في ديوان وطبع منه جزءان

ومن قوله :

والدهر كالبحر لا ينك ذا كدر      وإنما صفوه بين الورى لمع  
لو كان المرء فكير في عواقبه      ما شان أخلاقه حرص ولا طمع  
وكيف يدرك ما في النيب من حث      من لم يزل بفرور العيش ينخدع  
دهر ينز وأمال.      نسر وأعمار تمر وأيام لها خدع  
يسى الفتى لأمر قد تضره      وليس يعلم ما يأتى وما يدع  
يأياها السادر للزور من صلف      مهلاً فانك بالأيام منخدع  
دع ما يريب وخذ فيما خلقت له      لعل قلبك بالإيمان ينضع  
ان الحياة لثوب سوف تحلمه      وكل ثوب اذا ما رث ينخلع

ومن قوله وهو آخر ما قاله :

أنا مصدر الكليم البوادي      بين المحاضر والنوادي  
أنا فارس أنا شاعر      في كل ملحمة وفادي  
فاذا ركبت فاني      زبد القوارس في الجلاذ  
واذا نطقت فاني      قس بن ساعدة الإيادي



﴿ والحمد لله أولاً وآخراً ﴾

## فهرس

### كتاب الوسيط في الأدب العربي وتاريخه

صفحة		صفحة
٢٥	أكم بن صنى	٢ فاتحة الكتاب
٢٦	الكتابة	٣ تعريف التاريخ والأدب واللغة
٢٨	جدول يبين كيفية اشتقاق الحروف	العربية
	الهجائية على رأى العرب	٣ نشأة اللغات ( هامش )
٣٠	علوم العرب وفنونها	٦ جدول العرب العاربة والبنائنة
٣٤	النظم - الشعر والشعراء	٧ جدول العرب المستعربة
٣٤	الشعر	٨ جدول نسب قریش
٣٨	أغراض فى الجاهلية	٩ مصور جزيرة العرب قبيل الاسلام
٤٢	معانيه وأخيلته فى الجاهلية	٩ عصور اللغة العربية وآدابها
٤٣	ألفاظه وأسلوبه	١٠ العصر الأول عصر الجاهلية
٤٣	أوزانه وقوافيه	١٠ حالة اللغة وآدابها فى عصر الجاهلية
٤٤	الشعراء	١٢ اختلاف لهجات العرب
٤٥	طبقات الشعراء	١٤ كلام العرب
٤٦	امروء القيس	١٧ أغراض اللغة فى الجاهلية
٥٢	الناطقة الذياتى	١٧ معانى اللغة فى الجاهلية
٥٥	زهير بن أبى سلمى	١٨ عبارة اللغة فى الجاهلية
٥٩	عنتره العيسى	١٩ تقسيم كلام العرب
٦١	عمرو بن كلثوم	١٩ النثر وتقسيمه الى محادثة وخطابة
٦٣	طرفة بن العبد	٢٠ وسكتابة
٦٦	أعشى قيس	٢٠ المحادثة أولها التخاطب
٦٩	الحارث بن حازم	٢١ الخطابة
٧٢	ليبد بن ربيعة	٢٤ قس بن ساعدة

صفحة	الرواية والرواة	صفحة
١١١ الكتابة الانشائية	٧٦	١١١ كتابة الرسائل والدواوين
١١١	٧٧	١١٢ مميزات الكتابة الانشائية
١١٤ الكتاب	ويشترى أمية	١١٤
١١٤ عبد الحميد الكاتب	٧٧ حالة اللغة وآدابها في صدر الاسلام	١١٤
١١٦ التدوين والتصنيف	٧٩	١١٦
١١٨ الشعر والشعراء في هذا العصر	خضعت لسلطانها	١١٦
١٢١ أغراض الشعر وفنونه	٨٢ القرآن الكريم وأثره في اللغة	١٢١
١٢٢ معانيه وأخيلته	٨٢ اعجاز القرآن (هامش)	١٢٢
١٢٢ ألفاظه وأسلوبه	٨٤ جمع القرآن وكتابه	١٢٢
١٢٢ أوزانه وقوافيه	٨٦ الحديث النبوي	١٢٢
١٢٣ الشعراء - كتب بن زهير	٨٧ النثر وتقسيمه الى محادثة وخطابة وكتابة	١٢٣
١٢٥ الخنساء	٨٧ لغة التخاطب	١٢٥
١٢٨ الخطبة	٨٨ الخطابة	١٢٨
١٣٠ حسان بن ثابت	٩١ الخطباء	١٣٠
١٣٢ النافذة الجمعدى	٩٢ أبو بكر الصديق	١٣٢
١٣٥ عمر بن أبي ربيعة	٩٣ عمر بن الخطاب	١٣٥
١٣٧ الأختل	٩٥ عثمان بن عفان	١٣٧
١٤٠ الفرزدق	٩٦ علي بن أبي طالب	١٤٠
١٤٣ جرير	٩٨ سميان وائل	١٤٣
١٤٦ الكميث	٩٩ زياد بن أبيه - ١٠٢ الحجاج	١٤٦
١٥٠ الرواية والرواة	١٠٦ الكتابة الخطية	١٥٠
١٥١ العصر الثالث عصر الدولة العباسية	١٠٧ صورة كتاب النبي عليه الصلاة	١٥١
١٥١ أحوال اللغة وآدابها في الدولة العباسية	والسلام للمقوقس	١٥١
١٥٢ أغراض اللغة	١٠٨ صورة كتاب قديم خال من النقط	١٥٢
١٥٤ المعاني والأفكار	١١٠ صورة نموذج من المصحف مضبوط	١٥٤
	بضبط أبي الأسود	

صفحة	صفحة
١٩٢ النحو - ١٩٣ علم اللغة	١٥٤ الألفاظ والأساليب
١٩٤ علوم البلاغة	١٥٦ النثر - والمحاضرة
١٩٥ الخليل بن احمد	١٥٧ الخطابة
١٩٦ سيويو - ١٩٧ الكسافي	١٥٨ الخطباء - داود بن علي
١٩٧ العلوم الشرعية - التفسير	١٥٩ شبيب بن شيبه
١٩٨ الحديث	١٦١ الكتابة الخطية
١٩٩ البخاري	١٦٣ نموذج من القرآن مضبوط مضبوط
٢٠٠ علم الفقه	الخليل وأبي الأسود
٢٠٠ أبو حنيفة النعمان	١٦٤ ابن مقلة
٢٠١ الامام مالك	١٦٥ الكتابة الانشائية
٢٠٢ الامام الشافعي	١٦٥ كتابة الرسائل الديوانية والاخوانية
٢٠٣ الامام احمد بن حنبل	١٦٨ الكتاب - ١٦٩ ابن المقفع
٢٠٤ علم الكلام	١٧٣ ابراهيم الصول - ١٧٥ ابن العميد
٢٠٤ أبو الحسن الأشعري	١٧٧ صاحب بن عباد
٢٠٥ الغزالي	١٧٨ أبو بكر الخوارزمي
٢٠٦ نشأة العلوم الكونية المنقولة وترجمتها	١٨٠ بديع الزمان الهمداني
وأشهر المترجمين	١٨١ ابن زيدون
٢٠٩ الشعر	١٨٣ القاضي الفاضل
٢١٠ فنون الشعر وأغراضه	١٨٤ التدوين والتصنيف
٢١٢ معاني الشعر وأخيلته	١٨٥ كتابة التدوين والتصنيف
٢١٢ لفظ الشعر وأسلوبه	١٨٦ العلوم اللسانية ونشأتها
٢١٢ أوزان الشعر وقوافيه	١٨٦ الأدب - ١٨٧ الجاحظ
٢١٣ الشعراء	١٨٩ احمد بن عبد ربه
٢١٣ بشار بن برد	١٩٠ الحريري
٢١٥ أبو نواس	١٩١ التاريخ
٢١٧ مسلم بن الوليد	١٩٢ المروض والثقافية

صفحة	مقدمة
٢٥٢ ابن خلكان	٢١٨ أبو المتاهية
٢٥٣ ابن خلدون	٢٢٠ أبو تمام - البحري
٢٥٥ جلال الدين السيوطي	٢٢٠ ابن الرومي
٢٥٦ الشعر - ٢٥٨ الشعراء	٢٢٧ ابن المعتز
٢٥٩ البوصيري	٢٢٩ المتبى
٢٦٠ صفى الدين الحلبي	٢٣٢ ابن حائق الأندلسي
٢٦٢ ابن نباتة - ٢٦٣ ابن معنوق	٢٣٤ أبو العلاء المعري
٢٦٥ العصر الخامس عصر النهضة الأخيرة	٢٣٧ ابن خفاجة الأندلسي
٢٦٥ حالة اللغة وآدابها في هذا العصر	٢٣٨ الرواية والرواة - ٢٤٠ الأصمعي
٢٦٥ صورة محمد علي باشا	٢٤١ العصر الرابع عصر المماليك التركية
٢٦٧ صورة رجال البعث العلمية الى أوربا	٢٤١ حال اللغة وآدابها في ذلك العصر
٢٧١ النثر - لغة التخاطب	٢٤٢ النثر - لغة التخاطب
٢٧٢ الخطابة	٢٤٣ الخطابة
٢٧٢ الكتابة الخطية	٢٤٣ الكتابة الخطية
٢٧٣ الكتابة الانشائية	٢٤٤ نموذج من القراءان بالخط الرصافي
٢٧٤ كتابة التدوين	٢٤٥ الكتابة الانشائية - كتابة الرسائل
٢٧٤ رفاعة بك الطحاوي	٢٤٦ الكتاب محي الدين بن عبد الظاهر
٢٧٦ عبد الله باشا فكري وصورته	٢٤٧ شهاب الدين بن فضل الله
٢٧٧ على مبارك باشا - ٢٧٨ صورته	٢٤٨ لسان الدين بن الخطيب
٢٧٩ الشيخ محمد عبد - ٢٨٠ صورته	٢٥٠ التدوين - الأدب
٢٨١ الشعر - ٢٨٢ الشعراء	٢٥١ بقية العلوم الاسلامية
٢٨٢ البارودي - ٢٨٣ صورة البارودي	٢٥٢ كتابة التدوين والتصنيف













